

مكتاب

الاعتقالات

في أقطارٍ مختلفة

للكاتب:

عبد الدين الهلالي



مكتاب

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

فِي أَقْطَارٍ مُخْتَلَفَةٍ

لِلدَّكْتُورِ :

تَيْفِ الدِّينِ الْهَيْلَالِيِّ



(١) الدعوة الى الله في الاسكندرية

(٢) الدعوة الى الله في الصعيد

(٣) الدعوة الى الله في تطوان

(٤) الدعوة الى الله في العراق

(٥) الدعوة الى الله في الدورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذى جعل الدعوة اليه فرضا على كل من استطاع اليه سبيلا وأوعد باللعنة من كتم العلم واشترى به ثمنا قليلا. أشهد أنه الله الذى لا اله الا هو وأتخذة وكيفا ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى فضله على خلقه تفضيلا. اللهم صلى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يدعون الى الله ويسبحونه بكرة وأصيلا .

أما بعد فيقول العبد الفقير الى الكبير المتعالى ، محمد تقى الدين بن عبد القادر الهلالى : سألنى خلق كثير من الاخوان فى المشرق والمغرب ، أخص بالذكر منهم الاخ الداعى الى الله على بصيرة الدكتور وجيها زين العابدين أن أؤلف كتابا يشتمل على سيرتى وما لقيته فى حياتى فى الحل والترحال ، وما جرى على فى رحلاتى الكثيرة من حوادث وأخبار ، وخاصة فى الدعوة الى الله فى أقطار مختلفة فى المشرق والمغرب ، وما صادفته فى ذلك من نجاح وصدء ، وما جرى بينى وبين علماء تلك الاقطار من مباحثات ومحاورات . ولما رأيت ذكر ذلك كله بالتفصيل بل ذكر ما بقى فى ذاكرتى ولم يعفه النسيان يحتاج الى وقت طويل ، ونفقات كثيرة ، فى طبعه ونشره ، اقتصرت على ما يتعلق بالدعوة الى الله تعالى فى أقطار مختلفة من سنة 1340 الى 1391هـ للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، على أمل أن أجد وقتا وتوفيقا من الله تعالى لتأليف كتاب فى أخبار الشطر الاخير الذى لا يتعلق بالدعوة كالحوادث السياسية والشدائد والمحن التى وقعت لى فى أسفارى ، وستجد أيها القارىء فى أثناء هذا الكتاب قصائد كثيرة هجوت بها بعض المعارضين للدعوة الى توحيد الله

واتباع نبيه الكريم، وما أردت بذلك الا الانتصار للحق ولم أسم أحدًا. وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : (اهجهم وروح القدس معك) ولما
أنشد عبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ..

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نصربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال له عمر : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله وفي حرم الله تقول
الشعر ! فقال رسول صلى الله عليه وسلم : خل عنه يا عمر فلهن أسرع فيهم
من نضج النبل ، أخرجه الترمذى وصححه .

وقيل ان الذى أنشد ذلك الشعر هو كعب بن مالك ، راجع فتح البارى
فى شرح أحاديث عمرة القضاء .

فأرجو أن أكون سالكا هذه السبيل فى هجو أولئك القوم ؛ والاعمال
بالنيات ولا ادعى العصمة وأرجو الله أن يغفر لى كل خطأ وخطئ فالجواد قد
يكبو والسيف قد ينبو والكمال لله سبحانه .

فإن تجد عيبا فسد الخلا فجل من لا عيب فيه وعلا

وأرجو أن ينفع الله بهذا الكتاب كل من قرأه أو أعان على نشره بقليل أو
كثير من انصار السنة المحمدية وأما غيرهم من أعدائها فلا نبأى بهم وهم بلا شك
منهزمون والى الخسران فى الدنيا والآخرة صائرون وحسبنا الله ونعم الوكيل
وهو نعم المولى ونعم النصير فسيكفيكم الله وهو السميع العليم .

الدعوة الى الله فى الاسكندرية

ايها الداعى قدم مراد الله يقلم الله مرادك . ما من داع يدعو الى امر يجد
واخلاص الا ويحصل على شىء ما ، سواء كان محققا أم مبطلا لكن المبطل عاقبته
خسران عاجل أو آجل والمحقق له العاقبة الحسنى فى العاجل والآجل
« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » ،
كل من قرأ تاريخ الدعوات الباطلة من دعوات الخوارج والشيعية والباطنية
وما تفرع منها يعلم يقينا صحة ما أشرت اليه أعلاه ، ولا بد أن يكون الداعى
- مع اخلاصه - عنده شىء من العلم بما يدعو اليه وشىء من العلم بقواعد الدعوة .

قد فصلت القول فى سبب خروجى من الطريقة التجانية ودخولى فى
السلفية الحنيفية ملة ابراهيم وخير أبنائه محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وهى الاسلام الطاهر ، شرحت ذلك فى كتاب (الهدية الهادية الى الطائفة
التجانية) وقد أمر صاحب السماحة الاستاذ الرئيس الشيخ عبد العزيز بن
عبد الله بن باز أمتع الله المسلمين بطول بقائه بطبع عشرة آلاف نسخة من
هذا الكتاب نسأل الله أن يجازيه خيرا وينفع بهذا الكتاب نفعا عظيما ، وبعدما
خرجت من الطريقة التجانية ودخلت فى الطريقة الحنيفية توجهت الى مصر
ولقيت أمام الدعوة فى ذلك الزمان السيد محمد رشيد رضا رحمة الله عليه ولقيت
أكثر الدعاة الى السلفية فى مصر كالشيخ محمد الرمالي بالقاهرة والشيخ حسن
عبد الرحمن فى مزوعته بين دمنهور والاسكندرية والشيخ عبد الظاهر أبى
السمح والشيخ محمد أبى زيد فى دمنهور والشيخ حامد الفقيه بالقاهرة والشيخ
محمد بن عبد الرزاق حمزة بكفر عامر والشيخ الالمعى عبد العزيز الخولى
بالقاهرة ، ولما وصلت الى الاسكندرية الى رملها بشاطيء بحرها لقيت أهل
بيت (لا أقول أسرة ولا عائلة) من بلادنا سجالماسة بالمغرب الأقصى مستوطنين
الاسكندرية فرحوا بى فرحا عظيما لانهم يعرفون والدى وكان من علماء بلادنا

ويجلونه ، فأكرموني لاجل ذلك ، ووجدتهم تجانيين (طوخ) يعنى غارقين فى الطريقة سكارى بنشوتها ، وكلمة طوخ فارسية فيما أظن ، تستعمل فى العراق بالمعنى المتقدم ، فقلت فى نفسى يجب على أن أنقذهم من هذه الطريقة كما أنقذنى الله منها ، ولكن خيل لى وأنا فى أوائل الشباب أننى اذا صرحت لهم بانتقاد الطريقة ينفرون ولا يقبلون الدعوة ، فأردت أن أخادعهم فأظهرت لهم أنى لا أزال تجانيا ، وأخذت أتلف معهم فى انتقاد بعض الامور كالا اجتماع لذكر الوظيفة جماعة بلسان واحد ، فجاء رجل مصرى من تجانيين الاسكندرية وقال لهم : يا اخواننا (أنا الراكل ده بعينى شفته يخش ويخرت فى مسكد الوهاية بالرمل ، والوهاية ما بيخلوا حد يخش فى مسكدهم الا اذا كان منهم) معناه بعينى رأيت هذا الرجل يعنى كاتب المقال يدخل ويخرج فى مسجد الوهاية برمل الاسكندرية ومن عادة الوهابيين أنهم لا يتركون أحدا يدخل مسجدهم الا اذا كان منهم ويعنى بالمسجد مسجد أبى هاشم المهندس رحمة الله عليه وكان قد خصص جزءا من أرضه وبني فيه مسجدا صغيرا للشيخ عبد الظاهر أبى السمع وجماعة السلفيين بالرمل وسبب اقامتى فى هذا المسجد مدة شهرين ما يتلوه .

امتحان الدعاة الى الله

اعلم ان الدعاة الى الله يمتحنون على قدر ايمانهم وصبرهم وتجلدهم ومنهم الشيخ عبد الظاهر أبو السمع رحمه الله فانه كان يدعو الى الله برمل الاسكندرية وقد أنكر دعوته جميع من ينتسب الى العلم فى رمل الاسكندرية وفى الاسكندرية نفسها ، وكان معلما لبنات محمود باشا الدير بالمدال المهملة كما ينطق به فى العامية المصرية ويدعو الى الله بالقاء الدروس فى المسجد المذكور وصلاة الجمعة والجماعة لوجه الله فممنع من ذلك فدعانى لان أنوب عنه واما قليل يأتىك سبب المنع أى بعد أن أتم قصتى مع المغاربة ، فلما سمع المغاربة من ذلك الرجل المصرى التجانى ذلك الكلام غضبوا عليه غضبة مغربية فقالوا له انكم معشر المصريين عودتمونا سماع ما نكره فى كل عزيز لدينا فلا يطيب لكم عيش الا اذا أسأتم الينا نحن نعرف هذا الشاب وأباه وأمه وأهل بيته وهو لم يقدم من المغرب الا منذ وقت قصير ونحن فى المغرب ليس عندنا وهايون فمن أين تعلم

الوهابية . وصاحوا عليه صياحا منكرا وكان الرجل داهية فلم يفضب بل قابل غضبهم بحلم وسعة صدر وقال لهم يا اخواننا يا مغاربة ما تزعلوش المسألة بسيطة عندنا الشيخ محمد بن مبارك السوسى ولا تشكون فى علمه وفضله وأنه أكبر عالم تكافى فى مصر نكتب له ونسأله عن الشاب ده اذا قال هو تكافى صحيح أنا أئى وأبوس روسكم وردلكم كمان وأطلب منكم المسامحة واذا قال غير ذلك تعرفوا أن الحق عليكم) معناه ان الشيخ محمد بن مبارك المغربى هو شيخنا فى الطريقة التجانية وهو يعرف ضيفكم هذا فهلم نتحاكم اليه فان حكم بأن محمد تقى الدين الهلالى ضيفكم العزيز هو تجانى حقا اعتدنا اليكم وقبلنا رؤوسكم وأرجلكم وكان المغاربة قد هددوا المصريين بأنهم يفترقون معهم ويتخذون زاوية خاصة لانفسهم وأكون أنا مقدمهم ففرحت أنا بهذا السراب الذى خيل لى أنه شراب ولكن الرجل المصرى بدهائه أحبط عملى ومن ذلك الحين علمت يقينا أننى أخفقت فى مسعى لان الشيخ السوسى المذكور يعلم يقينا أننى من المنتقدين للطريقة التجانية وسبب ذلك أن أخص مريديه وهو محمد الدادسى كان يغسل رأسى فى بيته بالقاهرة فقال لى هنيئا لكم معشر أهل البيت فان الجنة مضمونة لكم على أى حال كنتم فقلت ومن ضمنها لنا ، قال ألم تطلع على ما ذكره الشيخ الاكبر ابن عربى الحاتمى فى تفسير قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا) فقلت وماذا قال فقال ، قال الشيخ الاكبر ان أبناء فاطمة خلقهم الله طاهرين طهارة عينية فلا تصدر منهم المعاصى البتة وكل ما نراه فى الظاهر من صدور المعاصى منهم يجب أن نكذب أعيننا ونصدق الله تعالى فقلت وهل ابن عربى معصوم من الخطأ فقال لى ان سيدنا الشيخ التجانى نقل عنه ذلك وصدقه ، فقلت وهل الشيخ التجانى معصوم من الخطأ فأصابه حزن عظيم ظهر فى وجهه واختصر غسل رأسى وسكت على مضمض فعلمت أنه لا بد أن يوصل ذلك الى الى شيخه ، وغبت عن الاسكندرية أياما ثم رجعت لاجس النبض وليس لى الا أمل ضئيل فكظم المغاربة ما فى أنفسهم ولم يظهروا لى شيئا ودعينا الى العشاء عند بعض التجانيين عند المغاربة الآخرين فجرى ذكر الملك حسين بن على ملك مكة فانتقدت أنا تحالفه مع الانكليز والفرنسيين وادخال جيوشهم الى قرب الحرم المكى ، فانفجر أحد التجانيين غيظا وقال صدق من قال : مثل العالم الذى

لا يعمل بعلمه كجلد كلب مليء عسلا ، يعنى ان الملك حسين وهو من أهل البيت لا يصدر عنه الا الطاعات فانتقضى له جهل وسفاهة لان فيه انكار على شيخ الطريقة وسكت أصحابي ولم يدافعوا عنى ، فلما خرجنا جذبني أحد المغاربة من التجانيين المعتدلين وقال لى ألم يبلغك ما أجاب به الشيخ السوسى فقلت لا : أفدنى يرحمك الله، فقال انه أجاب التجانيين فقال فى جوابه ان محمدا تقى الدين الهلالى من آل البيت وقد أوصانا سيدنا رضى الله عنه يعنى التجانى باكرام أهل البيت فأكرموه ولا تأخذوا عنه شيئا من أمور الدين فعلمت أن القضية قد انتهت بالاخفاق كما كنت أتوقع وعقدت العزم على أن لا أداهن ولا أداجى فى دين الله ما دمت حيا بل أقول الحق من أول وهلة ، للريح أو للخسارة ، وما لقيت الا الريح الى حد الآن وسيأتيك الدليل فلا تعجل .

سبب منع أبى السمع من الصلاة والوعظ فى مسجد أبى هاشم برمى الاسكندرية

تقدم أن المنتسبين الى العلم فى مدينة الاسكندرية ورملمها أنكروا على الشيخ أبى السمع دعوته الى السلفية وسموها وهابية وكادوا له كيدا عظيما واتهموه بتهم هائلة فى ذلك الزمان منها أنه يقول ان العصا خير من النبى صلى الله عليه وسلم لان العصا تنفع فى الدنيا والنبى صلى الله عليه وسلم لا ينفع لا يشفى مريضا من مرضه ولا يغنى فقيرا من فقره ولا ينقذ عانيا من سجنه ولا يغيث من استغاث به وهذا عند عباد القبور طعن عظيم فى مقام النبوة ومنها أنه صلى صلاة الجمعة فى أحد المساجد ووجد العلمين منتصبين عن يمين المنبر وشماله فالتقاهما على الأرض وقال : (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) ومنها أنه يدعو الى مذهب خامس ولا يؤمن بالمذاهب الاربعة ومنها أنه أحدث فتنة فى رمل الاسكندرية ففرق بين الاخ وأخيه والاب وابنه والقريب وقريبه وكتبوا بذلك الى محافظ الاسكندرية كتابا يطلبون منه أن يمنع من هذه الدعوة التى يعدونها من أعظم الفساد ، وفى الوقت نفسه دبوا له مكيدة أخرى ، فدعوه الى المناظرة فى أحد المساجد وأحضروا رجلا من العوام وقالوا له أحضر معك عصا واذا أشرنا اليك فاضربه ، فلما حمى وطيس

الجدل بينهم وبينه في مسألة الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وألجأوه أن يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا وانما هو بشير ونذير أشاروا الى الرجل فضربه فى المسجد وبعد قليل جاء أمر محافظ الاسكندرية بمنعه من الصلاة والوعظ وسد المسجد فأرسل الى يدعوني دعوة عاجلة فحضرت فى الليلة التى فى غدها يسد المسجد ففتحتة وأخذت أصلى فيه وأعظ الاخوان السلفيين فجاءت الشرطة ليسدوا المسجد فوجدونى فقالوا من أنت ، أنت أبو السمح ، قلت أنا محمد تقى الدين بن عبد القادر الهلالى المغربى فتوقفوا ورجعوا الى المحافظ وأخبروه ، واختفى أبو السمح فصار لا يأتى المسجد أصلا فأمرهم المحافظ أن يتركوا المسجد ولا يسلموه فاشتد غيظ أعداء السلفية من المنتسبين الى العلم وأعوانهم ، فكتبوا فى هذه المرة الى الملك فؤاد ، وكان ذلك سنة احدى وأربعين وثلاثمائة وألف وقالوا للملك مثل ما قالوا للمحافظ قبل وزادوا على ذلك أنه ثبت صدق اتهامهم لابی السمح عند محافظ الاسكندرية فأمر بطرده وسد المسجد ، فأتى بمغربى له حماية فرنسية فناب عنه فى المسجد فلم ينفذ ما أمر به المحافظ، فبعث الملك بشكواهم الى محافظ الاسكندرية نفسه ، فلما قرأها غضب عليهم غضبا شديدا لامرين ، أحدهما أنهم لم يكتبوا به فتخطوه وكتبوا الى الملك ، والثانى أن طعنهم فى عمل هذا المغربى يفتح بابا على الحكومة المصرية من النزاع مع دولة تتمتع بالامتيازات الاجنبية ، والمطلعون على تاريخ مصر يعرفون معنى هذه الكلمة ، فان مقتضى الامتيازات الاجنبية يقضى على الحكومة المصرية وكل حكومة تنكب بمثل هذه النكبة أن ترد كل نزاع يقع بينها وبين أى شخص من رعايا الدولة صاحبة الامتياز الى سفارة هذه الدولة فتحكم السفارة بدون شك على المصرى بأنه هو الظالم وتطلب من الحكومة المصرية أن تنزل به أشد العقاب وعليه أن يتحمل ويصبر على ظلمين ، الظلم الاول من الشخص التابع للسفارة الاجنبية ، والظلم الثانى من السفارة نفسها ، ولذلك لا يجب أى مصرى كيف ما كانت منزلته أن يدخل فى نزاع مع أى سفارة ، من أجل ذلك دعا المحافظ الموقعين على العريضة المرفوعة الى الملك فأدخلوا عليه واحدا بعد واحد وأخذ يسألهم ، فقال للاول هذا توقيعك ؟ فقال نعم قال وقع مرة أخرى فوقع ثم أخرج الى مكان لا يرى فيه أحدا من أصحابه ، وهكذا فعل بالثانى والثالث الى

آخرهم ثم جمعهم وعبس وبسر عليهم وقال لهم كتبتم الى تزعمون أن الشيخ عبد الظاهر آبا السمع وهابى وأنه فعل كيت وكيت فصدقتم وأمرت بمنعه من الصلاة والوعظ ولم يكفكم ذلك حتى تخطيتمونى وارتقيتم مرتقا صعبا فكتبتم الى الملك تعرضون مزاعمكم عليه وقتلتم فى عريضتكم انكم تخافون أن تحدث فتنة فى رمل الاسكندرية تسفك فيها الدماء فله دركم من حفظة ساهرين على الامن فهل المحافظة على الامن من اختصاصكم ومن وكل اليكم ذلك ؟ بعضكم امام مسجد وبعضكم مأذون فى المحكمة وبعضكم مدرس واعظ أو خطيب فكيف ارتقيتم حتى صرتم تحافظون على الامن العام وهذا شغلى أنا وشغلى أعوانى من الشرط والحرس أفأردتم أن تساعدونى ، أنتم أصحاب الفتنة ودعاتها الموقدون لئارها ولم يبق عندى شك فى أنكم مفسدون قلت ان المصرى وهابى فهل المغربى أيضا وهابى ؟ فقالوا أى والله يا سعادة المحافظ هذا وهابى (زيه تمام) فقال اسمعوا ما أقوله لكم أنتم تستحقون العقاب ولكنى أعفو عنكم فى هذه المرة وكل فتنة تقع فى المستقبل فى الاسكندرية أو رملها من هذا القبيل فأنتم المسؤولون عنها ، أغربوا عنى لانعم عوفكم ولا أمن خوفكم ، فانطلقوا يتعثرون فى أذيال الخيبة وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وكفى الله المؤمنين القتال . ولما سمع بذلك الشيخ أبو السمع صار يحضر صلاة الجمعة ويصل معنا مأموما وبعد انقضاء شهرين على هذه الحادثة أمن أبو السمع وتجراً فصل بنا الجمعة اماما فاستأذنته أنا فى اتمام السياحة فى البلاد المصرية ورجعت الى القاهرة وقد نفذ ما عندى من الدراهم لان التجانيين بعدما وصلت الى القاهرة بعثوا الى حوالة فقبضتها وقتلت فى نفسى اننى قصرت فى عدم اعلان خروجى من الطريقة وأنا بين ظهرانىهم ولم أدع الا أربعة انفس سرا وقبلت مساعدتهم عند السفر وها أنذا أقبل مساعدتهم بعد السفر فان بقيت على هذه الحال فأى فرق بينى وبين شيخ الطريقة فكتب اليهم رسالة فى أربع صفحات وجعلت منها أربعة نسخ بعثت كل نسخة منها الى أحد رؤسائهم فحرقوا الارم غيظا على ولم يجبنى الا أحدهم بينى وبينه مصاهرة فقال لى فى جوابه لقد قرأت ما كتبت والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ولئن كتبت الى بعد هذا ولو حرفا فى الطعن فى الطريقة التجانية لن أجيبك أبدا وتتحمل أنت وحدك اثم قطع الرحم ، ولما نفذ ما عندى من الدراهم جاءنى الشيخ محمد الخرشى

الشنقيطي رحمه الله سواء أكان حيا أو ميتا فأعطاني ريالين مصريين وكان من المتخرجين في الجامع الأزهر وله راتب من أوقاف الطلبة المغاربة قدره جنيهان مشاهرة وعشرة أرغفة مياومة وهو من الستينيين وكان الطلبة المغاربة في ذلك الزمان ثلاثة أقسام ، ستينيين ، وعشرينيين ومنتظرين فالستينيون عددهم ستون رجلا يأخذون راتبا مثل ما تقدم ، والعشرينيون عددهم عشرون رجلا يأخذون راتبا قدره نصف جنيه مشاهرة وخمسة أرغفة مياومة ، والمنتظرون يعدون بالئات لا يأخذون الا رغيقين في كل يوم وكانت الحرب قائمة على الدوام بين الستينيين والمنتظرين ، والعشرينيون على الحياد وذات يوم هجم ثلاثة من المنتظرين على شيخ رواق المغاربة بعد السلام من صلاة الجمعة في الأزهر فطعنوه بالخناجر حتى مات فهرب الناس من المسجد لا يلوون على شيء وركب بعضهم بعضا حتى مات بعض الضعفاء من الزحام ، وأظن أن الاخ القاريء يعرف طبعي في الاستطراد ، فأنا لا أحول عنه ولا أزول ، كما قال المتنبي : « لكل امرئ من دهره ماتعودا » .

فقال لي الشيخ محمد الخراش لا تقعد هنا مقيما على معيشة ضنك كالوتد
ألم تسمع قول الشاعر :

ولا يقيم على خسف يراد به الا الأذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

معنى البيتين لا يرضى أحد أن يقيم على ذل الا الأذلان الحمار الاهلي والوتد الذي تضرب به الخيمة وتثبت فالحمار الاهلي مربوط بجبل لا يستطيع الفرار مع أنه يضيق عليه في العلف ويحمل من الاحمال ما لا يطيقه وعلاوة على ذلك يضرب بالعصى وينخس بالمنخاس وهو حاد كالابرة والوتد يضرب على رأسه ليدخل في الارض كلما أريد نصب الخيمة ولا يستطيع أن ينجو بنفسه ، فقلت له مكره أخاك لا بطل وماذا عسيت ان أفعل وأنا هنا غريب فمالي الا الصبر الجميل ، فقال لي كل طلبة العلم الغرباء في مصر بدون استثناء وما أكثرهم يخرجون الى الفلاحين ويلقون دروس الوعظ في المساجد فلا يكاد الفلاحون يرونهم حتى يغمروهم بالاكرام بالدراهم والشباب والزاد دون أن يحوجوهم الى تذلل أو سؤال فان الفلاح المصري يضرب به المثل في الكرم وهذه عادتنا كلنا منذ حللنا هذه الديار فشكرته على هديته ونصيحته وعزمت على الخروج الى الصعيد وهو

الذى بقى لى لم أره فان الوجه البحرى وهو ناحية الشمال فى مصر قد رأيتـه
من القاهرة الى آخر رمل الاسكندرية وبقى لى الوجه القبلى وهو ناحية الجنوب
فتوكلت على الله وسافرت بالقطار الى مدينة ملاوى فكنـت أسمع بالشيخ عبد
الظاهر الريمونى أنه من دعاة السلفية فسألـت عنه فوجدته ونزلت عند مغربى
يسمى الشيخ ابراهيم الدادسى وهو طبيب عيون يقـدح العيون على طريقة الطب
الاسلامى القديم بميل من حديد بدون تخدير فيخرج البياض من العين ثم
يعالج الجرح بالادوية الى أن تشفى العين التى كانت عمياء لا تبصر شيئاً ويعود
اليها نورها باذن خالقها ، وهذه الطريقة لا تزال مستعملة الى يومنا هذا فى
بعض القرى النائية عن المدن فى بلاد المغرب وغيرها فوجدت الشيخ عبد الظاهر
الريمونى وفرح بى وأظهر السرور وأكثر الترحيب واعتذر لى عن دعوته اياى
الى قرينته الريمون ، فقال أيها الاخ العزيز ان ضياقتك واجبة على ولكن
قريتى تبعد عن هذه المدينة بقدر نصف ساعة للراكب على الحمار الفارة وأنا
لا أشغل فى الغيط يعنى فى المزرعة وكل أهل القرية يخرجون الى غيطانهم
صباحا ويرجعون مساء وأنا أرجع كل يوم الى هذه المدينة أمكث فيها من
الصباح الى المساء فان دعوتك الى القرية فاما أن تبقى وحدك أو تتكلف المجىء
كل يوم معى صباحا وترجع مساء وفى ذلك من المشقة عليك ما لا يخفى
فشكرته على ذلك ورأيت عذره قائما وأقمت عند الشيخ ابراهيم الدادسى بمدينة
ملوى من مديرية أسيوط من بلاد الصعيد أربعة أيام ثم عزمـت على التوجه الى
قصة المديرية وقاعدتها وهى مدينة أسيوط وكنـت أجمع بالشيخ عبد الظاهر
الريمونى كل يوم وتذاكر مسائل العلم وفى صباح يوم الخميس استعددت
للسفر بالقطار الى أسيوط فيينما أنا على ذلك اذا براكين على حمارين قد أقبلـا
ونزلا وسلما على الشيخ ابراهيم الطبيب وقالـا له أين الاستاذ المغربى الذى
بلغنا أنه عندك فقال لهما وأشار الى هذا هو يريد أن يسافر الى أسيوط الآن
فقال أحدهما وهو الشيخ عبد العليم رحمة الله عليه أيها الاستاذ ان
اخوانك السلفيين فى الريمون يقرؤونك السلام ويلتمسون أن تتفضل عليهم
بالزيارة ولو ليوم واحد فان استاذنا الشيخ عبد الظاهر أخبرنا منذ أربعة
أيام بقدمك فالتمسنا منه أن يدعوك الى قرينتنا فقال انك مستعجل تريد
السفر الى أسيوط ولا تستطيع أن تزورنا فقلنا له ولا يوما واحدا فقال ولا يوما

واحدًا وكررنا عليه الطلب في اليوم الثاني والثالث حتى يُسنا منه فأرسلنا
أخوانك لندعوك اليهم لما علموا أنك عزمتم على السفر إلى أسيوط وقالوا لنا إن
وجدتموه سافر فسافرا إلى أسيوط وأبلغاه دعوتنا وأعلم أيها الأستاذ المحترم
أننا معشر السلفيين في قرية الريمون لا يزيد عددنا على مائة بيت وقد اشتدت
العداوة بيننا وبين قومنا المبتدعين عباد الأضرحة وشيوخ التصوف حتى انتقلت
العداوة من أمور الدين إلى أمور الدنيا ، وشيخ البلاد منهم ، والعمدة معهم ونحن
محاربون لأجل عقيدتنا ، فنرجو أن يهدي الله بك أخواننا ويجمع شملنا على
كلمة التوحيد واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم فلا تخيب رجاءنا فقلت
لهما أيها الإخوان العزيزان لستما في حاجة إلى كل هذا الإلحاح فأنني نذرت
لكم أن أدعو إلى توحيد سنة نبيه صلى الله عليه وسلم حيثما كنت وهذا أهم
غرض لي في الحياة .

الدعوة الى الله فى الصعيد

فركبت أحد الحمارين وتوجهت الى اليريمون مع الشيخ عبد العليم فلما وصلت نزلت فى مندرة أى مضيف الشيخ اسماعيل الصيفى رحمة الله عليه واجتمع الاخوان السلفيون واحتفلوا بى كأنى أحد الامراء ولم يكن عندى من الكتب الا مجموعة الرسائل التى نشرها عيسى بن رميح رحمه الله وهى رسائل فى التوحيد فبدأت الدعوة بعد صلاة المغرب فى المندرة المذكورة واجتمع أهل القرية كلهم تقريبا فلم تسعهم المندرة فجلسوا فى الشارع وكان فى مقدمتهم شيخ البلاد الشيخ يوسف رحمة الله عليه فأخذ يلقي على أسئلة فى التوسل بالاولياء وشد الرحال الى زيارة قبور الصالحين والذبح والنذر وأوراد الطريقة والاستمداد من الشيوخ والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وما الى ذلك وأنا أجيبه بحلم وأناة وصبر وهبنيه الله لم أعهدده فى نفسى قبل ذلك .

إذا اصطفاك لامر هياتك له يد العناية حتى تبلغ الاملا

وحضر هذا الدرس أستاذ الجماعة الشيخ عبد الظاهر اليريمونى فأخذ يبحث عن عشراتى فى النحو والصرف واللغة ويلقى على أسئلة بقصد الزرايسة واظهار نقصى فقابلت بتوفيق من الله كل ذلك بأدب وحلم كما يفعل التلميذ المتأدب مع أستاذه وصرت اذا أجبته عن سؤال فلم يقبل جوابى أسلم له وأقول له تفضل يا حضرة الاستاذ وأفدنا فى هذه المسألة بما علمك الله فصبر الجماعة لهذه المقاطعات على مفض ثم عيل صبرهم فقال الشيخ اسماعيل صاحب البيت يا شيخ عبد الظاهر هذه المسألة اللغوية التى تقطع بها على الاستاذ المغربى كلامه لا فائدة لنا فيها دعها الى الوقت المناسب لها ، ثم أنطلق فى الوعظ شوطا أو شوطين ، واذا بالشيخ عبد الظاهر يعود الى أسئلته فأعود أنا الى التسليم والادب فيزداد المستمعون غيظا ويعيدون عليه قولهم ، واستمر الامر على ذلك ثلاث ليالى ولم ينته عما نهوه عنه فخشنا له القول وانتهروه فقال لهم هذا ضيفى أصنع به ما أشاء ويحق لى لو شئت أن أقول له ان أيام الضيافة ثلاثة وقد انقضت

فتفضل فارحل لقلت له ذلك ، فقال له أحدهم وأظنه الشيخ اسماعيل (ايه ده يا خوى أنت ما تقدرش تقوله كده ده ما هو ضيفك ده ضيفنا حنا احنا دعونا واحنا مجناه بعدما ترجيناك أنت تدعوه ويثسنا منك) معناه ما هذا يا أخى انه ليس ضيفك وانما هو ضيفنا نحن ولا تستطيع أن تقول له ارحل فعند ذلك غضب الشيخ عبد الظاهر ولم يعد يحضر دروس الوعظ والدعوة .

السور الخفى

كانى بك أيها القارىء قد تلجلج فى صدرك سؤال تريد الاجابة عنه وهو لماذا امتنع الشيخ عبد الظاهر من دعوتك ولماذا صار يعكر عليك درسك وفى النهاية يريد أن يطردك ؟ الجواب ، اذا ظهر السبب زال العجب اعلم يا أخى ان الشيخ عبد الظاهر كان قد خط لنفسه خطة فى الدعوة وهى أنه كان يفرض على كل واحد من السلفيين فى الريمون أن يبايعه بيعة تشبه فى بعض نواحيها بيعة المريد المتصوف لشيخ الطريقة وكانت شروط هذه البيعة شديدة الى حد أنه لو وقع من أحد الاخوان شىء طفيف مما يخالف ما يريده الشيخ عبد الظاهر، يغضب عليه ويقول له انتقضت بيعتك فتب الى الله وبايعنى من جديد فلا يسعه الا أن يتوب ويبايع من جديد والا طرده الشيخ وأخرجه من حضيرة الاخوان ومن أمثلة ذلك أن بعضهم كان عنده ضيف فصب القهوة وبدأ بالضيف قبل الشيخ فغضب عليه وأمره بتجديد البيعة ، ومن ذلك أن الشيخ عبد الظاهر كان قد بلغ من العمر خمسا وثلاثين سنة ولم يتزوج فعتب عليه بعض الجماعة وقالوا له أنت أستاذنا واماننا فلا ينبغي لك أن تبقى عزبا وأنت تعلم ما فرض الله على مستطيعى الباءة فقال لهم أنا فقير لا يرضى أحد أن يزوجنى ابنته ، فقال أحدهم أنا أزوجك ابنتى فسكت الشيخ ومضى على ذلك سنتان فجاء خاطب فخطب الفتاة فوعده أبوها خيرا ، فلما سمع بذلك الشيخ غضب عليه غضبا شديدا وقال له انتقضت بيعتك فتب الى الله واعدل عن تزويج الفتاة بذلك الخاطب فقد وعدتني بها منذ سنتين فكيف تزوجها شخصا آخر فقال أيها الاستاذ حقا عرضت عليك ابنتى فلم تجبني بنت شفة ومضى على ذلك سنتان فلم يبق عندي شك أنه لا أرب لك فيها فقال الشيخ كان الواجب يقضى عليك حين جاءك الخاطب أن تاتيني وتسالني عن رأيي فى التزوج بها فاما ان أتزوج

واما أن أرخص لك في تزويجها فاختلف الاخوان السلفيون في هذه القضية فبعضهم صوب رأى الشيخ وبعضهم صوب رأى أبى الفتاة واشتد نزاعهم وكان كثير من الاخوان يشكون في البيعة ويظنون أنها غير مشروعة وليست من السنة في شيء لانهم لم يروا أحدا من الدعاة الى السلفية فرضها عليهم قبل هذا الشيخ فهاتان مسألتان معضلتان تحتاجان الى أبى حسن يكشف عنهما ظلام الاشكال ويبين حكم الله فيهما ، ولما رأى الشيخ عبد الظاهر فى مدينة ملوى ، خاف أن اتصل باخواننا فيسألونى عن القضيتين فأجيب بخلاف رأيه فلذلك فعل ما فعل ليحول بينى وبينهم ولم يدر أنه لا حيلة تنفع فى رد المقذور فوق ما خافه ولذلك أخذ يعاكسنى فى دروس الوعظ وحاول أن يطرمنى .

عودة الى دروس الوعظ

استمرت فى القاء الدروس كل مساء فى مندره الشيخ اسماعيل الصيفى ونسيت أن أقول ان الشيخ عبد الظاهر اليريمونى رحمه الله بلغ فى المعارضة والمعاكسة الى أن خالفنى فى أمر لم يزل يقرره ويدعو اليه وهو منع شد الرحال الى زيادة قبور الصالحين فقال له اخوانه يا لله العجب أنت بنفسك لم تزل تقرر المنع فقال تغير رأى وهل أنا معصوم ومن طباع المصريين المحموده وما اكثرها أن المرؤوس اذا ظهر له الحق لا يفكر فى مذهب الرئيس واعتقاده بل يتلقى الحق بالقبول وان خالف رئيسه ولذلك كان الناس فى أثناء الوعظ يتوبون الى الله ويعلمون توبتهم من الشرك والبدعة فى كل ليلة يتوب اثنان أو ثلاثة وفى الليلة السادسة أو السابعة قام شيخ البلد فأعلن توبته وقال أيها الشيخ المغربى انك لم تاتنا بشيء جديد فكل هذه المسائل التى دعوتنا اليها سبقك اليها الشيخ على التونسى والشيخ عبد الظاهر اليريمونى وفلان وفلان ولكن الفرق بين دعوتك ودعوتهم أننا اذا جادلناك تصبر على جدالنا وتجبينا بلطف ولين حتى نقتنع وننتقل الى مسألة أخرى ثم أخرى الى أن يزول ما عندنا من الاشكال واما الدعاة الذين تصدوا للدعوة قبلك فقد كان لهم أسلوب آخر منى جادلناهم وعرضنا عليهم شبهاتنا قالوا لنا كفرتم فنقول لهم وأنتم أكفر وفتفرق على اقبح ما يكون ، ثم التفت الى الشيخ اسماعيل الصيفى صاحب البيت وقال له يا شيخ اسماعيل جزاك الله خيرا على دعوة هذا الاستاذ المغربى الذى هدانا

الله الى الحق بسببه ولك الفضل والحق ان تكون الدروس فى مندرتك وأن يكون
الاستاذ المغربى ضيفك ولكنى أطلب من فضلك أن تسمح لى بأن يكون هذا
الاستاذ أسبوعا عندك وأسبوعا عندى هذا فى الدروس الخاصة التى تلقى فى
المنادى وأنا أطلب من الاستاذ المغربى أن يلقى لنا درسا فى المسجد الجامع يوميا
وأن يصل بنا الجمعة ما دام مقيما عندنا فقال الشيخ اسماعيل انى أقبل هذا
الاقتراح بكل سرور ، فانتقلت الى مضيف شيخ البلد واستمرت على القاء
الدروس وأضفت اليها درسا بعد العصر فى المسجد الاعظم واعتذرت الى الشيخ
يوسف عن قبول ما عرضه على من صلاة الجمعة اماما وقلت له اننى لا أحب
الدعاء للملك فؤاد فى كل خطبة ولا أريد أن أكون سببا فى شر يصيبكم فحسبى
أن ألقى الدروس ، فقال رحمه الله أيهما صواب ، الدعاء للملك فى كل خطبة
جمعة أم تركه على ما جاءت به سنة النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له أنا أرى
تركه هو الصواب فقال (أيه ده يا خوى) نحن نعبد الله أو نعبد فؤادا ؟ اذا
رأيت الملك فؤادا أمامك فى الصف الاول فلا تبال به أنا المسؤول صل كما
أمرك الله واخطب كما أمرك الله ، وبعد توبة الشيخ يوسف تاب أهل البلد
عن بكرة أبيهم الا بيتين ، أحدهما بيت شيخ الطريقة والثانى بيت العمدة
الموفوت ، والمرفوت عندهم هو المعزول وخدامهما وبعدما كان السلفيون ممنوعين
من جميع المساجد لانهم وهايون أهل مذهب خامس تصافح أهل القرية كلهم
وزال كلما كان بينهم من العداوة فى الدين والدنيا وانتقلت العزلة التى كانت
ملازمة لهم الى شيخ الطريقة والعمدة المرفوت وخدامهما فأخووا يصلون منعزلين
فى زاوية فى وسطها قبر عليه تابوت كانوا يعبدونه وبلغت العداوة بين الفريقين
الى أن صار يتهم بعضهم بعضا باحراق الزروع فى البيادر واتهم المبتدعون
السلفيين باحراق تابوت ذلك الضريح الذى كانوا يعبدونه والحقيقة أن امرأة
أوقدت شمعة تتقرب بها الى صاحب الضريح وجعلتها على التابوت فلما
انقضت الشمعة وصلت النار الى التابوت فأحرقت بعضه وكأنى بعابد القبر
يقول يا هذا لقد أسرفت فى القول فهل يعبد مسلم يشهد أن لا اله الا الله
وأن محمدا رسول الله قبرا ؟ فأقول فى الجواب يمكنك أن تغالط بهذا الكلام
غيرى أما أنا فلا تستطيع أن تغالطنى لاننى أنا بنفسى كنت أعبد القبور فهذاتى
الله الى توحيدى وهدى بى خلقا كثيرا والله الحمد وأزيدك على ذلك ما يخرسك
ويلقمك حجرا أن الجهال فى هذا الزمان من أهل البلاد الاسلامية وما أكثرهم

يعبدون القبور والانصاب بل والاشجار ويعبدون كل شيء حتى الحمير ودونك
البرهان القاطع .

أما عبادة الاضرحة فأمر متواتر مشاهد بالعيان في أكثر البلدان المنتسب
أهلها الى الاسلام كما هو في بلاد النصارى وهؤلاء يزيدون التماثيل .
وأما عبادة الاشجار فقد حدثت من عهد بعيد فقد ذكر ابن أبي شامة في
كتاب البدع له أن شجرة كانت تعبد في دمشق في زمانه وأما في هذا الزمان
فحدث عن البحر ولا حرج فقد شاهدت شجرة عظيمة وافرة الاغصان تعبد
في مصر وأخبرني الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة أنه هم بقطعها وأخذ فأسا
واشتغل طول الليل الى أن كاد الفجر يطلع فلم يستطيع أن يقطع الا جزءا
يسيرا من اغصانها فجاء عبادها في الصباح بالنذور فوجدوا بعضها مقطوعا
فغضبوا غضب العابد لمعبوده واتهموا الشيخ المذكور ورفعوا شكوى الى العمدة
فطالبهم بالبينة فقالوا لا يوجد أحد في هذه الناحية يشنع على المتبركين بها
الا هذا الرجل ، فقال العمدة اني لا أستطيع أن أعاقبه بهذه الحجة التي
لا تتجاوز الظنون وأخبرني الحاج محمد أجانا وهو رجل قضى عمره في البدع
حتى بلغ السبعين ثم هداه الله الى التوحيد بدعوتنا أن له شجرتين يعبدهما
الفلاحون احدهما اسمها أبو بكر والاخرى نسيت اسمها وان الفلاحين يضعون
ادوات الحرث وغيرها مما يثقل عليهم حمله الى جانب احدى الشجرتين فلا
يتجرا أحد أن يسرق شيئا من ذلك مع أنهم سرقوا حصر المسجد ولو ذهبنا
نعدد وقائع عبادة الاشجار لظال بنا الكلام ، وأما عبادة الاحجار فهي كثيرة
أورد بعض وقائعها ، فمن ذلك حجر كبير ناشز في جبل بالصعيد في مديرية
أسيوط اخبرني اصحابنا أنه كان يسمى الشيخ دغارا وان جماعة منهم ذهبوا
ذات ليلة بمعاولهم واشتغلوا طول الليل فتركوا الشيخ دغارا أثرا بعد عين
ومنها أن صخرة في مرسى مدينة طنجة داخل البحر تسمى سيدى ميمونا
يعبدها أهل تلك الناحية وسبب اطلاعى على عبادتها اني كنت راكبا في سيارة
حافلة من طنجة الى تطوان سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى
وأتباعهم وكان الى جانبي رجل معه امرأة فسلم على وقال لي أنا ممن يحضر
دروسك في الجامع الكبير وقد هداني الله الى التوحيد بسبب ذلك ولكن
زوجتي هذه لا تزال متمسكة بالشرك فأرجو من فضلك أن تعظها لعل الله

يهدىها بوعظك كما هداني أنا وذكر لي قضية اشتد نزاعهما فيها تتعلق بعبادة الصخرة البحرية المسماة بسيدى ميمون وحاصلها أنهما لا يعيش لهما الأولاد إذا بلغ الصبى سنة يموت فنذرت زوجته أن تذبح عن ولدها فى كل سنة شاة لسيدى ميمون وقد حانت نهاية السنة الأولى من عمر الصبى قال فامتنعت أنا من الوفاء بهذا النذر وقلت أن عمر الصبى بيد الله وميمون صخرة لا تضر ولا تنفع فلم تقبل ، فوعظتها من طنجة الى تطوان مدة ساعة ولا أدرى هل انتفعت بوعظى وتابت من الشرك أم بقيت على شركها واكتفى بهذا القدر من الشواهد على عبادة الاحجار ، ومن عبادة المياه أن بئرا بالقصر الكبير يعبدها السفهاء ويسمونها سيدى ميمونا ويزعمون أن ابن أمير الجن شمهورش كثيرا ما يحضرها خبرنى بذلك غير واحد فى البلد المذكور وشاهدت حوادث أخرى من عبادة المياه فلا أطيل بذكرها وأما عبادة الحمير فأذكر فيها قصتين احدهما وقعت فى طرابلس الغرب على ما حدثنى به ثقة وذلك انه كان فى تلك الديار شيخ متصوف اسمه عبد السلام الاسمر كان يرقص مع أصحابه ويضربون بالدفوف حتى يخرؤا صرعى على الارض ويعتقدون أن الدف الذى كان يضرب به الشيخ عبد السلام نزل من الجنة وكان يضرب به على بن أبى طالب للنبي ، والشيخ عبد السلام والمريدون المنقطعون للعبادة معه لم يكونوا يكتسبون معيشتهم لانهم كانوا بزعمهم متوكلين وكان للشيخ المذكور حمارا يطوف على بيوت البلد وحده كل صباح ومساء وعليه خرج فكلما وقف بباب بيت يضع أهله شيئا من الطعام فى ذلك الخرج فيرجع الى الشيخ والمريدين بطعام كثير غدوة وعشية فلما مات الشيخ وتفرق المريدون بقى الحمار بلا عمل فصار الناس يقدمون له العلف ويتبركون به الى أن مات فدفنوه وعكفوا على قبره يعبدونه ، والقصة الثانية فى المغرب الاقصى قرأت فى سنة ستين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى فى صحيفة العلم مقالا لمعلمة اسمها خديجة النعمى من الدار البيضاء قالت خديجة خرجت مع نسوة جاهلات نتجول خارج المدينة فمررنا بكوم من حجارة فأخذت النسوة يقبلن تلك الحجارة ويتمسحن بها قائلات (أنتاع الله لله يا للا حمارة) معناه نسألك متاع الله أى ما أعطاك الله من الكرامة يا سيدتنا الاتان ، قالت فانكرت صنيعهن وقلت لهن ويحكنت تتخذن أولياء حتى من الحمير ، فقلن لى أسكتى انك لا تعرفين قدر هذه الولية

فكم قضت من حاجات ونخاف عليك أن تضربك ضربة يكون فيها حتفك
فسلمى للفارغ لكى تنجى من العامر (قلت وهذا مثل يضربه المغاربة لمن اعترض
على عبادة شخص وقال انه لا ينفع ولا يضر يقول له عباده ، (سلم للغاوى
تنجى من العامر) معناه هب أنه فارغ من الولاية فخير لك ان لا تعترض عليه
وأن لا تنكر ولايته لانك ان استمرت فى الانتكار يخشى عليك أن تصادف
وليا حقيقيا فيصيبك بشر ، ثم وجهت الكاتبة المذكورة دعوة الى العلماء وقالت
يا علماء الدين اتقوا الله وعلّموا الناس توحيد الله وشعائر دينهم فانكم ضيعتم
الامانة التى حملكم الله اياها حتى وصل الناس الى عبادة الحمير دون الله ،
فكتبت ثلاث مقالات تلبية لدعوتها ونشرت فى صحيفة العلم ولم يلب دعوتها
أحد غيرى من قراء صحيفة العلم وهم يعدون بالآلاف وأظن أن هذا القدر يكفيك
ان كنت منصفاً ويقنعك ان كنت متعسفا .

عود الى اليريمون

أول جمعة صليتها اماما فى اليريمون فى المسجد الاعظم كانت يوم عيد
عند اهل اليريمون وتمكن السلفيون لأول مرة من الصلاة فى المسجد الاعظم
وتعانق الناس وصاروا اخوانا متحابين وكان للسلفيين مسجد بنوه باللبن
وسقفوا نصفه بخشب النخل فصلى فى ذلك اليوم الشيخ عبد الظاهر فى ذلك
المسجد اماما وقال فى خطبة الجمعة يا اخواننا لا يخفى عليكم (أن المركب الذى
فيها ريسين تفرّك) يعنى أن السفينة اذا كان لها ربانان فما لها الفرق لان
الربانين يختلفان فيؤدى اختلافهما الى اختلاف النوتيه ويفضى بهم ذلك الى
الفرق وأن هذا المغربى قد فرق جماعتنا ووالى أعداءنا وأحدث فتنة فى البلد ،
فمن كان منكم ثابتا على بيعتى محافظا على عهدى فلا يكلمه ولا يجلس اليه ولا يستمع
لحديثه فلما فرغ من الصلاة ولم يصل معه الا الشيوخ الضعفاء الذين شق
عليهم المشى للجامع الاعظم غضبوا عليه وزجروه زجرا شديدا وقالوا له ما
نظن الا أنك اصبت بالجنون وان هذه الصلاة التى صلينا خلفك مشكوك فى
صحتها لانك تكلمت باللغو الذى لا يناسب خطبة الجمعة وهذا الرجل الذى
تكلمت فيه بغير حق ما راينا منه الا خيرا وهو يجلك غاية الاجلال فقال لهم
هذا فراق بينى وبينكم وقبل ذلك بيوم دعانى أحد الاخوان للغداء ودعا الشيخ عبد

الظاهر فقال لي يا شيخ محمد سمعت بأن المنافق يوسف شيخ البلد جاءك واطهر لك انه تاب من شركه وبدعته فقبلت توبته واطنك لا تعلم انه اكبر عندو للسلفين ولي انا بالخصوص وانا شيخ هذه الطائفة وامامها فان كان صادقا فيما يزعم فهلا جاء الى والتمس مني العفو وبايعني ، بل انت بنفسك يجب عليك ان تبايعني وان لا تخرج عن رأيي ، فقلت له يا شيخ عبد الظاهر والله انسى لا لا أحب أن أَرْضَى الله ثم أرضيك ما استطعت الى ذلك سبيلا فهب ان رجلا في الروضة وهي بلدة قريبة من اليريمون يدعو الى مثل ما ندعو اليه من التوحيد واتباع السنة وهذا الشيخ يوسف عدوى ولك فجاءه هذا الداعي ودعاه فتاب الى الله على يده من الشرك والبدعة وبقي مع ذلك مصرا على عداوتنا ، الا ينبغي لنا أن نفرح بتوبته لانه انقذ من شر عظيم يوجب له الخلود في نار جهنم ، أما عداوتنا نحن فانها معصية لا تخرجه من الاسلام وقد نزول فنصطلح معه ونعود الى الوفاق فقال لي هذا رأيك أنت ، اما أنا فأقول يجب على كل من أراد أن يتوب من الشرك والبدعة أن يرضيني ويبايعني فقلت له انى أوثر رضى الله على رضاك فقال هذا فراق بيني وبينك وسمعت بأنه كان يتعاطى الافيون وهو مخدر سام الله أعلم بصحة هذا الخبر ، وبقيت في اليريمون على تلك الحال نحو ثلاثة أشهر ، ثم حان وقت الحج وكنت في اثنائها أظهر الغنى ولم أسمح لاحد أن يدفع عنى أجرة البريد لرسالة أرسلها في البريد فضلا عن غير ذلك حتى صار الناس يعتقدون أننى غنى ولم يتجرأ احد أن يقدم لي شيئا لا دراهم ولا ثيابا الا شيئا من الخبز اليابس وشيئا من السمن في اناء من خزف انكسر حين ركبت العربة قبل أن أصل الى مستقرى في القاهرة والا كسوة كسانيتها الشيخ يوسف رحمه الله بعد أن قدم لها مقدمات من الالحاح الكثير .

المناظرة

لما استجاب لي شيخ البلد وتبعه الناس كلهم الا من ذكرت أعنى العمدة المرفوت وشيخ الطريقة أصاب هذين الرجلين من الغم والحزن شيء كثير فبعثنا الى الجامع الازهر ودعيا أحد كبار الاساتذة المعروفين بغزارة العلم وطلاقة اللسان لناظرني فجاء الاستاذ الازهرى ونزل في قصر العمدة المرفوت

فجاء اصحابنا واخبروني بقومه وقالوا لي ناظره فستنتصر عليه يقينا فان الازهريين ضعفاء في علم السنة والتوحيد ونحن العوام نغلبهم ، فقلت لهم انى ارى في هذه القضية رأيا مخالفا لرأيكم وهو اننى لا اناظره فانا حارث وزارع وقد دعوت أهل البلد فاستجابوا لي فليتنقدم وليدعهم هو الى الرجوع الى الشرك والبدعة فان رجع معه أحد فأبعده الله ومن تبعه فهو له ومن تبعنى فهو لي والمناظرة تعترها المشاغبة ثم المضاربة فلا تحقق حقا ولا تبطل باطلا فقالوا لي كلامك هذا يسبب لنا الهزيمة ويصدق قول أعدائنا أنك مغربى حاج ما درست فى الازهر ولا عندك الشهادة العالمية فقلت لهم صدقوا أنا جاهل ما درست فى الازهر ولا عندى الشهادة العالمية ولكن هذه المسائل التى ادعو اليها لو جاء شيخ الازهر ومعه علماء الازهر كلهم لم يستطيعوا أن ينقضوا منها شيئا غير اننى لا احب المناظرة ودعوا الاعداء يقولون ما شاعوا ، فلم يعجبهم كلامى وبقي الاستاذ الازهرى فى بيت العمدة خمسة عشر يوما حاول فى اثنائها أن يهجم على فى الدرس الذى ألقيه كل يوم بعد العصر بالمسجد الجامع فنهاه شيخ البلد وقال له نحن نثق بهذا الرجل ولا نشك فى صحة مادعانا اليه والله ان فتحت (بقك) اى فمك بكلمة واحدة لأمرن خفيرين أى حارسين يأخذانك الى محطة السكة الحديدية لانك تريد أن تحدث تشويشا وفتنة فبقى شيخ الطريقة وصاحبه العمدة حائرين وفى النهاية عمدا الى حيلة مكنتهما مما أراداه وذلك أننا كنا فى شهر رمضان وفى ذات يوم دعانى العمدة الحقيقى وهو رجل ملحد الى العشاء فأجبتة وألقيت كلمة أمامه فقال لي أنا على الحياء لست معك ولا مع خصومك يعنى شيخ الطريقة والعمدة المرفوت ولكن عقيدتكم أنتم أقرب الى العقل من عقيدتهم لان عبادة القبور وشيوخ الطريقة اهانة للكرامة الانسانية. ولما انصرفت من عنده كان طريقي يمر على باب قصر العمدة المرفوت فلما حاذيت بابه جاءنى شيخ الطريقة وسلم على وقال ان سعادة العمدة يدعوك الى فنجان قهوة فقلت عندى الآن درس فقال لي لا يستحسن أن ترد دعوته ولا تزيد على خمس دقائق فذهب بي حتى أدخلنى الى مقصورة وجدت فيها شيخا ذا عمامة ولحية فظهر لي أنه هو العالم الازهرى الذى دعى الى مناظرتى وكان ظنى صادقا فلم يكدم المجلس يستقر بي حتى هجم على الاستاذ الازهرى وقال لي يا فلان بلغنى أنك تقول كذا وكذا وكذا وعدد مسائل من التوحيد واتباع السنة فقلت

له أما كذا وكذا فقلته حقا وذكرت له دليلاً وأما كذا وكذا فلم أقله ووقعت المناظرة فعلا فحانت منى التفاتة فرايت حديقة القصر كلها عمائم وقلانس لم يبق أحد من أهل البلد الا حضر وتركوا لذلك صلاة التراويح فلم تزد المناظرة على نصف ساعة وكان الاستاذ الازهرى نسيت اسمه الآن من خيرة علماء الازهر فجعل يقول فى أثناء المناظرة أشهدكم أنى رجعت عن كل ما قلته فى هذا الاستاذ المغربى فان الناس نقلوا لى عنه مسائل مكنوبة عليه وأشهد أنه من العلماء المحققين وان كنت أخالفه فى بعض المسائل فعند ذلك علم العمدة المرفوت أنه اخفق فى سعيه فقال أيها الاساتذة أرجوكم أن تقطعوا هذه المناظرة أنا ما دعوت الاستاذ المغربى الى المناظرة وانما دعوته لاتعرف به ويشرب عندى فنجانا من القهوة فانتهدت المناظرة على ما يحبه أصحابنا ويكرهه خصومنا ، ومن رأى انى أبعث عن المناظرة وأتجنبها فاذا اضطررت اليها استعنت بالله وخضت غمارها ، قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا

الدعوة الى الله فى تندا وهى قرية تبعد عن اليريمون مسافة لا احصيها وفيها سلفيون واثنان من العلماء

جاءتنى دعوة من السلفيين من أهل هذه القرية فلبيتها وتوجهت اليهم واقمت عندهم ثمانية أيام ألقى الدروس فى المساجد فرجع عن البدعة والشرك خلق كثير قدر عددهم بنصف سكان القرية وعندئذ قال لى بعض أصحابنا اتق الله وامكث هنا فى مديرية أسيوط على الاقل سنة كاملة ، وأقسم بالله أنى لو أقمت سنة ليهدين الله بى أكثر سكان المديرية وقال لى ان هذه الفرصة التى سنحت لك من اقبال الناس على مجالس دعوتك قل ما يسبح مثلها ولا يجوز لك ان تضيعها ، فقلت له يمعنى من ذلك أن الغرض الذى سافرت من أجله من المغرب هو طلب العلم ولقاء أصحاب الحديث أينما كانوا وأنا لم أؤد فريضة الحج حتى هذه الساعة ، فقال لى أما طلب العلم فهذه المجالس الحافلة بالدعوة الى الله هى من صميم طلب العلم وأنت شاب يمكنك أن تستأنف رحلتك بعد ذلك ، وجاءنى اثنان من اغنياء أصحابنا فقال لى كل منهما أمكث هنا

وأنا مستعد أن أزوجه ابنتي وأكتب لك عند المأذون فدانين غلتهما تكفيك للمعيشة فاعتذرت اليهما عن القبول وقلت لهما ان الشيخ عبد الظاهر اليريموني عفا الله عنه يظن أنني أقصد الإقامة هنا طلبا للمعيشة لأقصيه وأحل محله ، فقالا معاذ الله أن يظن بك أحد مثل هذا الظن وفي أثناء إقامتي باليريمون قرأ على أخوان معلمان في المدرسة نسييت أسماءهما ختمة من القرآن بقراءة ورش وكانت نادرة في مصر في ذلك الزمان فلم تلبث أن انتشرت بعد ذلك وأولع بها القراء بقصد الأعراب على السامعين ، واكتسب المعيشة أي التآكل بالقرآن ، وفي صحيح البخاري ، باب من تآكل بالقرآن أو فخر به ذكر البخاري رحمه الله في هذا الباب حديث علي في الخوارج واستدل به علي أنه لا يحل الأكل بالقرآن فراجعه إن شئت

قدم مراد الله يقدم الله مرادك

تقدم انى تعففت أثناء إقامتي باليريمون وأظهرت الغنى .

تعفف ولا تبتئس فما يقض يأتىكا

وانما فعلت ذلك لعلمى أن الذى يأخذ من الناس لا يستطيع أن يعطيهم شيئا وان من كان له غرضان متضادان لا يمكن الحصول عليهما جميعا فلذلك وحدت همى ووجهت همتى بعد فتح الله لى قلوب الناس الى الدعوة وحدها كما قال الناصح .

اجعل الهم واحدا وأرض بالله صاحبا

وكنت أظن قبل التوجه الى الصعيد أن ييسر الله لى دراهم أحج بها حجة الفريضة بعدما أقمت فى مصر سنة وشهرا نفد كل ما كان عندى وكنت أنفق على نفسى وأخى الاستاذ محمد العربى الهلالى الذى صحبتته معى وكان صغيرا لكن لما حصلت على تلك الغنيمة فوضت الامر الى الله وقلت .

عسى فرج يأتى به الله أنه له كل يوم فى خليقته أمر

وبعد وصولى الى القاهرة ببضعة أيام جاءتنى حوالة من الشيخ يوسف بثلاثة عشر دينارا فكانت كافية لان أحج بها وأنا وأخى وهذا ما أردت بقولى
قدم مراد الله يقدم الله مرادك .

هل بقى أهل الريرمون ثابتين على الدعوة ؟

الجواب نعم بعدما سافرت الى الحجاز ثم الى الهند ثم الى العراق رجعت الى مصر سنة خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف فزرت الريرمون ووجدت الاخوان ثابتين على الحق لم يضرهم من خالفهم وأخبرني الشيخ يوسف رحمه الله أنه لما شاع في أنحاء الصعيد أن أهل الريرمون بدلوا الدين وأحدثوا ديناً جديداً بعثت وزارة الاوقاف مفتشاً ليعرف حقيقة ما وقع قال فجاءنا وقال يا شيخ يوسف بلغنا أنكم تركتم الترقية وقراءة سورة الكهف والاذان الثاني في يوم الجمعة وكذا وكذا قال فقلت له أنت عالم ونحن جهال وسترى صلاتنا وعبادتنا فكلمنا رأيته مخالفاً للسنة المحمدية فأخبرنا به نرجع عنه وكلما رأيته ناقصاً من السنة فأخبرنا به نفعله ، فقال لي يا شيخ يوسف السنة على الرأس والعين ولكن لا يخفى عليك أنه قد حدثت أمور بعد زمان النبوة استحسناها الناس ودأبوا عليها ومن الصعب ازالتها وقد قال العلماء ان البدعة تعترها الاحكام الخمسة فقد تكون واجبة أو مستحبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة ، قال فقلت أنا كما تعلم لست من العلماء ولكني سمعت غير واحد من العلماء الثقات الذين لا أشك في علمهم ولا في صدقهم يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فسروا لنا هذا الحديث كما يدل عليه ظاهره ولم يقل أحد منهم ان بعض البدع واجب وبعضها مستحب وبعضها مباح ، فقال المفتش ثم لا يخفى عليكم أن المساجد للاوقاف هي التي بنتها وهي التي تنفق عليها وهي تريد ان تسير على ما كانت عليه ، قال الشيخ يوسف فقلت له (ايه ده يا خوى بس كدا ؟) أنا أستطيع أن أبني مسجداً في سبعة أيام وأترك المسجد الجامع فارغاً لا يصل فيه أحد الا الامام والمؤذن ، قال المفتش يا شيخ يوسف أو نعمل شيئاً آخر قال فقلت هات ما عندك ، فقال أنا مبعوث اليكم من قبل الاوقاف لاقدم تقريراً فيما نسب اليكم من المخالفات فأقترح عليك أن تأمر المؤذن والامام يوم الجمعة باعادة تلك الامور التي كنتم تصنعونها من قبل لاستطيع أن اكتب تقريراً أكذب فيه ما نسب اليكم وبعد ان افارقكم وأعود بالتقرير الى من أرسلني اصنعوا ما شئتم ، قال فقلت أنا موافق فأمرت الامام والمؤذن أن يفعلوا تلك البدع المخالفة للسنة

يوم الجمعة ففعلها وصلينا الجمعة كما أراد المفتش ثم عدنا الى ما كنا عليه
وهنا ينبغي أن اقتبس أبياتا من القصيدة التائية التي نظمها بالهند وذكرت
فيها توبتي من الشرك والبدعة ورحلتي في طلب العلم واقتصر على ما يخص
الدعوة في اليريمون لاني قد أدرجت القصيدة كلها في كتاب الهدية الهادية
الى الطائفة التجانية والابيات التي تخص اليريمون هي :

أتيت الى مصر لاخبر خبرها
وكنا سمعنا قبل أن في ربوعها
وصلت فلم ألقى سوى أهل بدعة
سمعت بها الالحاد يعلن جهرة
رأيت بها الاوثان تعبد جهرة
ويدعون دون الله من لا يجيبهم
لهم جعلوا قسما بمال والسدة
حشا ثلة مستضعفين رأيتهم
وهم صبر مستمسكون بدينهم
وما صدهم ايداؤهم عن جهادهم
اقمت بها عاما الى الله داعيا
يعدون بالآلاف في اليريمون كلها
وانظر هل فيها شفاء لفلتي
رجال لنصر الدين أصحاب شدة
وشرك والحاد وشك وردة
بجامعة للشر مع كل فتنة
قبورا عظاما ناخرات أجنت
وهم عن دعاء القوم في عظم غفلة
فلا عاش من قد ظنهم أهل ملية
تسومهم الاعداء سوء الاذية
ويدعون ما استطاعوا لبيضاء نقية
لانهم أهل النفوس الابية
فأرشد رب الناس قوما بدعوتى
م أهل اخلاص وأهل فتوة

من مخارق شيوخ المتصوفة المبتدعين

حكى لى أصحابنا فى اليريمون اننى بعدما سافرت من بلدهم زارهم شيخ
طريقة اعتاد من قبل أن يزورهم الفينة بعد لفينة فاستقبلوه استقبال ضيف
عادى ولم يقبلوا يديه ورجليه ولم يخضعوا له الخضوع المعتاد قبل توحيدهم
لله ، فأنكر ذلك وقال ما خطبكم أراكم تبدلتم ؟ قالوا ماذا تريد منا نحن
مستعلون لضيافتك فاقترح ما تشاء فقال لهم ما هذه الوجوه هى الوجوه التى
أعرفها ولا الاستقبال هو الاستقبال الذى عهدته فيكم ، فقال له أحدهم وماذا
تريد منا أتريد أن نعبدك من دون الله لقد تاب الله علينا وهدانا الى توحيد
واتباع رسوله فنحن لا نريد منك شيئا ولا نسأل حاجتنا الا من الله ولا نتبع

في الدين الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الشيخ وهو غضبان تغلي
مراجله يا عكروت (العكروت كلمة شتم في العامية المصرية بمعنى اللئيم) أنا
قتلت نفسا لاجلك وتقابلنى بهذه الوقاحة ؟ فقال الرجل وكيف كان ذلك فقال
الشيخ جاء رجل يسرق من مزرعة البطيخ التي زرعها على شاطئ فرع النيل
فوجهت له همتي وقتلته فضحك الرجل وقال له يا سيدنا الشيخ قد أخطأت في
حسابك ان المزرعة التي تعنى جاءها فيضان النيل ، فأتى عليها قبل أن تثمر ،
فغضب الشيخ ورحل ولم يقبل ضيافتهم وعلم أن رزقه منهم قد انقطع فذهب
يبحث عن غيرهم كما يبحث الذئب عن الحملان . ومن عرف معنى لا اله الا الله
محمد رسول الله وعمل بمقتضاها حفظه الله من شياطين الجن والانس .

وحدثوني عن هذا الشيخ نفسه أنه كان في ضيافتهم في مندرة فنظر فلم
ير أحدا وأوحى اليه شيطانه أن يأتي بمخرقة ليرهبهم بها ويستدر خدمتهم
وأموالهم فنزل من فوق المقعد الخشبي واندس تحته وقد سدل عليه ستار كما
هي العادة في ذلك الزمان في المنادر فدخل أحدهم فلم يجده وهم يعلمون يقينا
أنه لم يخرج فقال يا جماعة قد فقد سيدنا الشيخ فدخلوا كلهم ولم يشاهدوا
شيئا ثم خرجوا فلما خلا له الجو خرج من مخبئه وقعد في مكانه وانطلقوا هم
يفتشون عنه في البلد كله فلم يجدوا له أثرا ثم رجع أحدهم فوجده في مكانه
فحاطوا به يتمسحون به ويقبلون يديه وهم في هلع عظيم وقالوا يا سيدنا
الشيخ (كرى ايه ؟) ، يعنون ماذا جرى عهدنا بك جالسا على المقعد ثم دخلنا
فلم نجدك وانطلقنا نبحت عنك ثم رجعنا فوجدناك ، فقال زرت اخواتكم المجاهدين
في طرابلس الغرب (في هذا الزمان تسمى ليبيا) فوجدتهم في معركة عنيفة
مع أعداء الاسلام الايطاليين فأكبوا عليه مرة أخرى يقبلون يديه ويتمسحون
بشباب هذا البطل المجاهد وما هي من أفعال المبطلين بالشيء الغريب .

الدعوة الى الله فى تطوان

فى شهر آذار «مارس» من سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة والى بتاريخ
النصارى ، اتفقت مع سماحة المفتى السيد أمين الحسينى على التوجه من برلين
الى شمال المغرب وحملنى رسالة شفوية الى الاستاذ المجاهد رئيس حزب
الاصلاح الوطنى الزعيم عبد الخالق الطريس رحمة الله عليه تتعلق باصلاح
حال المسلمين فى شمال المغرب وكان فى ذلك الزمان القسم الشمالى من المغرب
يسمى المغرب الاسبانى لان المغرب كان مجزأ الى ثلاثة أجزاء المغرب الفرنسى
وهو القسم الاكبر من المغرب عدد سكانه زهاء أحد عشر مليوناً ، والمغرب
الاسبانى وعدد سكانه زهاء مليون واحد ، وطنجة ونواحيها وهى دولية ، وكان
الجرمانيون فى أوج عزهم فلما وصلت الى تطوان فرع الاسبانيون المستعمرون
من قلوبى وساء ظنهم ، لانهم وان كانوا مع الالمانيين فى السياسة ظاهراً الا
أنهم لا يأمنون جانبهم فظنوا أننى جئت مبعوثاً من الالمانيين لاتصل بزعماء
المغاربة وأسعى فى اخراج الاسبانيين ليحل الجرمانيون محلهم وهو ظن كاذب
فمنعونى من الرجوع الى البلاد الجرمانية ، بتواطىء مع القنصلية الانكليزية
فى تطوان فاضطرت الى البقاء فى تطوان ونواحيها زهاء ست سنين وجرت على
حوادث ذكرها هنا كلها يخرجنى عن الموضوع وانما أذكر منها ما يتعلق بالدعوة
الى الله تعالى وكنت فى ذلك الوقت عديم الجنسية لان الانكليز تواطؤوا مع
السفارة العراقية فى روما أن لا تجدد جواز سفرى فقدمت الى تطوان بجواز ملفق
بعته الى الاستاذ عبد الخالق الطريس فسهل على الاسبانيين المستعمرين
المستعبدين أن ينتزعوا منى ذلك الجواز وأن يجعلونى تحت المراقبة ثم استطعت
أن اقنعهم بكذب ظنهم بعدما اقترحوا على كتابة مقال أصرح فيه بأن الجرمانيين
لا حق لهم فى استعمار المغرب فكتبت مقالا قلت فيه : ان المغرب للمغاربة لا حق
للفرنسيين ولا للاسبانيين ولا للجرمانيين فى الاستيلاء عليه فرضوا بذلك
ولكنهم شرطوا على أن لا أكتب مقالا ولا ألقى دروساً ولا خطبة الا بعد اطلاعهم

واستئذنانهم وهددونى بان يسملونى للفرنسيين الذين نفونى قبل من القسم الذى تحت أيديهم ولو ظفروا بى لانتقموا منى أشد انتقام ، وبقيت هناك عاطلا عن العمل فبعد مدة جاءنى جماعة من محبى العلم والاصلاح والتمسوا منى أنأ ألقى دروس وعظ فى المسجد الجامع ويسمى باللغة المغربية الجامع الكبير فقلت لهم ان الاسبانيين شرطوا على أن لا ألقى درسا بدون اذنهم ، ثم جاءنى جماعة من طلبة المعهد الاسلامى فالتمسوا منى مثل ذلك فأجبتهم بالجواب نفسه فقالوا لى كلهم انهم لم يمنعوك منعا باتا وانما علقوا ذلك على اذنهم فاستأذنهم وكان الحاكم المدنى قد عين أحد الضباط اسمه بردا واسطة بينى وبينهم ، فأخبرت بردا بطلب الجماعتين فبلغ الامر الى سيده فقال له ، لا ما نع عندنا من ذلك ولكن مدير المعارف (وهو اسباني طبعا) متعصب جدا ومعتد بنفسه فاذا رأى الدكتور الهلالى يلقى دروسا بدون استئذانه يخاف أن يكيد له كيدا فيستحسن أن يطلعه على ذلك لينجو من شره فشاورت الاستاذ عبد الخالق الطريس رحمه الله وكان قد عيننى أستاذا فى المعهد الحر وهو مؤسسة وطنية خارجة عن نفوذ المستعمرين نوعا ما ، فقال لى اکتف بالقاء الدروس فى المعهد ودع عنك هؤلاء الارذال فصرفت النظر عن ذلك ، ثم عادت الجماعتان الى الالتماس وقلت عسى أن يكون فى اجابة طلبهم خيرا ، فقلت لبردا أخبر مدير المعارف بأنى أريد زيارته فأخبره فرحب بذلك واجتمعت به بحضور مدير المعارف المغربى وكان حضوره صوريا لا حول له ولا قوة ومع ذلك حاول أن يستغل وجوده فأراد أن يشترط على شرطا يتنافى مع الغرض المطلوب فقال لى ان الاسبانيين يشترطون عليك أن تكون دروس وعظك خالية من السياسة وخالية من الآراء الشاذة يريد بذلك انكار الشرك والبدع فقلت له أنا لا أقبل هذا الشرط وسأتكلم مع المدير الاسباني فان أصر عليه عدلت عن القاء الدروس فتكلم المدير الاسباني وقال لى لقد فرحت بزيارتك لانى أحب العلماء وخصوصا أمثالك الذين يجمعون بين الثقافتين الاوربية والاسلامية وهم قليل بل ما رأينا منهم أحدا قبلك ولكنى أكره للعلماء أن يشتغلوا بالسياسة لانها تفسد عليهم علمهم وفى رأى أن على العالم أن ينقطع لخدمة العلم ويترك السياسة فقلت له يمكنك أنت أن تفعل ذلك أن تنقطع الى العلم وتترك السياسة لان لك دولة قائمة تغنيك عن ذلك ، أما أنا فلا يمكننى ترك

السياسة لأميرين ، أولهما أن القرآن والحديث كلاهما مشحونان بالسياسة فلا يمكن أن أفسر القرآن وأشرح السنة الا بالخوض في السياسة ، وثانيهما أن المغرب في هذا الزمان كالجسم المريض ونحن أبناءه يجب علينا السعى في استرداد ما فقد من الصحة والمحافظة على ما لم يفقده منها ، فقال أنا أوافقك على أن المغرب مريض ولكن ينبغي لنا أن نعطيه الدواء اذا أردنا شفاؤه بقدر محدود فقلت له مغالطا اذا نحن متفقون على السعى في علاجه وشفائه وفهمت منه الموافقة على القاء الدروس وبدأت بالقاء ثلاثة دروس في المسجد الجامع كل أسبوع فأقبل الناس علماءهم وعامتهم على هذه الدروس اقبالا عظيما مع أن علماءهم الا واحدا وهو الاستاذ محمد الطنجي كانوا معادين ومخاربين للتوحيد واتباع السنة أشد المحاربة وهددوا بأن يعينوا لجنتين احدهما تناظرني في الاصول والاخرى تناظرني في الفروع فلم أعبا بهم وأخذت أحطم أصنامهم في دروسى ولما بدأت دروسى في الجامع الكبير لم يكن أحد يضع اليمنى على اليسرى في الصلاة ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة أعظم شعار للمتبعين للسنة فبدأ العوام يعملون بهذه السنة وغيرها وكان الناس يتعجبون من العاملين بها ولكن باستمرار الدروس بضع سنين كثر المتبعون للسنة في هذا المسجد حتى صار الناس اذا رأوا رجلا سادلا يديه في الصلاة لا يرفع عند الركوع ولا عند الرفع منه ولا يجهر بالتأمين ينعجبون منه .

« الحوادث التي وقعت اثناء اقامتى في شمال المغرب »

الاولى : كان في طنجة الشيخ أحمد بن الصديق شيخ الطريقة الشاذلية المسماة هناك بالدرقاوية سمعت أن اياه محمد بن الصديق ورد طنجة منذ زمان غير بعيد من قبيلة غمارة فقيرا لا يملك شيئا ودعا الناس الى الدخول في طريقته فاستجاب له بعضهم ونمت دعوته الى أن أسس زاوية والزاوية في الحقيقة كالضرة للمسجد فهي بناء قصد به اقامة الصلوات الخمس مع الاذان في كل وقت وقراءة القرآن والقاء دروس الوعظ فهي الى هذا الحد تشبه المسجد وتكاد تكون اياه ولكن قد قصدتها بالدرجة الاولى اجتماع طائفة مخصوصة لها اسم يعينها كالدرقاوية والتجانية والقادية والزروقية والناصرية والكتانية

والكرزازية والوزانية وهلم جرا يجتمعون فيها لما يسمونه بالذکر وهذا الذکر يكون جماعة بلسان واحد كترانيم النصارى فى كنائسهم وبالنسبة للدرقاوية التى نحن بصدد الكلام فيها يكون معه غناء ورقص وآلات اللهو كالطبل والدف والمزمار وسائر الآلات ويجتمع فيها رجال ونساء على ذلك وبذلك تخالف المسجد وبعدهما استقر الشيخ محمد بن الصديق فى طنجة وانتشرت طريقته بعض الانتشار نشأ اولاده وشبوا فأخذوا يقصدون مصر لطلب العلم وكبيرهم فى السن والعلم هو الشيخ أحمد المذكور آنفا أقام بمصر سنين جادا مجتهدا حتى حصل على نصيب وافر من علوم اللغة والعلوم الشرعية وفتح له فى التأليف فألف كتبا كثيرة ورجع الى طنجة وكان أبوه وأصحاب طريقته الى حين رجوعه مقلدين كغيرهم لا يعملون بالحديث ولو كان مثل الشمس ، فدعاهم أحمد الى ترك التقليد والعمل بالحديث فى الفروع التى لا تمس الطريقة وعقائدها بشئ من التغيير فاستجاب له والده وأتباعه كلهم وبذلك ضرب سورا على أتباعه يحرسهم من فتنة الفقهاء المقلدين فلا يمكن ان يسألوهم عن شئ ولا أن يأخذوا منهم شيئا من العلم ، أما عبادة القبور والرقص واعتقاد وحدة الوجود وتقديس زنادقة الصوفية كابن عربى الحاتمي وتعاطى الاوراد المبتدعة والاستمداد من الشيوخ والاستغاثة بهم فقد ترك كل ذلك على حاله ولم يغير منه شيئا .

ولما استقرت انا فى تطوان وهى شرقى طنجة على مسافة أربعين ميلا وعرفت ذلك كله ظهر لى أن دعوة الشيخ المذكور توافق دعوتى فى جانب وتخالفها فى جوانب فعزمت على أن ادعو الى توحيد الله واتباع السنة دون أن اعرض للشيخ أحمد بطعن ولا بتزكية من الوجهة الشخصية فانا ادعو الى توحيد الله وأعلم الناس معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله أى جميع مدلسولات الكلمتين وابين لهم ان من عبد غير الله بشئ من انواع العبادت المذكورة اعلاه بعد أن يعرف أن هذا شرك ويصر على عمله فهو مشرك ومن اعتقد وحدة الوجود فهو كافر ومن استمد أو استغاث بغير الله فهو كافر ومن ترك الكتاب والسنة وقلد الرجال قلادة سوء فهو ضال وقد يفضى به إصراره على ذلك الى الشرك كما قال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) قال الامام أحمد لصاحبه الفضل بن زياد رحمهما الله : أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله إذا ودَّ بعض قوله (يعنى النبى صلى الله عليه

وسلم) أن يقع في قلبه زيغ فيهلك ، وهذا تفسير للآية في غاية التحقيق من وجهة الدلالة ومن وجهة العلم والمعرفة الذوقية لا يرتاب فيه الا جاهل غمر ، وانتظرت من الشيخ أحمد بن الصديق أن يسلك معي هذا المسلك نفسه فلا يدعو الى تلك الضلالات ويذم أهل التوحيد بل يتمسك بعقيدة السلف الصالح وذلك لازم لدعوته على سبيل العموم دون أن يسميني ولكنه سلك طريقا آخر ففره استيظانه في طنجة وما له من أتباع وعلم أنى غريب في تلك الناحية يحاربنى الاستعمار ولا يخفى ما كان له في ذلك الزمان من سلطان ويحاربنى جميع الناس تقريبا فبعضهم يحاربنى لانه طرقي لاني أظن في الطرائق كلها الا طريقة النبي والصحابة والتابعين وهى الحنيفية وبعضهم يحاربنى لانه مقلد جامد يقلد خليل بن اسحاق مؤلف المختصر الفقهي وشروحه ولا يخجل أن يقول نحن خليليون ان دخل خليل النار دخلناها معه وان دخل الجنة دخلناها معه ، هكذا يقول غلاة السفهاء الذين يسمون بالفقهاء .

حدثنى الشيخ الورع الصالح محمد بن أبى طالب الحسنى الهاشمى ان الفقهاء اجتمعوا فى مدينة فاس فى الضريح الادريسي الذى يكاد يكون كعبة عندهم وكان الشيخ الامام المحدث الداعى الى الله على بصيرة شيخ شيوخنا عبد الله السنوسى نزيل طنجة رحمة الله عليه يطعن فى أولئك الجامدين ويضلهم فجاءه احدهم بعد انقضاء الاجتماع فى الضريح المذكور فقال له يا سيدى لم تشرفنا بحضورك فقال أنت تعلم لماذا فانكم اجتمعتم للصلاة عند القبر وأنتم أسارى التقليد الاعمى فقال له المقلد نحن خليليون ان دخل خليل النار دخلناها معه وان دخل الجنة دخلناها معه فقال الشيخ على البديهة (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) فبدأ الشيخ أحمد يطعن فى علمى عندما أخذت أدعو الناس الى اتباع الكتاب والسنة يقول هذا طفيل جاء من أوربا يتزيا بالزى الاوربى وهو زى الكفار فمن أين جاءه علم الكتاب والسنة وأين درسه أفى برلين أم فى بون ثم بدأ للاسبانيين المستعمرين أن يؤسسوا صحيفة عربية يومية جامعة فطلب منى الحاكم الاسبانى بواسطة بردا أن أشرف فيها مقالات فى الدين والعلم والادب دون أن أتعرض للسياسة ، وكان هذا امتحانا ثانيا ارادوا أن يمتحنونى به فقبلت وكتبت مقالات على شريظتهم منها مقال فى حل حديث المشكل ذكره الامام ابن القيم فى كتابه الطرق الحكيمة وذكر من خرجه مع أسانيدهم وقال

انه على شرط مسلم الا أن بعضهم غلله باضطراب متنه ثم أجاب ابن القيم عن ذلك وأثبت صحة الحديث وسأسوق الحديث هنا ليطلع عليه القراء بلفظ النسائي .

قال ابن القيم ص 62 ما نصه : قال النسائي حدثنا محمد بن يحيى بن كثير الحراني ، حدثنا عمر بن حماد بن طلحة ، حدثنا أسباط بن نصر عن سماك عن علقمة بن وائل عن أبيه « أن امرأة وقع عليها رجل في سواد الصبح وهي تعمد الى المسجد بمكروه على نفسها فاستغاثت برجل مر عليها وفر صاحبها ثم مر عليها ذوو عدد فاستغاثت بهم فأدركوا الرجل الذي كانت استغاثت به فأخذوه وسبقهم الآخر فجاءوا به يقودونه اليها فقال : أنا الذي أعشتك وقد ذهب الآخر ، فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته أنه وقع عليها وأخبر القوم أنهم أدركوه يشتد فقال انما كنت أغيتها على صاحبها فأدركني هؤلاء فأخذوني . فقالت كذب هو الذي وقع على ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلقوا به فأرجموه فقام رجل ، فقال لا ترجموه وارجموني فأنا الذي فعلت بها الفعل واعترف فاجتمع ثلاثة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وقع عليها والذي أغاها والمرأة ، فقال : أما أنت فقد غفر لك ، وقال للذي أغاها قولا حسنا ، فقال عمر رضى الله عنه : ارجم الذي اعترف بالزنا فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (لا انه قد تاب) وكان يحثى في هذا المقال منصبا على الاشكال الواقع في الحديث وهو كيف أمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم الرجل الاول الذي أغاها دون أن تثبت عليه بينة الزنا وهي الاعتراف أو شهادة أربعة شهداء فما كاد المقال يقع في أيدي الناس ويقرأ حتى اشتد غضب الشيخ أحمد بن الصديق وكاننى هجمت على بينه ونهبت أئمن ما عنده وقال ما شأن هذا الرجل والحديث هذا رجل متفرنج أقام زمانا طويلا فى أوربا متطفل على الكلام فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم فكتب مقالات هو وأعوانه فى الرد على وكان محرر صحيفة الاخبار شخصا اسمه عرفة الغمارى بينه وبين الشيخ المذكور قرابة فكان اذا جاءه مقال منه أو من أحد أعوانه الذين كانوا يحاربونى معه يبادر بنشره ويؤخر مقالى بعض التأخير لكنه لا يستطيع أن يترك نشره لأن ساداته المستمعين لا يسمحون له بذلك واستمرت المعركة مدة من الزمان فيما بينى وبينهم وكانوا كعادتهم يمزجون الشتم بالعلم فادع

الشتيم لا اجيبهم عنه واجيبهم عن المسائل العلمية فقط فاكتسبت بذلك وبالحدج
القوية التي ادليت بها كثيرا من الانصار من قراء صحيفة الاخبار ، وكان مدار
رد الشيخ احمد على مقالى غريبا لا يتلحق بأصل الاشكال بل سلك سبيلا اخرى
وهى قوله ان الحديث ضعيف لا بالاضطراب فى المتن كما قال بعض الحفاظ
ولا بالانقطاع فى بعض أسانيده كما قال غيرهم ولكن بدعوى أن سماك بن حرب
الذى عليه مدار الحديث ضعيف واذا كان الحديث ضعيفا لا يثبت فلا حاجة
الى البحث فى الاشكال الذى وقع فيه فأثبت فى حاجتى لهم أن أكثر النقاد
وثقوا سماكا وهو من رجال مسلم ثم وجدت أن الشيخ احمد بن الصديق نفسه
يحتج بسماك هذا فى أحد كتبه وبينما المعركة جارية قد حمى وطيسها اذا
برجل اسمه عبد القادر الجزائرى كان من جماعتهم الطرقيين ثم صار من جماعتنا
السلفيين يكلمنى بالتلفون من طنجة ويقول قد جاءنى السيد محمد الزمزمى بن
الصديق وأخبرنى أن أخاه الشيخ أحمد بن الصديق يريد الاجتماع بك لأفالة
ما حصل من الخلاف واصلاح ذات البين ولما كانت اقامتك فى طنجة لا تطول فهو يرجو
أن تعرفه باليوم الذى تتوجه فيه الى طنجة لىتم اجتماعكما وقد اقترحت على
السيد الزمزمى أن يكون اللقاء الاول فى بيتى فقبل ذلك ولا يخفى على من يعرف
الاحوال هناك أن الشيخ الزمزمى لا يتنازل ليذهب الى رجل ليس فى مستواه
يضاف الى ذلك انه كان من مريديهم فخرج عن طريقته وان تنزل الى أن يكلمه
ويوسطه فلا يتنزل الى أن يأتى الى بيته ولكنه فعل كل ذلك رغبة فى اصلاح
ما وقع بيننا وهذا أمر يدل على عقل وفضل وانصاف لان هؤلاء الاخوة كان
لهم مقام مرموق واتباع واعوان ، اما أنا فقد كنت غريبا ليس لى انصار ولا
اعوان وعبد القادر الجزائرى تقدم ذكر حاله فقلت له لا حاجة الى تعيين اليوم
لانى سأقدم طنجة وأقيم فيها ثلاثة أيام وفى أثنائها يمكن الاجتماع بالسيد
محمد الزمزمى ولما قدمت اجتمعت فعلا به فى بيت الجزائرى وتحدثنا
ساعتين فقال لى انك قدمت هذه البلاد بزى أفرنجى وهيئة أفرنجية ولم تعهد
من اصحاب هذا الزى الا الكفر والالحاد ولم تكن نعرفك من قبل فظننا أن تدخلك
فى أمور الدين كتدخل كثير من أعدائه المفسدين ثم تبين لنا ييقين علمك وفضلك
وصدقك فأراد أخى الشيخ أحمد أن ندعوك الى الصلح والتعاون على ما اتفقنا
عليه من دعوة الناس الى اتباع حديث الرسول وترك التعصب للمذهب وكلانا

غريب في هذه البلاد في دعوتنا الى اتباع الهدى النبوي وكلاما طويلا في هذا المعنى فقلت له انا منذ قدمت هذه البلاد وخبرت احوالها عرفتكم وعرفت دعوتكم وعزمت على أن أتعاون معكم فيما اتفقنا عليه ، وأما ما اختلفنا فيه ، فكل منا يدعو الى ما يعتقد ، دون أن يتعرض بعضنا للطعن في بعض ، فقال لي ابن الاخ الشيخ أحمد يدعو الى الغداء في بيتنا غدا بعد الظهر فقبلت ، ولما وصلت الى الشيخ أحمد رحب بي واحتفل بي أعظم احتفال ووجدته قد دعا للغداء كثيرا من اعيان البلد ، ووضع لنا ثلاثة عشر لونا من الطعام باعتبار أنواع الحلوى ولم أر في عمري كله غداء بلغ ذلك العدد من الالوان ، ولما فرغ الناس من الاكل دعاني الى خزانة الكتب التي يشتغل فيها بتأليفه الكثيرة وليس فيها الا خزائن الكتب وحصير مفروش في أرضها يقعد عليه ويشغل بالتأليف على الطريقة المغربية القديمة وكان في امكانه أن يؤثث مكتبا كمكاتب الوزراء ولكنه زهد في ذلك مع أنه كان يعيش معيشة الترف في قصر فخم ولكنه أراد ان يترك خدمة العلم تسير في نهجها القديم وبعد محادثة ودية طويلة افترقنا على ان لا يتعرض بعضنا الى الطعن في صاحبه ولكن كل منا يدعو الى ما يعتقد انه حق ويرد ما يعتقد انه باطل واستمررنا على ذلك مدة اقامتي بتطوان ونواحيها وقد استمرت من ربيع 1942 الى صيف 1947 ، وفي أثناء هذه المدة ألفت كتابا سميته الصراط المستقيم في صفة صلاة النبي الكريم فقرظه الشيخ أحمد في صحيفة الاخبار ، وبقي الامر فيما بيننا كذلك الى أن سافرت قافلا الى العراق لم يحل ولم يتغير ، ولما سمعت وأنا في تطوان أن الشيخ أحمد أفتى بزيادة (سيدنا) في الاذان وأن مؤذنه يقول أشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أنكرت ذلك ولم اتعرض لشخصه بسوء ، ولما وصلت الى العراق كتب الى احد الاخوان انه الف جزءا سماه احياء القبور في استحباب البناء على القبور فانكرت ذلك ولم اتعرض لشخصه بسوء ، وبذلك تعلم كما يعلم كثير من أهل طنجة وأهل تطوان ومنهم الاستاذ العالم الداعي الى الله على بصيرة ، فخر آل الصديق ورائدهم في طريق الحق وفرطهم الى الهدى صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الزمزمي بآراء الله في حياته ونفع بعلمه فتبين بما ذكرناه أن ما سطره هذا الناقص كله افتراء من بنات غيره وهنا أذكر الالفاظ البذيئة التي وصمى بها كذبا وزورا ثم انقضها بالتفصيل حتى يعلم من لا يعلم أنه مفتر يكذب على الحاضرين ويعرض نفسه

رد عليه الشيخ
الإمام حافظ الم
في كتابه كحبر
الساجد مما الحاد
القبور مساجد
طليح

لزيادة سخرية الساخرين ، فقد ألف هذا المسكين كتيباً سماه (التيمم فى الكتاب والسنة) خبط فيه خبط عشواء وملاه بسب العلماء الائمة المتقدمين والمتأخرين وهذا نص ما كتبه فى صفحة (57) فقد جاء الى طنجة رجل من هؤلاء الدعاة مدعياً مجاربة البدع فأصبح ذات يوم حليفاً فأرسل اليه شقيقى الحافظ أبو الفيض من يسأله كيف يتفق حلق اللحية مع أمر النبى صلى الله عليه وسلم باعفائها وزعمه العمل بالسنة والدعوة اليها ؟ فأجاب السائل بقوله معنى الحديث اعفوا لحاكم ان شئتم فقال شقيقى للسائل ولم لم تقل له وأقيموا الصلاة ان شئتم ولا تقربوا الزنى ان شئتم فهذه هى السنة التى يدعو اليها هذا الضال وأمثاله ، وقد انتقل ذلك الضال الى بعض مدن الجنوب عاملاً على بندر بذور الشقاق والتفرقة بين المسلمين وانى أعتقد أنه مستأجر من جمعية التبشير الانكليزية أو الامريكية لايقاع التفرقة بين المسلمين لان التفرقة بينهم هى الوسيلة التى ينال بها الاستعمار اغراضه .

فى هذا الكلام أنواع من البهتان . الاول : قوله فأصبح ذات يوم حليفاً يواهم أننى جئت الى طنجة بلحية ثم حلقتها وهذا كذب محض يلغنه عليه خلق كثير لا يزالون أحياء يرزقون ، والحقيقة أننى جئت الى طنجة من برلين عاصمة ألمانيا بعدما أقيمت فى تلك البلاد زهاء ست سنين لتحصيل العلوم العصرية وشهادة الدكتوراة الجامعية وقد حصلتها ولله الحمد فى مدة لا تزيد على أربع سنين ، وسبب توجهى الى طنجة أن سماحة المفتى السيد أمين الحسينى بارك الله فى حياته يعثنى الى الاستاذ الزعيم المجاهد عبد الخالق الطريس لغرض سياسى فيه خير للمسلمين المغاربة كما تقدم وكنت مدة اقامتى فى ألمانيا أحلق لحيتى متأولاً حديث الامر بعفو اللحي على أن الامر للندب وقد خيل الى فى ذلك الزمان أن الاوامر الواردة فى خصال الفطرة كاحفاء الشوارب وعفو اللحي وشف الابط وتقليم الاظفار ينبغى أن يسلك بها مسلك واحد فاما أن تحمل على الوجوب كلها واما أن تحمل على الندب كلها وأن حمل الامر الوارد فى اللحية وحده على الوجوب وحمل سائرهما على الندب تناقض وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم فى صبغ الشعر خالفوا اليهود والنصارى فانهم لا يصبغون ، واستأنست بأقوال بعض العلماء الذين سلكوا هذا المسلك وقد ذكرهم أخوه عبد العزيز فى تأليفه الذى رد فيه على أخيهما الاستاذ الرزمي وهو لاشك يعرفه ثم ظهر لى

ان الداعى الى الله لا ينبغى له ان يعتمد على التأويل ولا يكون له عليه تعويل بل يجب عليه ان يكون قدوة حسنة فى اقواله وافعاله وسيرته ففوتها والله الحمد لا آخذ منها شيئاً على أن حلق اللحية على ما ذهب اليه جمهور الائمة من التحريم لا يتعدى أن يكون من الصغائر ولا يصل الى حد الكبائر وقد بسط القول فى ذلك شارح العقيدة الطحاوية انظر كلامه فى ص 356 فقد اختار فى حد المعصية الكبيرة أنها ما يترتب عليها حد أو توعدها بالنار أو اللعنة أو الغضب وهذا أمثل الاقوال اهـ. والصغيرة ضدها وهى ما لم يترتب عليها حد ولا توعدها بالنار أو اللعنة أو الغضب ثم قال وترجيح هذا القول من وجوه أحدها، أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينة وابن حنبل (ص) عنهم وغيرهم ، ولا أقول ذلك تصويبا لحلق اللحية أو تهوينا لشأنه فان الواجب على كل مسلم أن تكون له فى رسول الله أسوة حسنة وأن يبذل جهده فى موافقة قدوته وامامه صلوات الله وسلامه عليه فى الظاهر والباطن ولكنى أعجب لهذا الانسان الذى يأتى بالطوام الكبرى التى لا تحلق الشعر بل هى الخالقة للدين والمروءة ثم لا يجد ما يطعن به فى أحد الدعاة الى الله على بصيرة الا بالتشنيع عليه فى معصية من الصغائر قد تاب منها وتركها وهذا من الافلاس .

الثانى زعمه أن شقيقه وهو عوض أبيه وليس له ولا عشر معشار علمه وعقله ، زعم أنه أرسل الى رسولا وهو كاذب مفتر فانه لم يرسل الى قط الا أخاه السيد الزمزمى فى طلب الصلح كما تقدم .

الثالث قوله ، أنى قلت له معنى الحديث اغفوها ان شئتم ، أقول فيه سبحانك هذا بهتان عظيم ، لو أرسل الى رسولا وأجبتة بذلك فان العادة تقضى عليه أن يحضر دروسى فى الجامع الكبير بتطوان وكان يحضرها فئام من الناس من الموافقين والمخالفين فلو قلت ذلك لسمعه الحاضرون وقد سئلت عن هذا الحكم فى تلك الايام مرارا وتكرارا فأجبت بما تقدم من التأويل وكل من كان يحضر دروسى يعلم ذلك ولا يشك فى كذب هذا المفترى وسيزداد كذبه وضوحا حتى يصير كشمس الضحى ليس دونها غمام ومن يهن الله فما له مكرم وحينئذ يعلم أنه كان فى ذلك كالباحث عن حقه بظلفه وكالجادع بكفه ما رن أنفه فنعوذ بالله من الخذلان .

الرابع ، قوله وقد انتقل ذلك الضال الى بعض مدن الجنوب عاملا على بذر بذور الشقاق والتفرقة بين المسلمين ، أقول هذا مضرب المثال

رمتني بدائها وانسلت ، أتدرى أيها المأفون الذي يهرف بما لا يعرف لماذا انتقلت الى الجنوب لان الاستعمار الفرنسى كان قد نفانى من وطنى الجنوب ومن الجزائر وتونس أيضا ، ولم نر أحدا من المنفيين نفاه الفرنسيون مثل هذا النفى المشدد وبذلك تعلم ما أدركك من الشقاء حين تجرأت على ذكر الاستعمار بوقاحة ليس لها نظير .

يا ليت لى من جلد وجهك رقعة فاقد منها حافرا للدهم

مثلك يتجرأ على ذم الاستعمار ، وهل نشأت أنت ومن معك الا فى حجر الاستعمار وهل جلب عليك وعلى اخوتك الشقاء الا تقلص ظل الاستعمار .

الخامس ، أن هذا المفترى لما رأى دعوتى الى توحيد الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكناس ونواحيها قد أينعت وآنت أكلها شوى الحسد قلبه فسمى ذلك شقاقا وتفرقة بين المسلمين ولو كان له من الحياء والتفكير فيما يقول مثقال ذرة لاستحى أن يذكر التفرقة بين المسلمين ويرمى بها بريئا حنيفا ويحتمل بهتانا واثما مبينا ، وهل كتابك هذا من أوله الى آخره الذى شتمت فيه الاولين والآخرين لا شتم الاشراف بل شتم أرذال السوقة الاشفاق ونفاق وتفرقة بين المسلمين والا فمسألة التيمم واضحة وقد قتلها الناس بحثا من قبل أن تميز والحق فيها واضح أنا أدعو الناس الى أمرين فى كل مكان دعوت فيه الى الله فى الشرق والغرب وفى أوروبا أولهما ، تحقيق معنى لا اله الا الله بجعل جميع أنواع العبادة ، من دعاء واستغاثة ، واستعانة فيما يخرج عن الاسباب ، ونذر ، وحلف ، وتوكل ، واستعاذة ، واستمداد ، وعبودية ، وخوف ، ورجاء ، وجعل شىء من الاحكام الخمسة ، وصلاة ، وصيام ، وصدقة ، وحج ، وسفر يراد به التقرب الى الله ، وما أشبه ذلك ، لله وحده لا شريك له لا يجعل شىء منه ولا مثقال ذرة لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا غير مرسل ولا لصديق ولا لصالح ولا لاحد من الجن والانس فهذا مجمل الامر الاول .

الامر الثانى ، تحقيق شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بامتنال ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يحول دون اتباعه حب شىء من المحبوبات الثمانية المذكورة فى قوله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم

واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) ويدخل في العشيرة المذهب
والطريقة والحزب ، ومن يعد هذين الاصلين اللذين قامت عليهما الحنيفية
السمحة ملة ابراهيم وخير أبنائه بل خير خلق الله على الاطلاق محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، من يعد ذلك شقاقا وتفريقا بين المسلمين الا
شيطان رجيم أفاك أثيم .

السادس قوله : وانى أعتقد أنه مستأجر من جمعية التبشير الانكليزية
او الامريكية لايقاع التفرقة بين المسلمين لان التفرقة بينهم هي الوسيلة التي
ينال بها الاستعمار أغراضه . أقول :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه
بهذا الكلام أمكن هذا الغبي من نفسه وعرضها للهلاك الا تعلم ايها البليد أن
الناس لهم أعين يبصرون بها وآذان يسمعون بها وقلوب يفقهون بها فاقرب
الناس اليك من حيث السكنى اهل طنجة يكذبونك ولو استطاعوا لرجموك
بالحجارة فاسألهم ماذا صنع السفير الفرنسى حين رجع الحلفاء الغربيون الى
طنجة حين دب الضعف الى قوة ألمانيا الهتلرية يخبرونك ويخرجون لك
الجريدة الرسمية بالعربية والفرنسية وفيها ما معناه : ان محمدا تقى الدين
الهلالى من وكلاء ألمانيا وقد طلب السفير الفرنسى من السفير الانكليزى
والسفير الامريكى يعنى سفير الولايات المتحدة الامريكية أن يوافقوه على
القبض عليه متى دخل حدود طنجة الدولية فوافقه السفيران على ذلك وحينئذ
انهالت على المحادثات الهاتفية من طنجة تحذرنى من دخولها فهلا سألت الناس
يا مغرور قبل أن تسطر ذلك الخزى المبين ؟ ولما أردت السفر قافلا الى العراق
كتبت الى السفارة المصرية من تطوان أطلب منها سمة الدخول الى القطر المصرى
فبعثت الى قنصلها استثمارا طلب منى أن أملا مواضع البياض فيها وهى مكتوبة
بالانكليزية ، ومن جملة ذلك هل عندك سمة تمكنك من الخروج من مصر الى
لبنان ولم أجد ما أملا به هذا الموضع فكتبت الى أمير البيان المجاهد الاكبر حقا
وصدقا الامير شكيب أرسلان وكان لايزال منفيًا فى جنيف بسويسرا فكتب
الى يقول : ان لى فضلا على رئيس الجمهورية اللبنانية (بشارة الخورى) فانى

انقلت اباه من الموت فى زمان حكم الاتراك العثمانيين ولم اقتصر على ذلك حتى طلبت له راتبا من الدولة العثمانية فاكتب اليه كتابا وابعثته الىّ وأنا أشفعه بكتاب آخر من عندى ليعث اليك سمة الدخول الى لبنان لتتمكن من الدخول الى مصر فكتبت اليه الكتاب وبعثه هو الى رئيس الجمهورية اللبنانية فجاءنى كتاب من وزارة الخارجية اللبنانية موجه الى القنصل الفرنسى فى تطوان يلتمس منه ان ينوب عن وزارة الخارجية اللبنانية فى اعطاء الدكتور محمد تقى الدين الهلالى سمة الدخول الى لبنان وكان هذا القنصل قد طلب من المستعمرين الاسبانين انزال العقوبة بى ثلاث مرات للمقالات التى نشرتها فى صحيفة الحرية فى محاربة الفرنسيين ، والدفاع عن الملك المجاهد الراحل محمد الخامس قدس الله روحه على رغم انف أصحاب الطرائق المبتدعة الذين كانوا يعادونه خدمة للاستعمار وخيانة للمسلمين فأخذت كتاب وزارة الخارجية وتوجهت الى السفارة الفرنسية فى تطوان ولم يكن لهم فى ذلك الوقت سفير وانما كان لهم قنصل فلما رآنى عبس وبسر ولم يأذن لى فى الجلوس على الكرسى بل تركنى واقفا انتقاما منى لجهادى الذى أقض مضجعه واسم هذا القنصل سوفوليس ولما قرأ الكتاب قال لى بعنف وغضب هؤلاء قد استقلوا ولم يبق بيننا وبينهم علاقة فقلت له اكتب لى هذا الجواب فقال انا لا أستطيع ان اكتب حتى اكتب الى المقيم العام فى الرباط فهو الذى يستطيع ان يجيب فى هذه القضية وسأكتب اليه فانتظر الجواب ، فقلت كم أنتظر ؟ فقال شهرين فانتظرت شهرين ثم جئته فلقينى بغير الوجه الاول ووضع لى كرسيًا للجلوس عليه وقال ان المقيم العام فى الرباط قد وافق على اعطائك سمة الدخول ولكن بشرط ان لا تمر لا على الجزائر ولا على تونس أما فرنسا فيمكنك المرور عليها ولكن بشرط ان نتحقق ان عندك ما يكفى للنفقة على نفسك فى مرسيلية لمدة شهر لان البواخر التى تسافر منها الى بيروت بعد الحرب قليلة فقلت له أعطنى سمة الدخول الى لبنان ودعنى أفكر فى طريق سفرى فان قررت السفر بطريق فرنسة رجعت اليك ، ثم أراد ان يكفر عن ذنوبه السابقة فقال ان أعداء فرنسة ينفقون الاموال الكثيرة لبث الفتنة والعداوة بين الفرنسيين والمغاربة وينبغي للفرنسيين والمغاربة ان يتعاونوا على المصلحة العامة ولا يندفعوا مع الاعداء الذين لا يريدون بهذا الوطن الا شرا فقلت له اما قولك ان أعداء فرنسة ينفقون

الاموال الى آخره فانا لست ممن يشتري بالاموال وانما انا من المدافعين عن
لوطانهم وقد اتفق العقلاء والنبلاء على أن هذا مقصد شريف ثم قلت له ان
السفير الفرنسي في طنجة ذهب الى السفير الانكليزي وسفير الولايات المتحدة
الامريكية وقال لهما ان محمدا تقى الدين الهلالي وكيل لأمانيا وطلب منهما
الموافقة على نفي من طنجة وأنا لست وكيلا لألمانية وانما أنا وكيل للمغرب وهو
وطني ادافع عنه فقال لي لست مسؤولا عما يقوله السفير الفرنسي في طنجة
وانما اريد أن تعلم وتقول ان مسيو سوفوليس القنصل الفرنسي بتطوان
تلقاني باستقبال حسن فأردت امتحانه وقلت له اننى عازم على السفر الى
العراق وانت تعلم انى منفى من وطنى فى الجنوب منذ زمان طويل فاذا أردت
ان اتوجه الى الرباط لأودع استاذى شيخ الاسلام محمد بن العربى العلوى
وغيره من الاصدقاء أتأذن لي فى ذلك فقال ذلك ليس الى ولا هو بيدى وانما
هو بيد المقيم العام فى الرباط فان أردت أن أكتب اليه كتبت اليه وتنتظر
الجواب ، فقلت لا تكتب اليه الآن حتى أعزم على ذلك فقال لي اذهب الى الكاتب
يعطيك سمة الدخول الى لبنان فذهبت اليه فطلب منى ثمانين بسيطة أى
درهما اسبانيا فسلمتها له فأعطانى السمة ، هذا ما كان من أمر الفرنسيين
معى ومعاملتهم لي فى تطوان وطنجة ونسيت أن اقول ان صحيفة الحرية التى
كانت لسان حزب الاصلاح الوطنى عطلت بسبب مقالاتى التى أغضبت القنصل
الفرنسى ثلاث مرات كل مرة شهرا وغرمت ألف بسيطة فى كل مرة أما عداوة
الانكليز لمؤلف هذا الكتاب فهى كالشمس فى رابعة النهار ولولا أن مؤلف
كتاب التيمم يعيش بين جدران الزاوية وفى سطحها للاطلاع على العورات او
فى المقاهى والمنتزهات على خلاف ما يدعيه من التصوف الكاذب ولا يعرف من
اخبار الدنيا الماضية والحاضرة شيئا لعرف عداوة الاستعمار ومجاربته لي التى
بلغت فى الوضوح عند أهل المغرب والمشرق أنها لاتخفى الا على أعمى البصيرة
فمن أدلة عداوة الانكليز ومجاربتهم لي أنهم سبوني مرارا وتكرارا فى اذاعتهم
العالمية من اول ابتداء الحرب الى نهايتها والسامعون فى مشارق الارض
ومغاربها لذلك لايزالون ، احياء يرزقون ، وهل علمت يا مسكين اننى اول ما
لقيت المجاهد الكبير السيد أمين الحسينى فى برلين نوهه بجهادى ومجاربتى
للاستعمار بلسانى وقلمى وخطبى المججلة فى اذاعة برلين العربية التى كان

يهتز لها طربا كل مجاهد مخلص في الشرق والغرب وكان يشرق بها كل مدجل
من عبيد الاستعمار خائن غدابر وبلغ صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني
بارك الله في حياته من تعظيمي الى ان قال ذات يوم للزعيم رشيد عالي الكيلاني
كبير آل الشيخ عبد القادر الكيلاني ورئيس وزراء العراق سابقا النقيب قائد
ثورة مروعة على الاستعمار البريطاني في العراق قال له ما نصه أسأل الله أن
لا يحرمنا من وجود أمثال الدكتور محمد تقى الدين الهلالي وقال كلاما أعظم
من هذا تركته اقتصادا واستمر على التنويه بجهادي الى يومنا هذا وآخر مرة
نوه بجهادي كانت في قصره بظاهر بيروت في الصيف الماضي حين دعاني الى
مأذبة جمعت كثيرا من أهل الفضل والعلم والادب وأورد لك هنا أيها المسكين
شهادة أخرى وزنها عند المجاهدين ثقیل ألا وهي شهادة المجاهد المغربي العظيم
السيد محمد بن عبد الكريم قائد ثورة الريف المشهورة التي بهرت العالم لانه
مارب دولتين لوروييتين هما فرنسة واسبانية لمدة سنتين لما ذهبت لزيارته
بالقاهرة في صيف سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى كان
مريضا في الطبقة الرابعة ملازما للفراش وجاء خلق كثير الى مقصورة الاستقبال
من الصحفيين ورجال الدولة المبرزين فاستقبلهم أخوه وسميه المجاهد محمد
بن عبد الكريم واعتذر لهم عن حضور الامير بانه مريض ولكن لما اخبر بوجودي
مع الزائرين امر في الحال بأن احضر عنده فجلست على كرسي الى جانب
سريره فتلقاني بغاية الشوق والمحبة والترحيب وقال لي لم يكن شيء يسليني
في منفاى وغربتي مثل خطبك البليغة الرائعة التي كنت تلقيها في اذاعة
برلين العربية فأنيت على جهاده وفضله فقال لي أنت مجاهد أكثر مني ، وما
كنت لأعتر بهذه الكلمة التي صدرت من هذا الرجل العظيم لثمة اعجابه بتلك
الخطب فكيف مع ذلك تتجرا أن تصمى بخدمة الاستعمار أو اخذ الاجرة من
دعاة النصرانية الاوروبية أو الامريكية ومن يصدقك في هذا ومتى رأيت أنت
أو رأى احد من البشر غيرك جماعة من دعاة النصرانية تبذل الاموال للدعوة
الناس الى توحيد الله واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد انقلبت هذه
الجماعة من دعوتها الى النصرانية الى الدعوة الى الدين الحنيف ملة ابراهيم
ومن كان يعطيني اجرة على الدعوة الى الله في صعيد مصر حين كنت أنت لم
تخرج الى الدنيا في سنة 1341 هـ ومن كان يعطيني اجرة الى الدعوة الى الله

فى تطوان ومن كان يعطينى أجرة فى الدعوة الى الله فى بغداد . أنا لم أعش
بالدين قط مع أنى والله الحمد على دين الحق .

وما أنا بالباغى على الحب رشوة ضعيف هوى يبغي عليه ثوبا
ولكنك أنت ومن يجلب فى انائك تعيشون وتأكلون بدين الشرك وتصلون
الناس عن سبيل الله وتبغونها عوجا وسنرى من يصدق الناس كلامه أنت أم
أنا ولكن كما جاء فى المثل بل هو من كلام النبوة القديمة اذا لم تستحى فاصنع
ما شئت ونظمه بعضهم فقال :

فلا والله ما فى الدين خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
اذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فاصنع ما تشاء

وقد سمعت بعنما رجعت من العراق الى المغرب بعد الاستقلال أن أخاك
العلامة المحقق الشيخ احمد بن الصديق الذى تدعى الاقتداء به زورا وبهتانا
وأنت سالك غير سبيله حين رجع المجاهد الاكبر فى المغرب العربى محمد
الخامس رحمة الله عليه الى عرش آبائه الاكرمين توجه اليه وطلب أن يدخل
عليه للسلام والتهنئة فرفض الملك أن يأذن له ثم توجه الى مصر وسمعت أن
الحكومة المصرية اتهمته واخاه عبد الله بالتجسس فحكمت عليه بسجن طويل
وعلى عبد الله بالسجن المؤبد كما يسمونه وأسفت لذلك لما أعرف فيه من العلم
والفضل ولما عاملنى به من البر والكرم وانى لأرجو أن يكون الله سبحانه
ونعالى قد ختم له بالحسنى كتاب من الطريقة ومن كل ما كان مخالفا لعقيدة
السلف الصالح والله على كل شىء قدير ، أما أنت فلا أعرفك ولا تعرفنى ولكن
غلبت عليك شقوتك فتعرضت لشتى بدون مناسبة ، أما قولك فى الوهابية
فسأفرد له كتابا علميا ليس فيه لغو ولا تهور ولا شتم ولا كذب وسأسميه :
(الدفع بالتى هى أحسن) ، وقد جنيت على نفسك ، وعلى أهلها براقش تجنى ،
وأقول لك غير مفتخر :

وان لسانى شهدة يشتمى بها وهو على من صبه الله علقم
وأنشدك أيضا :

دعانى لشب الحرب بينى وبينه فقلت له لا لا هلم الى السلم
فلما أبى ألقى فضل عتانه اليه فلم يرجع بحزم ولا عزم
فكان صريع الخيل أول وهلة فبعدا له مختار جهل على علم

وقد تعرض لى لما كنت مقيما فى الشمال زمان الاستعمار رجال لاتساوى أنت قلامة ظفر أحدهم فانقلبوا خائبين لانى بالله استعين واياه استنصر وأستهدى وأدعو الى سبيله على بصيرة لا أريد بدعوتى الا وجه الله ومنه أرجو القبول فقل لى بالله أى فائدة فى الدعوة الى رد التقليد وحده مع نصر الشرك الاكبر وعقيدة الاتحاد وتقديس امامها ابن العربى الزنديق الذى أجمع الائمة على كفره ، ولا يتسع المقام هنا لذكر أسماء الائمة الذين حكموا بكفره فى عصور مختلفة وقد ألف الامام ابراهيم بن عمر البقاعى الحافظ كتابين فى اقامة البرهان على كفر ابن الفارض وابن عربى أحدهما سماه تنبيه الغيبى الى تكفير ابن عربى ، والثانى سماه تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد ، أقام البرهان فيه على كفر ابن الفارض وأمثاله من أصحاب وحدة الوجود ونقل فى هذين الكتابين نقولا وافية شافية عن اثنين وثلاثين اماما من بلدان مختلفة فى عصور مختلفة تقتصر على ذكر أسماء اثنى عشر اماما منهم لهم قدم صدق عند جميع المسلمين ، الاول ، سلطان العلماء الامام عز الدين بن عبد السلام ، الثانى الامام ابن دقيق العيد ، الثالث ، الامام الحافظ زين الدين العراقى ، الرابع ، شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، الخامس ، تلميذه الحافظ شمس الدين ابن القيم ، السادس ، الامام أبو حيان الاندلسى ، السابع ، الامام تقى الدين انبكي ، الثامن ، الامام جمال الدين ابن هاشم صاحب المغنى ، التاسع ، الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى مؤلف تذكرة الحفاظ ، العاشر ، الامام الحافظ تقى الدين الفاسى مؤلف تاريخ مكة الحادى عشر ، امام الصوفية فى عصره أبو القاسم القشيرى ، الثانى عشر ، الامام السهروردى مؤلف عوارف المعارف ، فى امرىء عنده ذرة من الايمان والنصيحة لنفسه وللمسلمين يخالف هؤلاء الائمة ويقدم الشيخ الاكفر ابن عربى الحاتمى وشيعته لاجرم أنه لا يفعل ذلك الا زنديق مثلهم ولا يجوز التوقف فى الحكم عليهم ، قال الامام البقاعى فى كتابه ، تحذير العباد المتقدم الذكر ما نصه: ولا يسع أحدا أن يقول أنا واقف أو ساكت لا أثبت ولا أنفى لان ذلك يقتضى الكفر لان الكافر من أنكر ما علم من الدين بالضرورة ومن شك فى كفر مثل هذا كفر ولهذا قال ابن المقرئ فى مختصر الروضة . من شك فى اليهود والنصارى وطائفة ابن عربى فهو كافر.

الحديث الثانى فى تطوان و نواحيها

وضعت حاشية على كتاب كشف الثبتهات لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وطبعها ونشرتها ولكنى استعملت فى ذكر اسمه ما يسمى فى مصطلح الحديث بتدليس الشيوخ وهو جائز بل مستحسن اذا أريد به الاصلاح وذلك ان الشيخ يكون له اسمان اشتهر بأحدهما ولم يشتهر بالآخر فيذكره الراوى عنه بالاسم الذى لم يشتهر به لمصلحة فى ذلك اما اذا فعل ذلك ليوهبم الناس علو سنده وترفعه عن الرواية عنه ليوهبم الناس أنه لا يتنزل للرواية عن مثله لصغر سنه أو عدم شهرته وغير ذلك من حظوظ النفس الامارة فهو مذموم وقد سميت الشيخ محمد بن عبد الوهاب محمد بن سليمان الدرعى فنسبته الى جده ثم نسبته الى الدرعية وذلك حق فهى بلده ولكن لم يشتهر بذلك وزاد الامر غموضا ان فى المغرب كورة تسمى درعة والنسبة اليها درعى فنجحت فيما قصدته من ترويج الكتاب فقد طبعت ألف نسخة فبيعت فى وقت قصير ولم يتفطن أحد لذلك حتى الشيخ أحمد بن الصديق مع سعة اطلاعه وعلو همته فى البحث وكثرة ما فى خزائنه من الكتب بقى فى حيرة لانه بحث فى تاريخ المنسويين الى درعة فلم يجد أحدا منهم يسمى بذلك ولا أثر عنه هذا الكتاب فبعث الى يسألنى عن هذا المؤلف من هو فأخبرته بالحقيقة ، ولما اطلع العالم الاجل مفتى المملكة العربية السعودية وشيخ شيوخها الشيخ محمد بن ابراهيم رحمة الله عليه على هذا العمل استحسنته كل الاستحسان . وانما فعلت ذلك لان المتأخرين من رجال الدولة العثمانية حرضوا شرار العلماء فى جميع البلاد الاسلامية على تشويه سمعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذبوا عليه وأوهموا أتباعهم أنه جاء بدين جديد وأنه ينتقص جانب النبى الكريم ويكفر المسلمين الى غير ذلك من الاكاذيب وقد تبين لاكثر الناس بطلان تلك الدعوى وعلموا علم اليقين أن محمد بن عبد الوهاب من كبار المصلحين الذين فتح الله بدعوتهم عيوننا عميا وآذاننا صما وأنه أحيى العمل بكتاب الله وسنة رسوله فى جزيرة العرب بعدما كاد يندثر والى الآن لا يزال بعض الغربان ينغفون بسبه كالغرباب الذى تقدم ذكره وذلك لا يضره ان كانوا مسلمين فان سبهم له يجعل حسنتهم فى صحيفته وان كانوا مشركين فان الله يزيدهم عذابا، ولما طبع هذا الكتاب

غضب عباد القبور وأصحاب الطرائق وخطب كثير من أئمة المساجد خطبه الجمعة ونبهوا المستمعين الى ما فى هذا الكتاب من الضلال بزعمهم لان توحيد الله عندهم أعظم الضلال ولكن لم يستمع لهم أحد ، أما العلماء المحققون ، كالاستاذ محمد الطنجي والاستاذ المجاهد عبد السلام المرابط والاستاذ العبرى عبد الله كنون فانهم رحبوا بطبع هذا الكتاب وأثنوا عليه وعلى مؤلفه وناشروه ولا يضر السحاب نبح الكلاب .

ما ضر بلو السما فى الافق تنبجه سود الكلاب وقد مشى على مهل

ثم طبعت رسالة زيارة القبور مع حواشى قليلة لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية وسميته أحمد بن عبد الحلیم الحرانى ولم أذكر لفظ ابن تيمية للعللة السابقة الذكر فراج الكتاب وانتشر ونفع الله به المسلمين ولما بعثت من كل من الكتابين نسخة الى الشيخ محمد بن ابراهيم رحمة الله عليه فرح بنشرهما واستحسن الطريقة التى سلكتها لبعده نظره ووقوره عقله وحكمته، وقد جربت فى بلاد المغرب فى الشمال والجنوب أن نشر كتب التوحيد واتباع السنة يتوقف على نجاح الدعوة الى الله فى المساجد فلذا دوس الداعى كتابا من كتب التوحيد وبين للمستمعين ما فيه من كنوز العلم والحكمة يرغب المستمعون فى اقتناء ذلك الكتاب وبقرائه تتسع معرفتهم للحق ويزدادون اطمئنانا ويقوى ايمانهم وتندفع عنهم الشبهات فمن ذلك أنى درست فى الجامع الكبير كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وختمته فى ذلك المسجد مرتين فانتشر هذا الكتاب انتشارا عظيما حتى أنى طلبت من جلالة الملك فيصل جزاء الله عنا وعن المسلمين احسن الجزاء ، بواسطة فضيلة الشيخ عبد الملك بن ابراهيم باوك الله فى حياته أن يمدنى بنسخ من فتح المجيد فأمر باوسال ثلاثمائة وثلاث وأربعين نسخة بالبريد الجوى فبدأ لى أن لا أوزعها مجانا لامرين أحدهما أنى لا آمن أن تقع بعض النسخ فى ايدى اعداء التوحيد فيحرقوها وقد رأيناهم يفعلون ذلك فى المشرق والمغرب فاذا فرضنا أن شخصا أو شخصا بلغ بهم التعصب الى أن يشتروا الكتاب ويحرقوه فإن ذلك لا يضرنا لاننا نجمع دراهمه ونطبعه مرة أخرى ولاشك أنه لا يفعل ذلك منهم الا قليل لان الناس مجبولون على حب المال والبخل به ولا يبذلونه الا فيما هو احب منه اليهم ، الامر الثانى ما قاله المؤلف الانكليزى الطائر الصيت

(برنارد شو) ان الكتاب الذى لا يدفع ثمنه لا يقرأ فبيعت تلك النسخ كلها الا قليلا منها منحتة للمستحقين ولم آخذ منهم ثمنا لعلمى بقرهم وصدقهم بيعت فى مدة قصيرة وصار الكتاب فى حكم المفقود وكنت أبيع النسخة بستة دراهم فقط ولم يكن يروج الا فى البلدان التى تلقى فيها دروس التوحيد كمكناس وتطوان وأرغود ، أما مكناس وأرغود فأننى ألقى فيهما دروسا فى التوحيد وأما تطوان فقد تقدم أنى دعوت الى التوحيد فيها وفى هذا الزمان يوجد فيها داع وهو أخى الاستاذ محمد العربى الهلالى وصار الناس فى هذه النواحي يبحثون عن هذا الكتاب ليشتروه بضعف ثمنه فلم يجدوا منه شيئا ، ولما ذكرت ذلك لصاحب السماحة الاستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أمتع الله المسلمين بطول بقائه وأخبرته أنى جمعت من بيع تلك النسخ ألفا وثمانمائة وخمسين ريالاً سعودياً قال لى وأنا أتبرع بستمائة ريال تضاف الى ذلك ونشترك فى طبعه من جديد ، والكتاب الآن تحت الطبع وذكرت ذلك أيضاً للعالم الجليل بقية السلف الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ أمتع الله المسلمين بطول بقائه فوعدنى بتحصيل ألف نسخة وهو كريم لاشك أنه يفى بوعده وهذا الكتاب مع وجود الداعى الناجح فى دعوته يساعد على نشر الدعوة مساعدة عظيمة لاينقضى منها العجب أما البلد الذى ليس فيه داع فإنه لا يروج فيه أصلاً فقد بعثت خمس نسخ الى مدينة مشهورة فى المغرب فبيع منها فى سنة ثلاث نسخ فقط .

الحدث الثالث . هم جماعة من الناس يقتلوا وهذا الحدث فيه عبرة لمن اعتبر فانى أصبت بداء الربو فى تطوان واشتد على ففرح المشركون عبياد القبور وأصحاب الطرائق وقالوا ان الولي الاكبر رئيس الاولياء فى تطوان واسمه السعيدى وله ضريح عليه قبة يعبده كثير من الناس واذا قحطوا يذهبون اليه ويسألونه المطر ويوافقهم سفهاؤهم الذين يسمونهم فقهاء فبينما أنا مريض ملازم للفراش فى بيت منفرد خارج تطوان وزجاج طاقته مكسور فمما أراد أن يرمى برصاصة لا يحتاج الا الى حجر واحد يضعه الى جانب الجدار فيطل على ويرمى ، بينما أنا كذلك جاءنى أحد تلامذتى وهو السيد محمد العبودى فقال لى ان فلان جاءنى وقال لى انه هو وأمير قبيلة بنى عروس وجماعة معهم عدد الجميع خمسة وعشرون رجلاً قد اجتمعوا فى بيت أحبهم وتعاهدوا على قتلك وجمعوا الدية حتى اذا كان لك ورثة يدفعونها لهم وقال لى

ان صاحبكم فى حكم الاموات فعما قريب نقتله ونريح الناس من شره لان الوقاحة بلغت به الى أن طعن فى جدنا القطب عبد السلام بن مشيش قال لى ذلك وأنا مريض ملازم للفراش كما تقدم فقلت (لى يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنين الآية) ولما أصبحت تحملت كلفة المشى الى الزعيم عبد الخالق الطريس رحمه الله واخبرته الخبر فقال لى ان هذا الرجل ومن معه هم أتباع وأقارب خالد الريمونى امير العرائش وقد أطلق المستعمرون يده يفعل ما يشاء ففوض أمرى الى الله وتوكل عليه فقلت له هذا هو الرأى الذى عزمت عليه وانما قصدت اخبارك ومضت على ذلك سنتان وأنا أقاسى ألم الربو وأبيت الليالى الطوال جالسا أسعل وألهث وكلما اشتدت نوبة الربو تخور عزيمة وأقرر فى نفسى أننى متى أقفلت عنى هذه النوبة أذهب الى القنصل الفرنسى وأستسلم وأطلب العفو لانى أعلم بواسطة الاطباء أن دوائى هو الهواء الناشف والاراضى الشمالية التى بأيدى الاسبانيين كلها رطبة قريبة من البحر الذى كان يسمى بحر الروم ويسمى الآن عند الاوروبيين ومن تبعهم بما معناه البحر الابيض المتوسط وهو الذى عليه مراسى شمال المغرب والجزائر وتونس وطرابلس التى تسمى اليوم ليبيا والاسكندرية وبيروت ومراسى أوروبا والبلاد التركية فأعرض مكان فى هذا القسم من المغرب لا يزيد عرضه على ثلاثين ميلا وهو مستطيل من الغرب الى الشرق ولكنى حين تزول عنى نوبة الربو تعود الى شجاعتى وتجدلى بقيت على ذلك ثلاث سنين ونصفا الى أن يسر الله لى الرجوع الى العراق ولم أستسلم وتقدمت محاورتى مع القنصل الفرنسى فى تطوان وقد فررت من الرطوبة الى غرناطة من بلاد الاندلس وأقمت فيها أربعة أشهر ولكنها هى أيضا ليست بعيدة من البحر ثم رجعت الى تطوان وقيل لى ان مدينة شفشاون على جبل عال ثم انها بعيدة من البحر بنحو خمسة عشر ميلا فلو جربت الإقامة بها فسافرت اليها يرافقى تلميذى الحاج أحمد هارون بارك الله فيه فلما أردنا أن نأخذ غرفة فى الفندق الجميل المخصص للسائحين امتنع صاحبه وهو نصرانى اسبانى أن يعطينا غرفة لما رآنى أسعل وألهث وأبصق فى كل حين ورأى ان ذلك يتقزز منه النازلون فى الفندق وكلهم من المترفين فبقيت فى مكتب الفندق جالسا على كرسى أفكر اين أنزل فجاءنى رجل ابيض أشيب تدل هيئته على أنه من اعيان البلد

فقال لي تعرفني قلت لا فقال لي انا احمد الريسوني وانا من المحبين لك وانا مستعد لانزلك في بيتي على الرحب والسعة وساكون سعيدا باقامتك عندي ما شئت من الزمن ولكن الحكومة سنت قانونا يمنعنا من انزال الضيوف عندنا في الليلة الاولى ويوجد هنا فندق حقير يمكن ان تمضي فيه هذه الليلة وفي الغد تنزل في بيتي فقلت له جزاك الله خيرا ، فامضيت تلك الليلة في ذلك الفندق الذي اخبرني به ثم نزلت عنده وبقيت عنده بضعة أشهر وأكرمني غاية الاكرام وحين استقررت في بيته حكى لي حكاية المؤامرة على قتلي بالتفصيل فقال لي بلغنا أنك تطعن في كرامات الاولياء وولايتهم وتطعن بالخصوص في جدنا مولاي عبد السلام بن مشيش فغضبنا لذلك وعزمنا على قتلك وجمعنا ديتك أنا وفلان وأمير بنى عروس ومعنا اثنان وعشرون رجلا ولم يبق لنا الا أن نشاور رئيسنا سيدي خالد الريسوني فذهبنا اليه ثلاثتنا وتكلم أمير بنى عروس وهو يبكي وقال يا ابن العم لا خير في الحياة بعد أن نسمع القدح والطعن في شيخ الشيوخ وامام العارفين جدنا عبد السلام بن مشيش والذي يطعن فيه وينتهك حرمة رجل غريب حقير وهو فلان وسمانى وقد عزمنا على قتله وجمعنا ديتته وما بقى لنا الا اذنك فأيدت أنا وفلان كلامه واذا بالامير خالد يتكلم ويقول ان محمدا تقى الدين الهلالي عالم من خيرة العلماء وانتم لا تعرفونه وأنا أعرفه وجدنا عبد السلام عالم فتركوا العلماء اذا تكلموا بعضهم في بعض فليس للجهال أن يتعرضوا لهم ثم قال لنا أيكم سمع طعنه في جدنا فقلنا هذا متواتر على السنة الناس فقال الناس يكذبون ويفلسون في الارض ولا يصلحون كل منكم ينصرف الى شأنه واتركوا هذا الامر فهذا ليس من شأنكم قال فاما أمير بنى عروس فقد رضى بقوله ولم يبق في قلبه شيء وقال يا ابن عمى أنت عالم ونحن جهال اذا اخطانا تردنا الى الصواب قال اما أنا وفلان ولم أسمه لانه حتى يرزق ولم يبلغنى ندمه على ذلك ، فاننا لم نقتنع بما قاله لنا سيدي خالد ولكننا لا نستطيع أن نعمل شيئا بدون رضاه قال فتفرقنا فانطلق فلان الى اهله وتوجهت أنا الى تطوان لا ألوى على شيء حتى لقيت وزير الاوقاف محمد بن موسى فقلت ايها الوزير اما تخاف الله كيف تعطى من اوقاف المسلمين خمسمائة بسيطة لهذا الضال المضل الهلالي الذي ما ترك أحدا الا طعن فيه طعن في مذهب الامام مالك ورجاله وطعن في الاولياء كلهم وانكر كراماتهم وبلغت به الوقاحة الى أن طعن في جدنا القطب

عبد السلام بن مشيش قال فقال لى الوزير أنت سمعت منه ما ذكرت قلت لا ولكنه خبر متواتر قال فقال لى لا ينبغي لنا أن نحكم بقيل وقال انه يلقي ثلاثة دروس فى كل أسبوع فماذا يضرك أن تحضر دروسه وتسمع كلامه قال فقلت افعل ان شاء الله قال واقمت أسبوعا فى تطوان حضرت دروسك فيه فما سمعت الا خيرا وندمت على ما كان منى وقد مضت على سنتان طالما هممت أن آتيك واطلب منك العفو فلم اوفق الى أن سنحت لى هذه الفرصة السعيدة فحياءك الله واهلا وسهلا بك. ووجدت أن هواء شفشاون خصوصا فى الصيف اقل ضررا من هواء تطوان فبقيت فيها خمسة أشهر الى أن حدثت الحادثة الآتى ذكرها ان شاء الله .

معرفة مع شيخ متصوف من أهل تطوان

كان هذا الشيخ ولا أسميه كآثر متصوفة الوقت آلة بيد المستعمرين يمدحهم ويشنى عليهم وقد وكوه وزارة العدل فى وقت من الاوقات وجعلوه رئيسا للمجلس الاسلامى الاعلى فى وقت آخر فضيفنى اول ما قدمت تطوان وأملى على الحديث المسلسل بالاولية الى سفيان الثورى عن عمرو بن دينار عن أبى قابوس مولى عيد الله بن عمرو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء أخرجه جماعة منهم البخارى فى الادب المفرد وأبو داود والترمذى وصححه . وفعل ذلك طمعا أن ارويه عنه وأنا لا أروى شيئا عن طرقي وهذا الشيخ المفتون تجانى فنسأل الله العافية ، فلما رآنى جردت السيف فى الدعوة الى التوحيد ومجاربة البدع ذمنى فى دروس وعظه فهجوته بثلاث قصائد ضاعت منى الاولى وهى التى أقضت مضجعه ومن عادتى اذا أردت أن أهجو أحدا أن أبحث عن عيوبه التى يؤلمه نشرها وسماعها فأنظمتها فى سلك القصيدة ولا أقصر على الشتم المجرد لان ذلك لا يؤلم كثيرا ولا عبرة بقول من قال أحسن الشعر أكذبه بل أحسن الشعر أصدقه وعدد أبيات هذه القصيدة ستة وعشرون وكان ساعدى الايمن فى نشر قصائد الهجو لمن يستحقه تلميذى البر الحاج أحمد هارون فكان يطبع القصائد فى آلة المعهد الحر ويخرج منها نسخا كثيرة يوزعها على الناس بالقائها فى

دكاكينهم أو في جيوب ثيابهم المعلقة حين يتوضؤون وقد قامت هذه القصائد الهجائية اللاذعة لى مقام العشيرة والعصبة المناظرين ؛ وقرض الشعر أمر محمود اذا كان صاحبه لا يظلم الناس ولا يكذب فى مدحهم وذمهم قال ابن الوردى فى لا ميته .

انظم الشعر ولازم مذهبى واطراح الرفد فى الدنيا يجبل
فهو عنوان على الفضل وما احسن الشعر اذا لم يتبدل

وقال بعض العلماء وأظنه محمدا الامير الصنعانى رحمة الله عليه ما معناه ، ان من افضل ما يتحل به العالم ان تكون عنده ملكة قرض الشعر ينتصر به على خصومه ويبين به الحق . والمخازى التى ذكرتها فى القصيدة المذكورة اهمها قصة وقعت له مع شخص محتال لا أسميه لانه لا يزال فى قيد الحياة وكان ذلك الرجل شابا يحسن الاحتيال فجاء الى ذلك الشيخ المتصوف المفتون وكان يعلم انه يعتقد أن فى كل زمان القطب القوث الفرد الذى لا تتحرك ذرة فى العالم الا باذنه وهو المتصرف فى السماوات والارض وبه تقوم السماوات والارض وهو محل نظر الحق من خلقه وهو خليفته فى خلقه ولو غفل عن العالم طرفة عين لاندك العالم وصار عدما محضا (انظر كتابى الهدية الهادية الى الطائفة التجانية) ، فجاء ذلك الرجل الى الشيخ المذكور وادعى له انه القطب فافتتن به وأخذ يخدمه بنفسه مع ان الخادم تجاوز السبعين والمخدوم فى اوائل الشباب وكانت عند الشيخ ابنة استحسناها القطب الكاذب فأمره ان يزوجه اياها فأحضر الشهود فى الحين وزوجه بها وصار أهل المدينة يسخرون منه ودنا وقت الحج .

السفر الى مكة فى لحظة

فقال الشيخ للقطب يا سيدى سمعنا ان بعض الشيوخ يحج بطريق الخطوة بحيث يسافر الى مكة بخطوة واحدة فما رأيكم فى ذلك فقال ذلك صحيح وأنا من الذين يحجون على هذه الطريقة فقال يا سيدنا وهل يمكنك ان تصحب معك احدا فقال كيف لا يمكن كل شىء عند اولياء الله ممكن قال يا سيدى فهل لك ان تحج بنا فى هذه السنة فقال يكون ذلك قال أريد أن ترافقنا زوجتى

ايضا ، فقال لا بأس وعند ذلك ازداد الشيخ تعظيما لهذا المحتال وبالغ في عبادته هو وأهل بيته ولما جاء يوم عرفة اغتسل الشيخ وزوجته ولبسا ثياب الاحرام وبقيا ينتظران القطب يأخذ بأيديهما ويطير بهما الى مكة الى أن كادت الشمس تغرب فعيل صبر الشيخ وقال يا سيدى ان الفقهاء يقولون لا بد من الوقوف بعرفة قبل غروب الشمس وقد كادت الشمس تغرب فقال بسم الله قوما فصعد بهما الى السطح ومن عادة أهل تطوان أن يجعلوا في كل سطح جلاء وهذا الجلاء يكون على قدر ما تدخل الشمس والنور والهواء ويكون مربعا في كل ركن من أركانه تبنى سارية قصيرة ويوضع على السوارى سقف فيدخل النور والهواء الى أسفل من اربع جهات ولا يدخل المطر فذهب القطب يتقدمهما حتى وقف على الجلاء وقال أنتما أعميان ألا تنظران هذه الكعبة فهلم نطوف بها فطافوا بذلك الجلاء سبعة أشواط ولكن الشيخ لم ير كسوة الكعبة ولا الحجر ولا مقام ابراهيم ولا زمزم ولا أحد يطوف بتلك الكعبة ولكنه لم يستطع أن يتكلم تعظيما للقطب ولما سمع أهل تطوان بهذا الحج المبرور ازدادوا سخرية وصار الناس لا يتحدثون ويتفكهون الا بهذه الحكاية فجاء أصدقاء الشيخ واخبروه بأنه صار مضغة في الافواه وأن هذا الشاب قد جعله اضحوكة ونصحوا له بطرده فطرده وأجبره على تطلق ابنته ولما شاعت القصيدة عند الناس بلغه خبرها وكان في ذلك الوقت مشرفا على التعليم الدينى ورئيسا للمجلس الاسلامى الاعلى فبلغه أن نسخة من القصيدة فى مكتب مدير المعارف فامر باحضارها فكذبوا عليه وقالوا ما عندنا شيء فبعث خادمه الى فضيلة الاستاذ محمد الطنجى رئيس قسم الوعظ والارشاد فى وزارة الاوقاف المغربية فى الوقت الحاضر وكان فى ذلك الوقت تاجرا لان الاستعمار حرمه من جميع المناصب العلمية فقال له يسلم عليك الشيخ ويطلب منك نسخة من القصيدة التى هجاه بها الهالى وهذه ست عشرة بسيطة مع أن القصيدة فى صحيفة واحدة لا تساوى ربع بسيطة فقال له الاستاذ المذكور سلم عليه وقل له ما عندى منها شيء والقصيدة الثانية فيها اقداع ضربت عنها صفحا ، أما الثالثة فقد كانت باذن الله الذى وعد رسله وأتباعهم بالفتح والنصر المبين ، كانت مقرونة بالقضاء على هذا الشيخ .

عزل الشيخ المتصوف الذي حج على سطح بيته من جميع المناصب العلمية والدينية

كنت قد سميت القصائد الثلاث بأسماء مطابقة لحوادث ذلك الزمان
ففى ذلك الزمان كان الجرمانيون فى أوج عزتهم وكانوا قد اخترعوا القنبلة
الموسومة برقم (1) ثم القنبلة الموسومة برقم (2) ثم القنبلة الموسومة برقم (3)
وكانت هذه القنبلة الاخيرة ترسل من البلاد الجرمانية الى مبنى بعينه فى لندن
عاصمة بريطانيا فتصله فى بضع دقائق وتدمره فى أسرع من طرفة عين وقد
سمعت رجلا يتحدث فى اذاعة لندن من الذين نجوا من الموت بعدما أرسلت
قنبلة رقم (3) على المبنى الذى كان يسكن فيه فدمرته فى لحظة قال الرجل كنت
نائما فى غرفتى فما شعرت الا وأنا فى المستشفى لان رجال الاسعاف أخرجونى
من تحت الانقاض مغمى على وأسعفونى بالعلاج سمعت ذلك من اذاعة لندن باللفة
الانكليزية وبالهام من الله تعالى سميت القصائد الثلاث بالاسماء المذكورة
فكانت القنبلة ذات رقم (3) كما أملت مقرونة بالكارثة التى أصابت هذا الشيخ
قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) والحنفاء
أهل لا اله الا الله يتقون الله بتوحيده وترك الشرك به واتباع نبيه الكريم
فيجعل الله لهم مخرجا من كل شدة ويرزقهم من حيث لا يحتسبون وينصرهم
على أعدائهم . فيا أيها المسلم الموفق حقق التوحيد والاتباع تر العجب العجاب
قال تعالى فى سورة غافر (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا
ويوم يقوم الاشهاد) .

كان هذا الشيخ أكبر مفت فى شمال المغرب وتقدم انه كان قد تولى وزارة
العدل مدة من الزمان وكان كأكثر المفتين من المقلدة الأعمار اذا جاء أحدهم سائل
عن حكم قضائى يقول له مثلا ، تعطينى الآن نقدا خمسمائة درهم أجره البحث
فى كتب الفقه فان وجدت لك قولا يمكنك من الغلبة على خصمك تعطينى خمسة
آلاف درهم وان لم أجد شيئا لم آخذ منك الا ما تقدم فاذا وجد له قولا من أقوال
مجتهدى المذهب ينصر قضيته أخذ منه المقدار المشروط وأعطاه الفتوى وان لم
يجد شيئا غنم خمسمائة درهم وصرفه وكذلك خصمه يذهب الى مفت آخر
فيعامله بالمعاملة نفسها فاذا اجتمعت الحجج والفتاوى عند القاضى فى مدة
سنين طويلة وكان نزيها لا يأخذ رشوة وذلك نادر يرجح احدى الفتوين ويحكم

لصاحبها بغير ما أنزل الله فيحل الفروج ويسفك الدماء في زمان الاستقلال
أما في زمان الاستعمار فان أحكام القتل والجروح جعلت لها محاكم عرفية
وعزلت المحاكم الشرعية عنها وكذلك ينقل الاموال من ملك زيد الى ملك عمرو
بآراء الرجال التي ما أنزل الله بها من سلطان فينطبق عليه ومن لم يحكم بما
أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون الفاسقون وهذا أمر معروف في بلاد
المغرب لا يزال العمل جاريا به .

فتوى الشيخ المتصوف

أما هذا الشيخ العارف باللاهى لا بالله فقد أفتى فتويين متناقضتين
غريبتين عجيبتين .

وقعت خصومة على مال بين تاجرين مغربيين أحدهما يهودى والآخر مسلم
فانطلق اليهودى الى الشيخ المفتى فعامله بالمعاملة التي تقدم ذكرها وأخذ منه
آلفا من الدراهم وأصدر له فتوى تحتم على القاضى أن يحكم له فقال القاضى
للتاجر المسلم هات ما ينفكك من الحجج فذهبت زوجته وكانت اسبانية الى
المفتى نفسه الشيخ المتصوف العارف وسلمت له ستة آلاف درهم فأصدر لها
فتوى تحتم على القاضى أن يحكم لزوجها على خصمه اليهودى وكانت المحاكمات
في زمان الاستعمار كلها تترجم باللغة الاسبانية ويطلع عليها الحكام الاسبانيون
قبل اصدار الحكم فترجمت الفتويان المتناقضتان ورفعتنا من حاكم الى حاكم حتى
بلغتنا الى المقيم العام وهو الحاكم الاعلى فغضب غضبا شديدا وكتب الى خليفة
السلطان مولاي الحسن بن المهدي يقول نحن لم نرد أن نتدخل في شريعتكم
فتركناكم أحرارا تحكمون في محاكمكم بشريعتكم وأنتم تزعمون أن هذه الشريعة
وضعها لكم محمد وهو أخذها من القرآن الذى هو كلام الله حسب اعتقادكم
فانظر الى هاتين الفتويين المتناقضتين الصادرتين من مفت واحد يقول ان
الشريعة الاسلامية تجعل الحق لليهودى ولخصمه فى قضية واحدة فاما ان
تكون شريعتكم فى أصلها فاسدة باطلة واما أن تكونوا قد كذبتكم على الله وعلى
محمد هذا معنى ما كتب به المقيم العام الى خليفة السلطان فى شمال المغرب فلما
قرا الخليفة كتاب المقيم أصابه من الغم والحزن ما كاد يقتله فدعا الوزراء
والمستشارين وغضب عليهم غضبا شديدا وقال ، ألا ترون الى هذا المجرم كيف

فضحنا عند الاجانب والحق بشريعتنا كذبا وزورا وطمعا هذا الخزي فماذا يستحق من العقاب فقالوا كلهم الراى لسيدنا فقال اتقوا الله وقولوا ما اوجب الله عليكم فاعادوا جوابهم فقال أنا احكم عليه بالعزل من جميع المناصب الدينية والعلمية والديوية ولو قدرت على أكثر من هذا لحكمت عليه به فعزل من الامامة والخطابة والوعظ والشهادة ولم يبق له شىء الا المنصب واحدا وهو رئاسة المجلس الاسلامى الاعلى لان هذه لم تكن بيد الخليفة بل كانت بيد المستعمرين الاسبانيين ولكن الاسبانيين لما رأوا الخليفة قد عزله من جميع المناصب التى فى يده عزلوه هم أيضا من رئاسة المجلس الاسلامى فبقى لا يجد ما ينفق وقد رايت من المستحسن أن أذكر هنا نخبة من القصيدة الموسومة فاو (3) وهذا لفظ ألمانى وترجمته القبلة الموسومة برقم (3) وفرق بين هذه القبلة الحنيفية وبين القبلة الهتلرية فان العدو الذى كان يحارب بالقبلة الهتلرية استرجع قوته وانتصر على هتلر أما علو الحنيفية فكانت تلك القبلة قاضية عليه ولم تقم له بعدها قائمة وهذه نخبة من القصيدة المشار اليها .

أتشتمنى يا ابن اللئام بلا سبب	وأنت يمين الله فرد بلا ذنب
فلا أنت ذو علم ولا أنت ذو حجي	ولا أنت ذو تقوى ولا أنت ذو حسب
ولا أنت ذو عرض مصون موفر	ولا أنت ذو حلم ولا أنت ذو نسب
شوى الحسد الممقوت قلبك فى لظى	فاصبح يبدو اليوم من فمك اللهب
رأيت صنيع الله بى وهباته	فمالك منها كالجنون وكالكلب
تريد بقول الهجر تطفى نوره	ومن رام يطفى نوره مسه العطب
وذلك فضل الله يؤنيه من يشاء	فمن ذا الذى يستطيع منعا لما وهب
تحارب رب الناس فى أوليائه	ومن حارب الجبار أودى به الحرب
وقد وعد الرحمن بالنصر حزبه	بأن لهم دوما على المعتدى الغلب
ومن يقف سنات الرسول وهديه	وينصره يصبح ظافرا على الرتب
ومن يخلص التوحيد لله وحده	يكن ممسكا فى دينه ايما سبب
فلا نزعناك الشرك توهن عزمه	ولا نفثات البطل تشنيه ان وثب
ولا هجر دجال مهين يضييره	متى كان نبج الكلب يستوقف الشهب
وذاك ولى الله جل جلاله	يدافع عنه ربه حيثما انقلب
فى يونس فانظر كريم صفاته	ودع عنك قول المسرفين ذوى الشغب

ولا يتنا لله كل بها اقترب
 هم الاوليا حقا وغيرهم كذب
 مناهجه في السر والجهر بالادب
 ويرضون حكم المصطفى حيثما وجب
 ولا مذهب زيد وعمرو له ذهب
 نبي ورب ثم دين له انتسب
 امام واهل العلم في قفوه سبب
 ومن يدع غير الله قد خاب في الطلب
 عليم لسان للفضائل ما انتدب
 فما له من علم الحديث سوى النصب
 اتستبدل الاحشاش يا قوم بالرطب
 فقد عدل الهندي والنند بالحطب

فايماننا بالله ثم تقاته
 سلام على اهل الحديث فانهم
 هم حكموا قول الرسول وقد قفوا
 وكل نزاع يرجعون لقوله
 فما اتخذوا من دونه من وليجة
 يدينون بالتوحيد في كل مسلك
 فلا رب الا الله ثم محمد
 له دعوة الحق التي يستجيبها
 وما كان من اهل الحديث منافق
 ومن يتركن يوما حديثا مصححا
 دعوا كل قول غير قول محمد
 ومن يعد لن قول الرسول بغيره
 انتهى المراد نقله منها .

عقيدة الاشعرية المخالفة لعقيدة السلف الصالح

بعدها استقرت في تطوان انشأت هناك مجلة شهرية سميتها «لسان الدين» ونشرت فيها مقالات بينت فيها بطلان عقيدة الاشعرية التي يدين بها اهل المغرب منذ عهد محمد بن تومرت ودولة الموحدين التي هي ثمرة دعوته الى يومنا هذا وكان اهل المغرب قبل ذلك على عقيدة السلف الصالح حتى انهم لما وصل الى المغرب كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي اجمعوا كلهم على احراقه واتفق علماء العلوتين الاندلسية والمغربية على ذلك لما فيه من علم الكلام المذموم فمن ذلك قوله ليس في الامكان ابداع مما كان يعني لا يمكن ان يخلق الله سبحانه عالما افضل من هذا العالم قال الغزالي اذ لو كان ذلك ممكنا وادخره لكان ظلما ينافي العدل هذا معنى كلامه نقلته بمعناه ليفهمه عامة القراء فهرب من نسبة الظلم المتوهم الى الله تعالى الى نسبة العجز الى قدرته تعالى الله عن ذلك وآخر الدول المغربية التي كانت متمسكة بعقيدة السلف الصالح هي دولة المرابطين ويسمون أيضا الملتمين واللمتونيين نسبة الى لمتونة وهي قبيلة من قبائل البربر وفي ذلك قلت شعرا من بحر المواليا .

يا قوم ان اعتقاد الدهر لمتونى وان زريتيم على عقلى ولمتونى
(ون يو آر نت ستسفايد فجيئونى
(ام دسكو تيرن) كنسوس لبروس اود راونى

وهذا البيت الثانى يشتمل على اربع لغات العربية وهى فجيئونى ،
والانجليزية وهى الكلمات التى قبلها والجرمانية وهى التى بعد فجيئونى ، ثم
الاسبانية ثم الجرمانية مرة اخرى ، ومعناه ان كنتم لا تسلمون ذلك فجيئونى
للمناظرة بكتبكم او بدونها .

ونظم الشعر المؤلف من عدة لغات من المستملحات عند اهل الادب وقد
نظم العالم الاديب المشهور الحسن اليوسى المغربى بيتا من هذا القبيل فقال عند
وفاته :

(اندار تنومن) العلوم التى (ديكم) قد اندرست حقا وصارت الى (يركى)
ومعنى هذا البيت يا دارى اين العلوم التى فيك قد اندرست حقا
وصارت الى الله وهذا البيت مؤلف من ثلاث لغات ، البربرية ، والعربية ،
والفلاتية ، من لغات السودان لان (يركى) هو اسم الله تعالى بهذه اللغة يريد
بذلك ان العلوم التى كانت فى داره قد اندرست بوفاته .

وبينت فى تلك المقالات ان الامام ابا الحسن الاشعري رحمه الله برى
من العقيدة المنسوبة اليه ، لانه رجع عنها ولف كتاب مقالات الاسلاميين
واختلاف المصلين وبين فيه انه على عقيدة اصحاب الحديث والسلف الصالح
من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وسمى منهم احمد بن حنبل رحمة
الله عليه ، ولف ايضا كتاب الابانة عن اصول الديانة ، ولف الحافظ ابن
عساكر ، كتاب تبين كذب المفترى فيما نسب الى ابن الحسن الاشعري
والطائفة التى تسمى نفسها اشعرية تركت كتبه التى رجع اليها وتمسكت
بالعقيدة الكلابية والمعتزلية التى كان عليها وتاب منها فلما انتشرت تلك
المقالات واضفت اليها كتاب مختصر هدى الخليل فى العقائد وعبادة الجليل ،
وهو كتاب مختصر ألفته لاخوانى السلفيين بطلب منهم يشتمل على عقيدة اهل
الحق واحكام العبادات، مأخوذة من نصوص الاحاديث الصحيحة. فظن السفهاء الذين
يزعمون أنهم فقهاء أنهم وجلوا فرصة تمكنهم من القضاء على دعوتى فذهبوا الى

الخليفة مولاي الحسن بن المهدي وقالوا له ان الهلالي قد طعن في عقيدة اسلافك الطاهرين وضلهم وهذا الامير من اهل العقل الثاقب والهمة العالية لذلك توقف في قبول دعواهم فدعا الاديب العبقري والمؤلف الموفق فخر المغرب في هذا الزمان الاستاذ عبد الله كنون عضو المجمع العلمي في القاهرة وسأله عما نقله اليه اولئك السفهاء ، فقال له يا صاحب السمو لا تسمع لقولهم فان العقيدة التي يدعو اليها الهلالي هي عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف والخلف ومنهم آباؤك الاكرمون وقد بين ذلك الامام محمد بن عبد الله العلوي عالم الملوك وملك العلماء في كتبه ، فبطل كيدهم .

التعيين في خزانة الكتب العامة

جاءني ذات يوم شخص مغربي فدعاني بقوله ان الحاكم الاسباني فلانا يدعوك للحضور في مكتبه فانطلقت معه حتى وصلت الى مكتب فخم يجلس فيه شاب اسباني فقام وصافحني وأشار على بالجلوس وقال لي أشرك بأن المقيم العام قد أسند اليك منصبا شريفا وهو ادارة خزانة معهد الباحثين وهذا المنصب عندنا في اسبانيا لا نولى فيه الاكبار العلماء الذين يعرفون أصناف العلوم والكتب المؤلفة فيها ويرشدون الباحثين والمؤلفين الى الكتب التي تفيدهم في بحوثهم وجعلنا لك راتبا قدره ثلاثمائة بسطية فباشر عملك على بركة الله فقلت له كيف تسندون الى هذا المنصب دون أن تستشيروني وتعرفوا رأيي في قبوله فظهرت على وجهه امارات الاستغراب وقال لي لم نستشرك لانه لم يخطر ببالنا انك تتردد في قبوله ولو عيننا غيرك فيه من المغاربة لتلقاه بفرح عظيم واستبشر وبشر اصدقاءه وأقام مأدبة كوليمة العرس وهذه عادتنا في اسناد المناصب فقلت له انا لا أقبل هذا المنصب فقال لي كيف لا تقبله وقد عينك فيه المقيم العام فقلت له ان المقيم العام لا يعرفني ولا بد أن يكون قد استشار ذوى رأيه قبل أن يسنده الي فأشاروا عليه دون أن يعرفوا رأيي فعليهم يقع اللوم ثم أعاد الالاح فأعدت الرفض وانصرفت من عنده ، وعند نهاية ذلك الشهر كنت في دكان السيد محمد العبودي الذي تقدم ذكره واذا بموزع الرواتب يقبل على متقلدا حقيبته الكبيرة ويفتحها ويخرج دفترا ويطلب مني التوقيع على قبض الراتب فقلت له أنا لا أقبض هذا الراتب لانني رفضت المنصب ولم أشتغل فبأى

وجه أخذ راتباً فقال لي من ذا الذي يأتيه راتب ويرده فقلت له أنا ذلك الرجل الذي لا يأخذ شيئاً من المال إلا بوجه شرعي لا يخل بالمرؤة فانصرف وفي اليوم التالي جاءني خادم الموظف الإسباني يدعوني فانطلقت معه حتى وصلت إليه فقال لي حتى الدراهم لا تقبلها فقلت له بأى وجه أقبلها أنا لم أعمل عملاً فكيف أخذ أجراً فقال لي نحن لم نطالبك بعمل فقلت له إذا أنا لا أخذ أجراً على عمل لم أقم به ولم أقبله وانصرفت ثم بعد شهرين دعاني ذلك الموظف مرة ثالثة وقال لي الآن نريد أن نتفق معك على اسناد المنصب المتقدم الذكر ونرجو أن تقبله وأن تشترط ما نريد فقلت له ان اسناد هذا المنصب على الوجه المتقدم فيه اهانة عظيمة من وجهين احدهما أنكم لم تسشيروني ولم تعرفوا رأيي ، والثاني أنكم جعلتم لي راتب بواب فأنتم تعطون فلانا ألفاً ومائتي بسيطة وهو شخص توجه الى الأزهر فأقام فيه سنتين ورجع بلا شهادة وأنا أحصل على شهادة دكتوراه من جامعة برلين تجعلون لي ثلاثمائة بسيطة فقال لي أنا معترف بالخطأ وأنا ما كنت أعرف رتبك العلمية والآن نتفق على ما تحب فقبلت ذلك المنصب براتب مناسب .

خمسمائة بسيطة من وزارة الاوقاف

فان قلت اذا كنت على الهمة داعياً الى الله تريد وجهه فلماذا كنت تأخذ من وزارة الاوقاف خمسمائة بسيطة على الوعظ والارشاد ، أقول اني كما قلت من قبل ، شرعت في الفاء دروس الوعظ والارشاد في الجامع الكبير بتطوان استجابة لطلب أولئك القوم وقياماً بالواجب الحتم ولم أطلب على ذلك أجراً الا من الله وبقيت على ذلك سنة كاملة وذات يوم قال لي الزعيم عبد الخالق الطريس رحمة الله عليه أنني قد سعت في أمر يخصك دون أن اعرف رأيك فيه اجتهداً مني وارجو أن اكون مصيباً وذلك أني رأيت أن دراهم الاوقاف تنفق في أمور لا تجدى نفعاً ، فعزمت أن ألتبس لك شيئاً منها تستعين به فكلمت أحمد بن البشير الكاتب العام للخليفة أن يكلم الخليفة ليأمر وزير الاوقاف أن يجعل مكافأة شهرية على دروسك في الجامع الكبير وقلت في نفسي أن نجحت في هذا السعى أخبرتك وان لم أنجح تركت الأمر مكتوماً عنك وقد نجحت الآن فقد أمر الخليفة وزير الاوقاف محمد بن موسى أن يجعل لك

خمسمائة بسيطة مشاهرة فان قلت فهلا ترفعت عنها ولم تقبل فالجواب ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ، ما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا
سائل فخذ فتموله او تصدق به وما لا تتبعه نفسك .

غضب رئيس الوزراء احمد الغنمية

لما نشرت كتاب كشف الشبهات ورسالة زيارة القبور وقررت فيما لا
يحصى من الدروس ان شد الرحال الى قبور الصالحين حرام شرعا وان اقامة
المواسم وتقريب القرابين عند قبورهم وسؤالهم قضاء الحاجات كنزول المطر
واعطاء الاولاد للعقيم من الرجال والنساء وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله
شرك يخرج فاعله من الملة خصوصا اذا دعى الى التوحيد وتبين له الحق واصر
على ذلك غضب عباد القبور كما تقدم وكان من اشداهم غضبا رئيس الوزراء فى
ذلك الوقت احمد الغنمية وكان متصرف تطوان والمغاربة يسمونه الباشا وكان
متولى هذا المنصب فى ذلك الزمان احمد عشعاش قد أظهر لى المحبة والتعظيم
بعدهما عقلت الهدنة مع المستعمرين وكان يقول لى لا تسمى باشا حسبك ان
تقول لى اخى احمد عشعاش فلما رأى رئيس الوزراء قد غضب وضاق ذرعا
بدعوتى الى التوحيد قال له لا يهمنك امره فاننى سأزوده برغيفين مادومين
بزيت وسكر وأبعته محروسا مع شرطيين الى الحدود يسلمانه للفرنسيين
فأرضاه بذلك الكلام وهو يعلم انه لا يستطيع ان يفعل ذلك الا اذا امره سادته
الاسبانيون فلم احفل بذلك وتوكلت على الله .

معركة مع فقيه مقلد مشرك

كان من جملة من عادانى وحاربنى شخص من فقهاء تطوان وكان مستشارا
للمستعمرين فى كل امر يتعلق بالاسلام وكان مشهورا بالخيانة عند الناس
كلهم يسمونه بياعا والبياع هو الذى يبيع قومه من المستعمرين ويتجسس على
ابناء وطنه ويبلغ سادته المستعمرين اسرار شعبه تزلفا لهم ، وكل ذنب عند
المغاربة يمكن أن يغفر الا هذا فان مرتكبه قد اجمع الناس على مقتنه ولعنه وسقوطه
الى الحضيض الاسفل ولا ينفعه مع ذلك نسب ولا حسب ولا علم ولما أنشأت
مجلة لسان الدين واصلت فيها الحرب على المشركين والمبتدعين شرق بها هذا

الرجل فذهب الى الحاكم الاسباني (بيلدا) وقال له ان الهلالي أنشأ مجلة وأخذ ينشر مقالات يفسد بها عقائد المسلمين ويظعن في عقائدنا ومقدساتنا وأنا أطلب منك باسم علماء الدين أن تلزمه بعرض المقالات قبل نشرها على لجنة من العلماء فما أذنت له في نشره نشره وما لم تأذن له في نشره يلقى ، فدعاني (بيلدا) وأخبرني بذلك على سبيل العرض ولم يأمرني بشيء فذهبت الى من هو أعلى منه من الاسبانيين وقلت لهم ان (بيلدا) قال كيت وكيت ونحن مختلفون في العقيدة اختلافا شديدا فلا يمكن أن يتحكم بعضنا في بعض وضربت لهم مثلا فقلت لهم ان أهل النصرانية مختلفون في العقيدة بعضهم كاثوليكيون مثلكم وبعضهم بروتستانتيون فهل يجوز عندكم أن يتدخل أحد الفريقين في عقيدة الآخر فقالوا لا، اذهب وانشر مجلتك ونحن نتكلم مع (بيلدا) أن يترك هذا الامر فانه ليس من اختصاصه فحبط عمل هذا المبتدع .

ولما اشتد على مرض الربو استأذنت الحكام الاسبانيين في السفر الى قبيلة تغزوت ببلاد الريف فأذنوا لي وأقامت هناك عند الشيخ محمد بن أحمد وهو من خيرة السلفيين كان يحضر دروسى فى الجامع الكبير كلما ورد تطوان وطلب الشيخ محمد بن أحمد التغزوتى من الحاكم الاسبانى أن يأذن لي فى القاء دروس لتعليم الناس كيف يصومون رمضان لان شهر رمضان كان قريبا فأذن لي وكنت ألقى فى كل يوم درسين فى بيان توحيد الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومجاربة الاستعمار فتاب من الطرائق والبدع كثير من الناس وتنورت أفكار أهل ذلك البلد وأفاقوا من سكرتهم الا القاضى وشرذمة قليلة فان القاضى أكرمنى اكراما عظيما وفرح بى أول ما قدمت ولما سمع دروسى انقبض منها وأعرض أما نائبه فكان على عكس ذلك فانه لم يسلم على أول ما قدمت ولم يتصل بى وكان يقعد وراء سارية من سوارى المسجد ويستمع حتى عرف ما أدعو اليه وتبين له الحق فجاءنى ودعانى الى بيته وأكرمنى ولم يزل محافظا على العهد الى يومنا هذا وأهل تغزوت كسائر أهل الريف يتكلمون بالبربرية وهى أخت قديمة للغة العربية كما أن البربر اخوان قدماء للعرب لايشك فى ذلك من عنده أدنى علم باللغات السامية ولذلك لم ينجح الاستعمار فى التفرقة بين العرب والبربر وحدث يوما أنى كنت جالسا فى دكان عند احد اخواننا الذين تابوا من البدع وأخوه الاكبر كان حافظا للقرآن وحافظا لمختصر

خليل وكان تجانيا فتاب من التجانية وعمره سبعون سنة واغتبط بالعقيدة السلفية فجاء سائل عربى وقال لصاحب الدكان أعطني صدقة لوجه غياث البر والبحر سلطان الاولياء مولاي عبد القادر الجيلانى فقلت له أنا نحن عبيد الله ولسنا عبيدا لعبد القادر الجيلانى فاذهب الى عبيده فنحن ليس لنا غياث الا الله فى البر والبحر ولا نتخذ من دون الله أولياء فقال لى أنت لا تساوى تراب نعل سيدى عبد القادر الجيلانى فقلت له أنا لا أساويه ولكنى لا أعبده فقال صاحب الدكان للسائل اذهب من هنا وأرنا ففاك فان هذا الرجل عندنا افضل من عبد القادر الجيلانى فقلت انك أخطأت فقال أمهلنى حتى أشرح لك مرادى ثم أحكم عن فقلت قل فقال أنت مقيم بين ظهرانينا تعلمنا مما علمك الله ونسألك فتجيبنا وعبد القادر ليس كذلك فقلت له أنا ان كان هذا مرادك فهو حق ولما رجعت الى تطوان علمت أن ذلك الفقيه البياع ذكرنى بسوء فى درس وعظه فقال لمستمعيه وهو يحثهم على الصلاة بسدل اليدين وترك سنة وضع اليمنى على اليسرى ماذا تقولون فى سيدى محمد السلاوى أكان عالما بالحديث والفقه أم جاهلا بهما فقالوا كان من كبار العلماء فقال وماذا تقولون فى سيدى أحمد الرهونسى وسيدى فلان وفلان فقالوا علماء فقهاء قال فهل كان أحد منهم يضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة قالوا لا قال فكيف تخالفونهم لقول شخص مجهول لا نعرف من أين خرج فأنشأت فيه قصيدة دالية أنقل نخبة منها هنا .

ومن شقوة أقبلت بالظلم تبتدى
ولا عجب اذ أنت بالجهل مرتدى
وجدى هلال بن الحسين بن أحمد
وجدى حسين سيد نجل سيد
وجدى حداد بوجه مسود
قريناهم بالمشرفى المهند
حبوك باسلام وفضل ممدد
ويا رب قين معن فى التمرد
وفجم ومطراق على الفقه يعتدى
وخذ من جديد فى الحديد لتتهدى
لدى بيع مفتاح وقفل ومحصد

تجاهلت يا بن القين فضلى وسؤددى
زعمت بأن لم تدر أصلى ومنشئى
سجلماسة الغراء ياقين موطنى
وجدى هلال صالح وابن صالح
وريحانة المختار جدى يشمه
ضربنا على الاسلام اسلافك الالى
فاما عقتت اليوم ساداتك الالى
فيا رب عبد مثلك اليوم أبى
غدا بعد سندان وكير وحفرة
دع العلم ان العلم لست بأهله
ففى الحرفة الاولى لقد كنت كاذبا

وفى الحرفة الاخرى على الله تفتري
ومينك فى دنيائك أهون مائما
وعيشك من صنع الحداثد طيب
فدونك يا بن القين نصحا مسددا
كذبت على شيخ كريم تحلما
على ابن مشيش قد كذبت بلا حيا
وتزعم ان الشيخ جاءك قائلا
وقل لفلان يشتري بيتك الذى
فكذبك الشخص الذى قد قصدته
تروم بزعم نصر مذهب مالك
ومعصية المختار ليست بمذهب
وفرت بين البعل والزوج ظالما
وانكحتها فى عصمة البعل دون أن
أهذا الذى تدعو بمذهب مالك
فهذا الذى من أجله نال مالكا
ففعلك ذا نقض لمذهب مالك
تكلم فى قبض وسدل مضللا
حرمت وصولا للحقيقة عندما
فكلمة توحيد بها أبدأ محققا
فوجد اله الحق لا تدع غيره
فمن يدع غير الله يوما لحاجة
وذلك توحيد العبادة فآدره
سواء أصلى قابضا فى صلاته
ومن رد قول المصطفى بعد صحة
سيحرم فى يوم القيام شفاعته
ويسود فى يوم القيامة وجهه
ويبرأ منه ذلك اليوم مالك
وذلك فى أصل الشهادة واضح

وتلحد فى دين النبى الممجد
من المين فى أمر به الناس تقتدى
وان تاكلن بالدين تاكل من الردى
ومثلك لا يرضى بنصح مسدد
برؤيا منام فى حديث منضد
فاخزأك رب الناس فى كل مشهد
الى القصر فاذهب دون أى تردد
بمرتيل ان رمت النجاح بمقصد
وبؤت بخزى الله شر مفند
ومذهبه قفو النبى المؤيد
له أبدا فاقصر عن اللغو والدد
بعنف واكراه فهل أنت مهتد
يصح طلاق فعل أرعن مفسد
كذبت لعمر الله ياقين فاقصد
تكال ولم يدعن لآمر المهتد
وفسق بدين الهاشمى محمد
واهملت أصل الدين اهمال ملحد
اضعت اصولا من يضعها يلبد
فان تدر معناها الى الحق تهتد
لنفعك أو دفع المصائب ترشدد
يدنس باشراك ويردى مع الردى
فمن يجهلنه فى الجحيم يخلد
أم اختار سدا نقله لم يؤيد
فذلك كفار أئيم ومعتد
وان يات للحوض المبارك يطرء
ويشوى ثواء فى الجحيم ويخلد
وكل تقى للاله موحد
لكل صحيح الفهم لم يتبلد

فدونك يا شيخ القيون فوائدا
 فدع عنك تقليدا وشركا وبدعة
 صدقت الورى عن قفو سنة أحمد
 فبؤت بسخط الله ثم رسوله
 وكان اللوا جرى يقليك كالعمرى
 وأسخطت كل الصالحين من الورى
 وانك وايم الله أحقق من مشى
 فغذها غذيت التبن منى قصيدة
 فتخرج فى الاسواق ناتف لحية
 ولم يك قصدى ذكر عيبك كله

تمت

وانتشرت هذه القصيدة عند أهل تطوان وأعجبوا بها أيما اعجاب لانهم
 كانوا حاقدين على ذلك الرجل وكانت هذه القصيدة مقرونة بسوط عذاب
 من الله تعالى صب على ذلك المشرك فحدثت له حوادث من الخزي أذكر هنا
 بعضها .

الاولى ، أن شخصا من شيوخ الصوفية كان محترما عند أتباعه من أهل
 تطوان وهو الشيخ الفاسى جاء ذلك البياع ومد يده لمصافحته فقبض الشيخ
 بده أمام جماعة من الناس وقال له أنا لا أنجس يدي بمصافحتك فكانت ضربة
 قاتلة له .

الثانية ، ماتت امرأة فخرج الناس بجنائزها الى باب المقابر حيث يصلى
 على الجنائز لان المغاربة لا يصلون على الجنائز فى المسجد ويزعمون أن ذلك
 مكروه ويعلونه بنجاسة الميت وذلك جهل ومخالفة للسنة الصحيحة ، فان
 النبى صلى الله عليه وسلم صلى على ابن بيضاء فى المسجد .

ولما وضعت الجنائز نظر الحاضرون فرأوا هذا الفقيه بزعمه هو أولى أن يؤم
 الناس فى الصلاة على الجنائز لسنة وما اشتهر به من الفقه عند العامة فقال له بعضهم
 تقدم يا فقيه صل بنا وكانت فيه حماقة فقال رافعا صوته أنا لا أصلى بكم أنتم
 تقولون أنا بياع وخائن فقدموا غيرى وكان يؤمل أنهم يتملقون له ويمدحونه
 ويقولون حاشا لله أن نظن بك هذا ولكن خاب امله فان الناس اختلفوا وكثر

القبيل والقال حتى بلغ النزاع الى اولياء المرأة فقائل يقول هو أولى بالصلاة وقائل يقول ليس الامر كذلك لانه بياع فاتفق المتنازعون على أن يردوا نزاعهم الى اولياء المرأة ففعلوا فقال اولياء المرأة لا نرضاه اماما للصلاة على الجنابة فقدموا غيره . ولو انه حين دعى للصلاة تقدم وصلى لم يقع شيء من ذلك ولكن الامر كما قال الشاعر .

لكل داء دواء يستطب به
الا الحماقة أعيت من يداويها
فهذه المخزية الثانية .

الثالثة ، اتفق أن هذا الفقيه كان في مسجد صغير فحانت صلاة العصر وكان امام المسجد قد قرأ عليه شيئاً من الفقه فاستحى أن يتقدم امامه فقال له تقدم يا أستاذ صل بنا فقال الحاضرون كلهم لا نقبله لانه بياع والصلاة خلفه باطلة .

الرابعة ، أنه دعا رئيس البلدية الاسباني (بيلدا) الى مأدبة اقامها له في مارتيل وهي قرية معدة للاصطياف على شاطئ البحر الابيض المتوسط بينها وبين تطوان ستة أميال أكثر أهل تطوان يملكون بيوتا فيها يهبطون اليها في وقت الصيف فقط فتكون عامرة وفي شواطئها مسابح للرجال والنساء وفي سائر الفصول تكون فارغة تقريبا .

ترف أهل تطوان

كلمة تطوان محرفة عن (تطاون) بكسر التاء وتشديد الطاء وكسر الواو وهي كلمة بربرية معناها العيون ولا يزال جزء من تطوان الى الآن يسمى بالعيون ولم يكن لها شأن يذكر قبل هجرة أهل الاندلس اليها في أواخر القرن التاسع الهجري حين استولى النصارى على ما بقى من الاندلس وأجبروا المسلمين على التنعز أو الهجرة ولما جاء الاندلسيون الى تطوان وكان عندهم من الحضارة والمدنية ما لم يكن عند المغاربة أسسوا مدينة تطوان على النحو الاندلسي واستنبطوا المياه وجلبوها من الجبال المجاورة الى المدينة وغرسوا فيها الجنات الجميلة وأسسوا مدينة مارتيل للاصطياف وكان لكل أهل بيت أربعة مساكن كما أخبرني بذلك السيد محمد المؤذن الادريسي رحمة الله عليه وهو من أعيان تطوان فكان

لكل أهل بيت بيت فى تطوان وبيت فى البستان وبيت فى مارتيل وبيت فى ناحية أخرى قد تركت فكانوا يقضون فصل الشتاء فى تطوان وفصل الربيع فى البستان وفصل الصيف فى مارتيل على شاطئ البحر وفصل الخريف فى الناحية الأخرى التى تركت ولا يزالون مستمرين على هذه العادة حتى الآن إلا أنهم لا يقضون شهر رمضان والعيدىن إلا فى تطوان ولو كانوا ساكنين قبل ذلك فى إحدى النوحى المذكورة ينتقلون إلى تطوان فيهمضون فيها تلك الأيام ثم يعودون إلى مسكنهم خارج تطوان ، قلنا إن ذلك الفقيه أقام مأدبة فى وضح النهار فى بيته فى مارتيل على أعين الناس ولما جاء الضيف الأسباني تلقاه أمام بيته ولم يكتف بمصافحته بل عانقه فلما رأى ذلك أهل تطوان وهم أهل غيرة وشجاعة اشتد غمهم وحنقهم على الفقيه البياع ففكروا فى عقاب ينزلونه به دون أن يتعرضوا لانتقام (بيلدنا) فاتفق رأيهم على أن يجمعوا مقدارا كبيرا من العذرة الطرية ويلصقوه على باب بيته فى جنح الليل ففعلوا ذلك فلما أصبح الناس اجتمع الذباب على باب بيته وجاء الناس يتفرجون وقد كثر عددهم وعادة أهل تطوان أنهم لا يقومون من النوم إلا فى الضحى فأخبر بعض الجيران الفقيه وأهله بما جرى فقاموا فزعين وأخذوا ينظفون بابهم والناس تنظر اليهم وبعضهم يضحك وبعضهم يتشفى ويقول هذا جزاء البياع الذى يوالى أعداء وطنه وينصرهم على قومه .

الخامسة وحققا أن تكون الأولى . أن هذا الفقيه كان تلميذا للشيخ محمد بن جعفر الكتانى الفاسى المغربى الذى قضى شطرا كبيرا من عمره فى دمشق وكان محترما عند المغاربة وأهل الشام ولما استولى الأسبانيون على تطوان وقسم من شمال المغرب استشار الفقيه التلميذ استاذ الكتانى فى الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فاستحسن الشيخ ذلك وحثه عليه فهاجر الفقيه إلى المدينة النبوية وأقام بها مدة فلما خلع الفرنسيون السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول سافر هذا السلطان إلى مصر ثم إلى الحجاز فذهب إليه الفقيه مبتدع وشكى له حاله وأنه يريد أن يرجع إلى المغرب ويعود فى هجرته فأعانه على ذلك ورجع إلى تطوان ولم يقتصر على هذا الذنب حتى صار بياعا فسخط عليه الشيخ الكتانى وهجره واستمر على ذلك حتى مات وقد أشرت إلى ذلك فى القصيدة حين قلت :

فبؤت بسخط الله ثم رسوله وسخط شيوخ كابن جعفر زهد

السادسة ، كان فى تطوان فقيه مشهور بالصلاح والعفة والزهد والاستقامة يقده أهله تطوان وهو الشيخ محمد اللواجرى وكان معتكفا فى بيته لا يشهد جماعة ولا جمعة وعلل ذلك بأنه يرى المناكر ولا يستطيع أن يغيرها وكنت أزوره الفينة بعد الفينة فكان يفرح بزيارتي ويأنس لها ولم أر منه معارضة فى التوحيد والذى يظهر لى أنه كان بريئا من الشرك وكان هذا الفقيه من تلامذته ولما أراد الهجرة من تطوان استشاره فاستحسن ذلك فلما رجع من هجرته غضب عليه اللواجرى غضبا شديدا وحذر الناس منه ولاسيما حين صار بياعا وكان هذا الفقيه يجتهد بكل وسيلة أن يجد سبيلا لارضاء الشيخ اللواجرى فكان يضرب فى حديد بارد لان اللواجرى أصر على السخط عليه وبغضه لله فلما حضرت الوفاة الشيخ اللواجرى اغتتم هذا الفقيه الفرصة وظن أن شيخه وهو فى غمرات الموت لايعرفه اذا سلم عليه وودعه وبذلك يخرج من سخطه ولو فيما يظهر للناس فقصدته وحدثنى أحد أعيان تطوان وأشرفها وهو الحاج محمد الشرتى أنه كان جالسا عند الشيخ اللواجرى رحمه الله وقد حضرته الوفاة فجاء هذا الفقيه وقبل رأسه وقال سامحنى أيها الشيخ الصالح فما كان من الشيخ المحتضر الا أن استوى جالسا كأن لم يكن به مرض ورفع يده ولطم الفقيه لطمه شديدة ، ثم اضطجع فمات فى الحال والى ذلك أشرت فى القصيدة بقولى :

وكان اللواجرى يقلبك كالعمرى متى جئتته ياقين تصفع وتطررد

فان قيل لماذا سميته قينا وهو فقيه فالجواب أن الفقيه فى اللغة العربية هو الحداد وكان أبوه حدادا وكان هو يشتغل معه فى صباه ولما تعلم الفقه أعنى فروع المذهب المالكى وليس ذلك بفقه ولكنه اصطلاح وعرف ، كتسمية اللديغ بالسليم ، ترك تلك الحرفة وكان دكان أبيه الذى كان يشتغل معه فيه بهذه الصنعة لايزال تحت تصرفه يكرهه فان قيل وهب أنه كان حدادا فأى نقص فى ذلك وقد كان نبي الله داود يصنع اللروع من الحديد قال تعالى فى سورة الانبياء (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) فمعرفة هذه الصنعة نعمة فكيف يعير بها ، فالجواب : أنها فى

حق داود عليه السلام نعمة وفضيلة وفي حق غيره أمر مباح لا يحمد فاعله
ولا يذم فلو كان هذا الفقيه مستقيما في دينه ولم يبدأني بالظلم ما عبرته
بذلك لان هذه الصنعة لا يضيره التعيير بها لو لم يكن موصوفا بتلك الطوام
واذ كان مشركا مبتدعا يباعا فاني لم أر حرجا في تذكيره بحرفته السابقة وحرفته
اللاحقة ، قال الشاعر :

ومن دعا الناس الى ذمة ذموه بالحق وبالباطل

ولما انتشرت القصيدة وصارت حديث الناس نظم نظما ركيكا هجاني به
ولم يجد ما يعيبني به الا زعمه أن ابي كان حقيرا يكنس الشوارع وأن اُمي
كانت خادمة في البيوت وأنني مصاب بداء السل لا أزال أبصق وأسعل والمخاط
يسيل من أنفي وأن الشباب الذين صحبوني أصفرت وجوههم فلم يعبأ أحد
بقصيدته لركاكتها ولانها شتم وكذب وتناقض فانه قال في الجامع الكبير
على رؤوس الاشهاد في حق أني شخص مجهول لا يعرف من أين خرجت وهذا
كذب مفهوم فان كان يجهلني ففي تطوان من يعرفني ويعرف ابي وأمي وأن ابي
كان عالما وجيها وأمي كانت شريفة عزيزة وقد تقدم أن الهجو بالكذب لا يضر
فلما رأيت قصيدته وهي في مائة وخمسين بيتا وكلها هذيان وشتم كما تقدم
هجوته بقصيدة أخرى نظمت أربعة أبيات منها في تطوان وسائرهما بالاندلس
وينبغي أن أثبتها هنا كلها او بعضها :

شدوا حيازيمكم يا اهل تطوان
دار يراد بها تثقيف فتيان
يروى الحديث باحكام واتقان
كير عن الشيخ مطراق بن سندان
حديثه مخص تدليس وبهتان
قول واكذبه حديث اقيان
لم يحترم جده سليل عدنان
او أحرق الثوب منه لفتح نيران
فانه فاجر عديم ايمان
من خبثه فهو شر الانس والجان

يا اهل تطوان ان الساعة اقتربت
شيخ الحديد غدا شيخ الحديث لدى
وهل سمعتم بقين صار ذا أثر
عن فحمة بن دخان عن ابي شرر
يقول لا تثقوا فان صاحبنا
وقيل لا صانع الا ويكذب في
ومن على ابن مشيش افتري كذبا
وصح من جالس الحداد سوده
يا تلاميذه انا النصيح لكم
ويا تلاميذه كونوا على حذر

فقبلوا يده واحنوا رؤوسكم
فان تقبيل كف القين صار له
لا تعجبوا من يد من كيرها انتقلت
فالكتب شاكية بالدمع باكية
ما زلت في ضعة حتى وصلت الى
ما كنت احسبني ابقى الى زمن
تالله لو كان للتدريس محتسب
يروى الحديد ويطويه وينشره
دقق دقق دقق دقق دقق دقق
لكن ذا زمن به البغات غدا
والذئب أصبح مسك الضان مرتديا
وأصبح الدين للدنيا تعلمه
لو كان يجدى البكا يوما بكيت على
لم يبق منها سوى الاسماء خالية
وكم أهبت بقومي صارخا أبدا
دعوا دجاجة يبغونها عوجا
أسلافنا ارتفعوا أسلافنا سعدوا
قد اقتفوا سنة المختار خالصة
ومنذ بدل قوم هديه سقطوا
أوطانهم بهم والله قد شقيت
والله لن تسعدوا الا بما سعدوا
ومن يرد حديث المصطفى سفها
يا رب صل على المختار سيدنا
والآل والصحب ثم التابعين له
فرج بها كربى واجمع بها شعشى
وانصر بها حزبنا طول الحياة وفي

كى لا يصيبكم يوما بعدوان
كالقوت للظاؤ او كالما لظمان
للكتب يعجبها تقبيل فتيان
تقول يا ذلتى فى شر أزمان
قين يهدلنى من بين أقرانى
فيه يدنسنى قين بأدران
لظل منكمشا فى قعر دكان
أولى به ذاك من علم وعرافن
دقق دقق فانفخوا بالكير صبيان
مستنسرا صائلا فى زى عقبان
ليبتغى الصيد من أغرار خرفان
وقد تمول منه كل خوان
علم الحديث وتفسير وقرآن
من كل معنى سوى تحريف كهان
أوبوا لهدى نبي الله اخوانى
فلن يقودكم الا لخسران
لقفوهم أحمد الهادى باحسان
من غير شوب بزید أو بنقصان
الى الحضيض ونالوا كل حرمان
والارض تسعد أو تشقى بسكان
فلا يفرنكم وسواس شيطان
يا رب فالعنه من جن وانسان
ما غنت الورق فى دوح بالحنان
واجعل محبته روحى وريحانى
واصلح الحال فى سرى واعلانى
يوم الجزا جدلنا طرا بفقران

السابعة أن هذا الفقيه المتحمس للمذهب المالكي بزعمه كانت له ابنة زوجها بشاب كاتباً في وزارة العدل التي كان يتولاها أفيالاً وكانت بينه وبين الفقيه عداوة لأن كليهما فقيه أحدهما محظوظ والآخر محروم فكان الفقيه يسأل صهره عما يجري في الوزارة ليتوسل به إلى الطعن في الوزير فلا يكاد يسعفه بشيء مما يريد ولما ألح عليه قال له أيها الفقيه لا تسألني عن شيء من أسرار الوزارة فإني أقسمت يميناً على الإخلاص في عملي ؛ وافشاء الأسرار يعد خيانة وعواقبه وخيمة فغضب عليه وقال له هذا قدرى عندك يا ناكر الإحسان زوجتك ابنتي وفضلتك على غيرك ثم أنت تتألب على مع عدوى فسترى كيف يكون عقابي لك فأمر ابنته أن تنشر فنشرت ثم أجبره على تطليقها فطلقها كارها وهو يستغيث بالناس فلم يفتته أحد ولما تزوج شرط على أولياء الزوجة الجديدة أنه متى يسر الله له أن يرجع زوجته ابنة الفقيه فإنه سيطلق ابنتهم وإلى ذلك ؟! أشرت بقولي في القصيدة الدالية :

وفرت بين البعل والزوج ظالماً بعنف واکراه فهل أنت مهتد
الآيات إلى أن قلت :

أهذا الذي تدعو بمذهب مالك كذبت لعمر الله ياقين فاقصد

ومن أشهر ما وقع لمالك رحمه الله في حياته أنه كان يفتي بأن طلاق المكره غير لازم وعلى ذلك ضرب بالسياط فالعجب ممن يريد أن ينصر المذهب المكنوب على مالك ثم يخالف مذهبه الصحيح المتواتر والله لا يهدى القوم الفاسقين .

الثامنة ، أنه كان يريد ولو بجذع الأنف أن يكون مدرساً في المعهد الديني الأعلى وسعى للوصول إلى ذلك سعياً حثيثاً واستعان بسادته المستعمرين فلم يصل إلى مراده إلا بعد اللتيا والتي ، ولما صار مدرساً في المعهد صار يفرض على الطلبة كلما رأوه من بعيد أن يهرعوا إليه ويقبلوا يده ويهددهم بأن من لم يفعل ذلك يسقطه في الامتحان وإلى ذلك أشرت بقولي في النونية :

فيا تلاميذه أنا النصيح لكم فإنه فاجر عديم إيمان
قبلوا يده واحضوا رؤوسكم كي لا يصيبكم يوماً بعدوان

راجع هذه الآيات في النونية .

التاسعة ، أنه كان له بيت في مارتيل وكان يريد بيعه فلم يجد من يشتريه منه فسافر من تطوان الى القصر الكبير وقصد المثرى المشهور الحاج عبد السلام حسيسن وقال له ان سيدى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه جاءنى فى المنام فشكوت له تعسر بيع دارى التى فى مارتيل فقال لى اذهب الى خادمنا الحاج عبد السلام حسيسن وبلغه سلامى وأخبره أنى أمره أن يشتري منك تلك الدار وسيشترىها منك قال الحاج عبد السلام فلما جاءنى وقص على الرؤيا قلت له ان أمر سيدى عبد السلام على رأسى وعينى ولكنى أنا بنفسى عندى بيت فى مارتيل لا أحتاج اليه لانى أسكن فى طنجة وفى القصر الكبير وأنا محتاج الى بيعه فكيف أزيد عليه بيتا آخر فرجع خائبا والى ذلك أشرت بقولى فى الدالية :

على ابن مشيش قد كذبت بلا حيا فأخزاك رب الناس فى كل مشهد

العاشرة ، زيارة الفقيه البياع لاستاذى شيخ الاسلام محمد بن العربى العلوى ، سافر هذا الفقيه من تطوان الى الرباط وزار شيخ الاسلام محمد بن العربى العلوى رحمه الله فلما أخبره أنه من تطوان سأله عنى فقال له تعرف الدكتور محمد تقى الدين الهلالى ؟ فقال له نعم أعرفه وقد هجانى بقصيدتين، ولما تقلص ظل الاستعمار الذى كان حائلا بينى وبين رؤية أستاذى المذكور واجتمعت به أخبرنى بذلك وقال لى لما أخبرنى أنك هجوته علمت أنه حيث .

الامير الماللى والاستسقاء

يسمى المغاربة أمير كل بلد قائدا والقائد الماللى حاكم القصر الكبير كان من أقوى الامراء الذين لهم وزن ثقيل عند المستعمرين الاسبانيين وعند رعيته ولكنه لم يكن يقارب منزلة أمير العرائش السيد خالد الريسونى رحمه الله كما تقدمت الاشارة الى ذلك ، لما سمع الامير الماللى بقدومى تطوان ودروسى فيها أراد أن يدعونى الى امارته ليكرمنى وتكلم مع الزعيم عبد الخالق الطريس فى ذلك وسألت عنه فعلمت أنه تجانى متعصب فنشرت فى صحيفة الحرية ثلاث مقالات تحت هذه الترجمة (كيف خرجت من الطريقة التجانية) وذكرت فيها قصة خروجى وتوبتى من هذه الطريقة وأقمت البراهين على بطلانها

فغضب غضبا شديدا ورجع عما كان عازما عليه ولما أصبت بداء الربو وقد تقدم أن المشركين في تطوان زعموا أن الشيخ السعيدى هو الذى أصابنى بذلك المرض لانى أنكرت عليهم عبادته بالذبح والنذر والاستغاثة فقلت على كرسى الوعظ فى الجامع الكبير ان هؤلاء الذين يزعمون أن الشيخ السعيدى هو الذى أصابنى بمرض الربو ليس لهم عقل ولا دين أما العقل فدليل نفيه عنهم أن خلقا كثيرا من سكان تطوان رجالا ونساء مصابون بهذا الداء وهم يعبدون الشيخ السعيدى فمن ذا الذى أصابهم بهذا المرض وأما دليل نفي الدين فان الشيخ السعيدى اما أن يكون مؤمنا بكتاب الله وبرسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا بد أن يكون مغتبطا ومسرورا بدعوتى الى توحيد الله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ساخطا على كل من يعبده بالذبح والنذر والاستغاثة متبرئا الى الله من عملهم ؛ واما أن يكون مشركا يرضى بعبادتهم له اذا فأبعده الله ان كان ذلك والذى نظنه به هو الخير «ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان» . لما اشتد على مرض الربو قيل لى لو توجهت الى القصر الكبير فان بينه وبين البحر عشرين ميلا وهوأوه ناشف بعض الشئ يمكن أن يخف عنك بعض ما تعانیه فذهبت الى القصر ونزلت فى فندق وأنا فى حالة يرثى لها فجاءنى رجل يظهر عليه أثر النعمة والغنى ومعه شاب فسلم على ببشاشة فقلت له من أنت فقال لى أنا الحاج عبد السلام حسيسن وهذا ابنى محمد فرحبت بزيارته فقال لى أما تعرفنى قلت لا فقال لى اننى حضرت مجالسك فى طنجة وكنت عازما فى ذلك اليوم أن أدخل فى الطريقة التجانية فسمعتك تشرح ما فيها من الضلالات فعدلت عن الدخول فيها وحمدت الله الذى أنقذنى من الوقوع فى حبالها فلك على فضل لا ينسى وأنا أدعوك أن تنزل فى بيتى فقلت له انى اخترت هذه المقصورة لانها محكمة النوافذ لا يهب على فيها الهواء البارد فقال لى عندى غرفة أحسن منها ومعها حمامها وبيت الخلاء وأنا أقوم بخدمتك على أحسن وجه فأقامت عنده خمسة عشر يوما ثم سافرت الى طنجة وجئت بأهلى وأقمنا فى ضيافته خمسة عشر يوما فأردنا أن نسكن فى بيت وحدنا فأسكننا فى بيت له خارج المدينة وبقيت هناك أربعة أشهر .

صلاة الاستسقاء

وفى تلك السنة قل المطر وعم الجذب وعادة المغاربة فى مثل هذه الحال ان يفزعوا الى أضرحة الاولياء ويذبحوا لهم الذبائح ويستغيثوا بهم لياتيهم المطر ويزول عنهم الجذب فأمر القائد الملاى مناديا ينادى قائلا بأعلى صوته لا اله الا الله محمد رسول الله لا تسمعون الا خيرا ان شاء الله ان الامير يأمركم ان تبرعوا بالدرهم لشراء الثيران والكباش وتتهيأوا فى اليوم الفلانى للاستسقاء عند أضرحة الاولياء فلما جاء اليوم المعين خرج الامير والقاضى وجميع أهل البلد حفاة حاسرى الرؤوس وظافوا على أضرحة الاولياء قائلين بصوت واحد (جئناكم قاصدين ، لا تردونا خائبين ، يا أولياء الله الصالحين) وتوجهوا أولا الى قطب البلد على أبى غالب والثور الاسود أمامهم وهو اكبر الثيران وأسمنها فوصلوا الى ضريحه خاشعين وذبحوا ذلك الثور وذابحه يقول الذبيحة على الله وعليك يا سيدى على أبا غالب ثم ظافوا على أضرحة الاولياء الكبار فذبحوا على ضريح كل واحد منهم ثورا وأما الاولياء الصغار فذبحوا على ضريح كل واحد منهم كبشا ورجعوا فثشا غمام فى السماء فبالت الله تعالى أن لا يسقيهم ولا قطرة واحدة فاستجاب الله دعائى وانقشع ذلك الغمام وجاء بعده غمام مرارا ثم انقشع ولم يسقوا قطرة واحدة وعدد جماعتنا الموحدين ومنهم السيد أحمد الجبارى رحمة الله عليه والحاج عبد السلام حسيسن فبعضهم اختفى فى يوم الاستسقاء خوفا من الامير وبعضهم أعلن معارضته كالحاج عبد السلام حسيسن عددهم لا يزيد على اربعين الا أن أحدهم معلم صبيان وعنده خمسون صبيا يعلمهم القرآن جاء بعض أصحابنا الى وقالوا لى ان الامير والقاضى ومن تبعهما ارتكبوا أمرا شنيعا مخزيا فنريد أن نغسل هذا العار بصلاة الاستسقاء فى مصلى العيد خارج المدينة ونريد أن تكون امامنا فى صلاة الاستسقاء فان المغاربة يعتقدون أنه متى صليت صلاة الاستسقاء يموت امامها ويموت السلطان ولم يشأ أحد من الفقهاء الموحدين أن يصل اماما لان أزواجهم وأولادهم اذا سمعوا أن أحدهم يريد أن يصل صلاة الاستسقاء اماما يفزعون ويبكون خوفا عليه ويمنعونه فقلت لهم ان المرض على شديد ولكنى أرجو من الله أن يقوينى حتى أصلى بكم صلاة الاستسقاء وأنا لا أخاف الموت فاتفق الجماعة على يوم معين فجاءونى بسيارة وتوجهنا الى مصلى

العيد ورايت الزرع بدأ يبس فرقيت المنبر وخطبة خطبة غلبني فيها البكاء
وصليت بهم ركعتين وفي اليوم التالي أذن الله للسماء أن تمطر فأمطرت مطرا
غزيرا غدقا أحياي الله به الارض بعد موتها واستبشر الناس وفرح أصحابنا
بنصر الله لنا على القوم المشركين .

الاجتماع بالامير الماللي

بعد ذلك المطر كان الامير الماللي يتحدث مع جلسائه فقال أحدهم أيها
الامير ، على هذا الغيث ينبغي أن نعمل مأدبة كبيرة شكرا لله تعالى فقال ، أي
والله فقال أحدهم أنا أصنع لكم مأدبة ثم قال آخر ينبغي أن يدعى الى هذه
المأدبة الدكتور محمد تقى الدين الهاللي لانه هو الذى صلى صلاة الاستسقاء
التي على اثرها جاء المطر فقال الامير لا بأس ندعوه ثم قال لاحد جلسائه من
سوء حظى أننى نسييت اسمه وسأصفه بما لايلتبس به مع غيره فهو رجل
من أعيان القصر الكبير وقد كان قبل الاستعمار سفيرا للجزائر فى المغرب
حسب ما سمعت وهو من جماعتنا الموحدين فقال له الامير أنت من أصحابه
فاذهب اليه وادعه فجاءنى رحمة الله عليه وقال لى ان القائد الماللي يدعوك
لحضور المأدبة التى ستقام شكرا لله على المطر وكنت فى أشد ما يكون من الضعف
وكان مرض الربو على شديدا فسألت الله أن لايشمت بى أعدائى وأن
يمنحنى خفة وقوة لكى أستطيع أن أتحدث وأشرح حقيقة دعوتى أمام هذا
الرجل وجلسائه وهم أعيان البلد فاستجاب الله دعوتى وخف المرض قليلا
فركبت السيارة وتوجهت الى المكان المعد فسلمت عليه وأجلسنى الى جانبه
وكان فقيه القصر الكبير ابن عبد القادر الطود حاضرا فبقيت ساكنا أنتظر أن
تسبح لى فرصة للكلام فجرى ذكر اللحوم وما يستحسن أكله منها واختلاف
أذواق الناس فى ذلك فقال الامير يا عجباً لاهل سجلماسة يأكلون الجراد
وهو ضرب من الخنافس ويشمئزون كل الاشمئزاز من أكل الحلزون ،
(ويسمى باللغة المغربية ببوش) ثم قال ، ولى أصدقاء من شرفاء سجلماسة
إذا زارونى وأردت أن أغضبهم على سبيل المداعبة أقول لهم غداؤنا اليوم
ببوش فينتقزون ويفضبون فقلت ، أيها الامير كيف تعيب أكل الجراد على أهل
بلادنا وقد أكله النبي صلى الله عليه وسلم وتمدح أكل الحلزون وهو دود مائع

ولم يأكله النبي صلى الله عليه وسلم فالنبي معنا وبه نتنصر عليكم فقال
الملاي إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم معكم وجب علينا أن نكون نحن
أيضا معكم واستمر الحديث في ذكر ما يؤكل من الحيوان حتى ذكر أكل سباع
الوحش كالثوب والكلب والنمر والاسد فاندفع الفقيه الطود يسرد ما قاله
خليل في مختصره ومختصر خليل عند المغاربة هو كل شيء هو القرآن والحديث
والعلم متى جرى ذكر مسألة فقهية فالسعيد منهم هو الذي يورد عليها نص
مختصر خليل وحين يسمع نصه فهو القول الفصل عندهم فقال الطود قال
صاحب المختصر وكره هر وذئب ونمر وأسد وانطلق بسرعة السهم يسرد
مختصر خليل فسنتحت حينئذ فرصة أخرى للكلام فقلت له اتقوا الله ولا تكذبوا
على مالك فإنكم أبحتم أكل لحوم السباع مع الكراهة التنزيهية ونسبتهم
ذلك الى مالك ومالك برى من ذلك فقد روى في موطنه بسنده الى أبي ثعلبة
الخشني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل كل ذي ناب من
السباع ثم روى بسنده المتصل الى أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال أكل كل ذي ناب من السباع حرام قال محمد بن الحسن في موطنه عقب
هذا الحديث بهذا ناخذ ، يكره اكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من
الطير وهو قول أبي حنيفة والعامه من فقهاءنا وابراهيم النخعي انتهى ، أبعده
ما يصرح مالك في روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أكل كل ذي
ناب من السباع حرام تنسبون اليه القول بالاباحة مع الكراهة التنزيهية
وتزعمون أنه هو مشهور مذهبه وقد جلبتكم بذلك سبة على مذهبكم حتى نسب
اليكم خصومكم أنكم تبيحون أكل لحوم الكلاب وهم في ذلك صادقون لان شراح
المختصر ذكروا أن الكلب من جملة السباع ثم خرجت من الكلام في هذه المسألة
الى الكلام في وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وترك تحكيم الرجال
وآرائهم المخالفة لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت حديث عدى بن
حاتم حين جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقه صليب فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ألق عنك هذا الوثن وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا سورة براءة حتى انتهى الى قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو
سبحانه عما يشركون) فقال عدى يا رسوله الله أنا لم تكن نعبدهم فقال

النبى صلى الله عليه وسلم أليس يحلون لكم ما حرم الله ويحرمون عليكم ما أحل الله فمتبعونهم قال بلى قال النبى صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم أو كما قال ثم خرجت من ذلك الى الدعوة الى توحيد الله تعالى وترك البدع فى الدين وتحديث زهاء ساعة والامير يسمع وكان يحب الخوض فى النوادر والضحكات ومع ذلك صبر الى أن أنهيت كلامى وكان رجلا عاقلا من أهل الروة ومن الامثال (عدو عاقل خير من صديق جاهل) ولما انتهيت من كلامى قال لى الفقيه ابن عبد القادر الطود أيها الاستاذ اننى أكن لك الحب والاجلال فكيف هجمت على بمثل هذا الهجوم الشديد لعلك لا تعلم أنك لما رقيت المنبر لخطبة الاستسقاء بحذائك أنككر ذلك كثير من الناس فدافعت عنك وقلت لهم ان فقهاءنا قالوا لو انتقض وضوء الخطيب وهو فى خطبة الجمعة ثم دعا بماء فتوضأ واستأنف خطبته جاز ذلك فأيهما أعظم انتقاض الوضوء أو الخطبة بالنعلين فقلت له أنا ما قصدت الاساءة اليك ولكنى كنت أنتظر فرصة للكلام فهيأتها لى بسردك كلام خليل فى أكل لحوم السباع وجزاك الله خيرا على دفاعك عنى أما الذين انتقلوا على خطبة وأنا منتعل فهم أجهل من حميرهم لان الصلاة فى النعل سنة النبى صلى الله عليه وسلم فكيف بالخطبة .

الاستسقاء بذبح الخيل

وفى تلك الايام المجدة بلغنا استسقاء آخر عجيب وغريب وذلك ان أهل سريف وهى قرية فى شمال المغرب أشار عليهم أحد الدجاجلة بمازعم أنه قرأه فى كتيب من كتب الخرافات والاساطير يسمى خزينة الاسرار وذلك أنه اذا وقع الجذب وانقطع المطر وأراد الناس الغيث يعملون الى مهر من الخيل فيكتبون على جبهته قوله تعالى من سورة الشورى « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » ثم يذبحون المهر ويعلقون رأسه فى فرع شجرة عالية فانهم يمطرون فعل ذلك أهل سريف فخيبتهم الله وفى ذلك قلت القصيدة التالية :

بكى قوم على جاء ومال وأعول آخرون من الهزال
وبعضهم بكى فى اثر خل يعيد الانس آذن بارتحال
وبعضهم ينوح على شباب تولى ثم بدل باعتلال

ولا براك عليه ولا مبال
ونور الحق غطى بالضلال
تنادى أين أنتم يا رجالي
خبيث سالك سبل الخبال
لنصرتها توعد بالقتال
حواليه توالى من يوالى
لقد شمل الاسافل والاعالى
وينصره المهيمن ذو الجلال
مهتدة تضيء دجى الليالى
ومن حجج الاصول له عوالى
يتامى فى الحديث ذوو اختبال
ينق مر الهزيمة فى النزال
وفى أخراه يقرب بالنكال
سؤال الغيث من مولى النوالى
سواه مخلصين فى الابتغال
دعوا أهل المقابر باهتبال
وقد نحرروا السمان من الجمال
مقال المصطفى خير المقال
وأعرق فى الجهالة والخبال
تواتر نقلها بين الرجال
من الخيل المظهمة الفوالى
ولم يذنب الى أحد بحال
من القرآن يا لك من ضلال
صفات الله عن هذى الخلال
مع السنن المطهرة العوالى
بلا ذبح لغيل أو بفال
عذابا قول ربك ذى التعال

ودين الله أصبح فى ضياع
بهر صار فيه العرف نكرا
وسنة خير خلق الله أضحت
طفى وبغى عليها ذو ابتداع
متى ما شاهد الغرباء هبوا
وغرته جموع وافرات
وساعده عموم الجهل حتى
وحزب الله يغلب كل حزب
فيصلت من كتاب الله بيضا
ومن سنن الرسول له سهام
وأهل الرأى كلهم بغاث
ومن يعرض عن السنن العوالى
ويكسى الخزى فى دنياه دوما
ومن سنن الرسول وتابعه
من الرحمن لا يدعون شيئا
الى أن جاء بعدهم خلوف
وقد ذبحوا لهم بقرا وشاء
ومن يذبح لغير الله يلعن
وأعجب بدعة فيما سمعنا
أمور عن سريف قد أتنا
فقد عملوا الى مهر كريم
فحزوا رأسه بالسيف ظلما
وقد كتبوا بجهته سطورا
وتلك اهانة للذكر جلت
ولو تبعوا الكتاب وعظموه
لاسقامهم اله الناس غيضا
ومن يعرض عن القرآن يسلك

والاستسقا بذبح الخيل بدع غريب لم نر له من مثال
أهل سريف اتئدوا وتوبوا الى الرحمن من هذا المجال
فرب الناس صدقا وحدوده وقفوا للنبي بحر الكمال
« تمت »

الاستسقاء بالحصى

ووقع فى تلك السنة استسقاء آخر لا يقل غرابة عما تقدمه وذلك ان
دجالا من الدجاجلة اشار على اهل بلده ان يجمعوا سبعين ألف حصاة ويوزعون
الحصى على سبعين شخصا من القراء فينال كل واحد ألف حصاة فيدنى كل
حصاة من ذلك الحصى من فمه ويقرأ عليها مرة الآية التى تقدم ذكرها (وهو
الذى ينزل الغيث الخ) ثم يضعون ذلك الحصى فى أكياس ويشدون كل كيس
بحبل طويل ثم يدلونها فى نهر الى أن يصل كل كيس الى قرار النهر ويربطون
رأس كل حبل بشجرة قال لهم ذلك الدجال حين تستقر الاكياس فى أسفل
النهر يبتدىء الغيث ينزل ويستمر أبدا ما دامت الاكياس فى مكانها ولو بقيت
سنين حتى اذا رأى الناس أن الارض قد أصابها من المطر ما فيه كفايتها ينزعون
تلك الاكياس لانهم لو تركوها لاستمر المطر بدون انقطاع حتى يعم الطوفان
ويهلك الناس بالغرق ففعلوا ذلك فلم ينالوا قطرة : - ألا ترى أيها الموحد الموفق
لاتباع كتاب الله وسنة رسوله المتجنب للبدع كلها أن الله سبحانه اذ خيب
سعيهم وحرّمهم المطر وحبسه حتى توجه اليه حزبه المفلحون وهم فئة قليلة
لا يبلغ عددهم مائة وعملوا بسنة نبيهم ووجهوا وجوههم الى الله وحده فسقاهم ذلك
المطر الغزير أراد أن يجعلها كرامة ظاهرة لاهل الحق نصر بها أوليائه وكبت بها
أعداءه وبين لهم أن الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لهم رزقا وأن الرزق
بيد الله لا حيلة لمحتال فى جلبه وانما ينال بتقوى الله التى رأسها وسنامها
توحيده واتباع سنة رسوله ؟

هجو فقيه مبتدع مر علينا ولم يسلم

كان هذا الفقيه ولا أسميه - ابقاء عليه - من أنصار البدعة والشرك فمر على
ومعى جماعة من الموحدين فلم يسلم فأصلت عليه سيف الهجو جهادا فى سبيل
الله لينوق وبال أمره . وهجو المشركين من أعظم القربات وكان هذا الفقيه

السفيه قد بلغ به الجهل الى أنه كان في سفر من تطوان الى القصر الكبير فصلي
بمن كان معه المغرب ركعتين ظانا أنها تقصر كالرباعية فهجوته بهذه القصيدة
وذكرت تلك الحادثة العجيبة .

أبا مرة ماذا التعاظم والكبر
أبا لعلم ان العلم عنك بمعزل
ولم نر في أرض المغرب قاصرا
متى رمت أن تضحي فقيها محققا
ولا فضل ان الفضل لست بأهله ...
وحظك في التدريس حظ موفر
ولو كنت من أهل السلام عرفته
ولو ذقت للايمان أدنى حلاوة
وما يستقيم الظل والعود أعوج
جهلت لحاك الله ما في ابن عاشر
قضاؤك يا شيخ التيوس جنائسة
إذا كان رب الجهل ميتا فانما

وأنت حقير مائق أرعن غمر
كما لا يكون الدهر في المغرب القصر
كقاصر فرض للنهار هو الوتر
فقد رمت أمرا دونه الانجم الزهر
ولا حسب يلقى لديك ولا قدر
فباقل ان ينسب اليك هو الحبر
وأديت حقا واجبا تركه وزر
لاخرج منك الغش وانشرح الصدر
ولا يثمرن الشهدة الحنظل المر
امن بعد هذا الخزي ينفخك الكبير
على الدين ان الدين قد مسه الضر
ثيابك أكفان ومكتبك القبر

انتقام المستعمرين مني

تقدم أني سافرت الى شفشاون للبعد من شاطئ البحر طلبا لخفة مرض
الربو وبها لقيت الحسين النسيب الكريم السيد أحمد الريسوني وضيقتني
واعترف لي بأنه كان مع تلك الجماعة عازما على قتلي حتى نهاهم عن ذلك الامير
العبرى السيد خالد الريسوني رحمة الله عليه بقيت في شفشاون خمسة
أشهر أكثرها في بيت السيد أحمد الريسوني ثم تزوجت بفتاة من قرائب أحد
اخواننا وكنت ألقى دروسا منتظمة في الجامع الكبير دون أن أطلب اذا من
المستعمرين كما اتفقت عليه معهم في أول الامر وكانوا قد شرطوا على أن لا
أسافر الى المدن الصغيرة والقرى الا بأذنهم فسافرت الى شفشاون بأذنهم ولكني
شرعت في لقاء الدروس بغير إذن يضاف الى ذلك ما يأتي .

الاتصال بالوطنيين المقاومين للاستعمار

كان من أشد الناس اقبالا على دروسى ومرافقتى رجال حزب الاصلاح الوطنى اذكر منهم الحسينيين النسيبيين السيد عبد الله قريش والسيد العياشى العلمى .

تأليف مختصر هدى الخليل

قال لى اولئك الاخوان ان الله قد هدانا بدعوتك الى توحيدہ واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ونحن ضعفاء فى العلم لا نستطيع أن نفوض فى بحور كتب السنة على دلائل المسائل ومعرفة ما يوافق السنة لتجنب مخالفتها ولا نأمن أن تفارقنا بالموت أو بحادث آخر فنرجوا من فضلك أن تؤلف لنا كتابا يحتوى على مسائل العقائد والعبادات مجردا عن الادلة مطابقا للسنة المحمدية فأجبتهم الى ذلك وصرنا نجتمع فى بيتى كل ليلة الى منتصف الليل أحدهم يكتب وأنا أملى والباقون يطالعون كل واحد فى يده كتاب من كتب الحديث حتى أتممنا فى مدة قصيرة كتاب مختصر هدى الخليل فى العقائد وعبادة الجليل وتبرعنا جميعا بالدرهم اللازمة لطبعه حتى تبرعت النساء المحتجبات فى بيوتهن بدون أن تذكر أسماءهن وهكذا تكون الدعوة الكاملة الصافية الخالية من الاغراض الدنيوية فتخالط بسببها بشاشة الايمان قلوب المستجيبين لها وكان الحاكم الاسبانى يبعث عيونه يتجسسون علينا فيرجعون اليه ويخبرون باننا نجتمع كل ليلة الى ما بعد منتصف الليل فيعد ذلك من الائتمار بالحكم الاسبانى والسعى فى القضاء عليه ويبلغ ذلك الى اخوانه المستعمرين فى تطوان .

التعاون مع الامام الشهيد حسن البناء رحمة الله عليه

وبينما المستعمرون الاسبانىون مقتاضون على لاني نقضت العهد الذى بينى وبينهم لامرين أحدهما الاتصال بالوطنيين والتعاون معهم والثانى اللقاء الدروس بدون اذنهم وهناك نقض ثالث وهو نشر المقالات فى صحيفة الحرية لسان حزب الاصلاح الوطنى اذا بهم يكتشفون أمرا عظيما له بال هو أشد خطرا من كل ما تقدم وذلك ان الامام حسن البناء رحمه الله ورضى عنه كتب

الى يقول ان صحيفتنا (الاخوان المسلمون) بلغت من الرواج والانتشار ولله الحمد الى أن صارت في مقدمة الصحف اليومية التي تصدر في القاهرة ولنا مكاتبون في جميع أنحاء العالم الا في المغرب فليس لنا مكاتب يبعث لنا بأخبار اخواننا المسلمين في هذا القطر المهم فأرجو من فضلك أن ترشدنا الى مكاتب تختاره لنا وتخبرنا بما يطلب من المكافأة وان سمحت لك صحتك بأن تكون أنت بنفسك ذلك المكاتب فهو أحب الينا فأجبتة .

ليك يا ليك يا ليكا ها أنذا منطلق اليكا

أنا التي أتشرف بأن أكون مكاتباً لصحيفة الاخوان المسلمين ولا أريد على ذلك أجرا الا من الله تعالى .

وما أنا بالباغي على الحب رشورة ضعيف هوى يبغى عليه ثوابا

فشرعت في كتابة المقالات وكتبت الى الصحيفة المذكورة عدة مقالات باسم مستعار وظننت أن هذا العمل يبقى سرا مكتوما وكان ذلك غفلة منى ليقضى الله أمرا كان مفعولا فقد كانت الامتيازات التي اشترطها البريطانيون على المستعمرين الاسبانيين والفرنسيين في المغرب تقضى على الفريقين بأمور ، منها أنهم لا يتعرضون لمن له حماية انكليزية من المغاربة ، ومنها أن يكون للبريطانيين في كل مدينة من كبريات مدن المغرب بريد لا يدخل تحت مراقبة المستعمرين وغاب عني أن القنصل الانكليزي من أشد أعدائي وقد ائتمر مع الاسبانيين على فمنعوني من الرجوع الى البلاد الجرمانية وقد احتج على مقالاتي في صحيفة الحرية عند الاسبانيين وعاقبوا الصحيفة مرات بالغرامة والوقف الموقت كما فعل القنصل الفرنسي وسيأتي مزيد بيان لهذه العداوة ان شاء الله عند ذكر زيارتي للسفارة الانكليزية قبل سفري الى الشرق أضف الى ذلك أن الموظفين في البريد البريطاني في تطوان كلهم مغاربة وهم رعايا للاسبانيين بحكم الاستعمار وقد أكد عليهم الاسبانيون بالرهبة والرغبة ألا يروا رسالة فيها مساس بالاسبانيين الا أطلعوهم عليها فكانوا يطلعونهم على تلك المقالات قبل ارسالها وأنا غافل عن ذلك فأجمع المستعمرون على أن ينزلوا بي عقابا صارما فأوعزوا الى جنودهم من عبيد الاستعمار ومنهم وزير العدل في ذلك الزمان وأمير شفشاون ونائب قاضيها الحسن العمرتي أن يدبروا لي مكيده

يوقعونني بها في شرك العقاب دون أن ينكشف أن الدافع لها هم الاسبانيون
ففكروا ودبروا وقدروا فظنوا أنهم وجدوا ضالتهن المنشودة في أمر اسلامي
اصلاحي وذلك أنهم علموا أني حين أقمت بشفشاون وعظت قراء القرآن جماعة
بلسان واحد أن يتركوا ذلك العمل لانه مخالف للسنة وذكرت لهم حديث أبي
داود عن أبي سعيد الخدري قال اعتكف صلى الله عليه وسلم في المسجد
فسمعهم يجهرون بالقراءة : فكشف الستر وقال ألا ان كلكم يناجي ربه فلا
يؤذون بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة وروى مالك في
الموطأ عن فروة بن بياضة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس
وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال ان المصلي يناجي ربه فلينظر
بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن قال ابن عبد البر حديث
البياضى وأبي سعيد ثابتان صحيحان . فاستمعوا لنصحي وتركوا القراءة على
تلك الصورة ثم تبعهم أهل المساجد الاخرى فوجد أمير شفشاون ونائب
قاضيها باتفاق مع الوزير الوازر أنهم يدخلون على من هذا الباب فأعد الوزير
وأعوانه فتوى في صحيفة طولها نحو ذراعين أراني اياها الوزير فيما بعد
وزعموا أن الراجح في مذهب مالك أن القراءة برفع الصوت جماعة في المسجد
وان كان الناس في كل لحظة يدخلون ويصلون تحية المسجد جائزة بل مستحبة
وكل من درس مذهب المالكية في هذه المسألة يعرف أنهم كاذبون وقد نص
خليل على ذلك بقوله وجهر بها في مسجد كجماعة وأقيم القارئ في المسجد
يوم الخميس أو غيره وبسط القول في ذلك شراحه خصوصا المواق فضربوا
بذلك عرض الحائط واتبعوا بنيات الطريق ولما أعدوا الفتوى وأطلعوا على ذلك
ساداتهم المستعمرين رضوا عنهم وقالوا لهم لله دركم من عبيد ناصحين مخلصين
فان هذه المكيدة لم تخطر لنا على بال وبها يبقى أمرنا سرا مكتوما فاتفقوا مع
أمير شفشاون أن يأمر القراء بالعود الى تلك المخالفة لانهاهم أنا فيتخذ ذلك
وسيلة للقبض على وايداعى السجن بدعوى التشويش في أمور الدين فجاءني
النذير من أصحابنا وأخبرني بأن الامير ونائب القاضي وأعوانهما سينصبون
هذا الفخ الشيطاني في الجامع الكبير يوم الجمعة وسيأتي الامير بالشرطة معه
ليقبضونني وكنت في ذلك الوقت أقاسى من شدة الربو والضعف الشيء الكثير
فقال لي وازع النفس الامارة بالسوء اترك صلاة هذه الجمعة وأنت مريض عذرك

معك ولا تجعل لهم سبيلا عليك فما بك قدرة على السجن والتعذيب ، فقال لي وازع الله في قلبي أنت خضت هذه المعركة منذ زمان طويل ولم تبال بما يصيبك في سبيل الله فكيف تجبن اليوم فغلبت النفس اللوامة على النفس الامارة وذهبت وأنا أظن أنني لا أتم صلاة ركعتين تحية المسجد حتى يصعد الخطيب على المنبر ولا يبقى مجال لتغيير المنكر ولكن ما كتب على المرء لابد من وقوعه فتوجهت الى الجامع الكبير ووجدت جماعة القراء قد عادت الى القراءة جماعة رافعين أصواتهم بأقوى ما يستطيعون فصليت ركعتين ثم ذهبت اليهم ووقفت على حلقنهم ورفعت صوتي وقلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم يناجى ربه فلا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن ولا يؤذ بعضكم بعضا فما كدت أنتهى من هذا الحديث حتى سمعت صوتا وهو صوت الامير يقول اشت اسكت فقلت أسكت أنت يا جاهل يا ظالم اما تستحى من الله أن تقابل حديث رسول الله بمثل هذا من سوء الادب فما شعرت الا وخمسة من الشرطة يدفعوننى الى باب المسجد فمروا بى على نائب القاضى الحسن العمرتى فقام واقفا وقال بأعلى صوته اضربوا الكلب الكافر هذا أمر من الخليفة ففضح سرا دون أن يشعر ولم يمهلونى أن أبحث عن حذائى فقلت لهم أنا لا أمشى حافيا فذهب بعضهم وجاءونى بأحذية متعددة حتى وجدت من بينها حذائى فاحتذيته فصار أحدهم يدفعنى فى كنفى ويقول (زيد زيد) ومعنى ذلك باللغة المغربية امش امش فقلت يا هذا هون عليك فانك لا تستطيع أن ترعبنى ولست بنادم على ما صنعت ولا خائف مما تبيتونه لى والله غالب على أمره ولكنكم قوم تجهلون قلت معنى ذلك باللغة المغربية حتى أوصلونى الى غرفة التوقيف التابعة لمكتب الامير وأدخلونى وأغلقوا على الباب وكان معى مصلاى فبسطته واصلت الظهر أربع ركعات وكانت رائحة كريهة تنبعث من أركان تلك الغرفة وان كنت لم أر نجاسة فيها وبعد نصف ساعة أى بعدما رجع الامير من الصلاة وعلم أن أعوانه حبسونى فى غرفة الموقوفين وهو يعلم خبثها تحركت فيه عاطفة الرفق فأمر أحد الكتاب أن ينظم الى موظف آخر ويترك غرفته حسب ما سمعت وأمرهم أن ينقلونى الى غرفته فسمعت صلصلة المفتاح فى القفل ففتح الباب ودخل شرطى وقال لى قم واتبعنى فانطلق بى الى غرفة نظيفة فيها مقعد خشبى فجلست عليه وأغلق على الباب بالمفتاح فبعد قليل فتح الباب ودخل على أحد

الموظفين وهو من أقارب الامير وهو المسمى ابن اليماني وجاءني بطعام فأكلت منه قليلا وقال لي ان الامير نادم على عمله ولكنك أهنته أشد الاهانة على رؤوس الاشهاد فصار مضطرا الى أن يعاملك بمثل هذه المعاملة فقلت له اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ثم علمت زوجتي بما وقع فبعثت لي فراشا وطعاما مع أخيها فلم أستطع أن أكل شيئا فقلت له رده وائتني بالمصحف لأنني أحب ان أقرأ فيه لآكون أقوى على التدبر مني لو قرأت من حفظي فجاءني به وفي تلك الايام كان المجاهد العظيم أمير البيان الامير شكيب أرسلان قد توفي الى رحمة الله فأردت أن أنظم قصيدة في رثائه وطلبت أداة كتابة فلم يأذن بذلك الامير فأخذت انظم القصيدة بدون كتابة بيثا فيثا حتى أكملتها ستة وعشرين بيتا لانشدها في يوم تآيينه ان أطلق سراحي أو أبعثها لتتشدد في ذلك اليوم ان بقيت في السجن ففضى الله سبحانه أن أخرج من السجن وأحضر يوم التآيين وأنشدها فيه ولم أر مناسبة لذكرها هنا لأنها لا تتعلق بالدعوة وقد نقلها المجاهد الكبير محمد علي الطاهر في كتابه ذكرى الامير شكيب أرسلان فليرجع اليه من شاء الاطلاع عليها وعند منتصف ليلة السبت وهي الليلة الاولى التي قضيتها في السجن أو التوقيف كما يسمونه سمعت صلصلة المفتاح في القفل ففتح الباب وجاءني ذلك الشرطي الذي كان يدفعني أمس ويقول امش امش فأخذ يقبل يدي ورجلي ويقول سامحني يا سيدي ولا تواخذني بما فعلت فان هذا الامير الظالم أمرني بذلك وان شئت أن تخرج الى صحن الدار لاستنشاق الهواء النقي فانا في خدمتك وان أردت طعاما أو شرابا أو فراشا فأمرني به فدعوت له بخير وعفوت عنه وقلت لا أحتاج الى شيء.

الاجتماع بالحاكم الاسباني

وفي ضحى يوم السبت فتح الباب وأمرت بالخروج فلقيت شرطيا عند باب المبني ينتظرني فقال لي أنا رسول المراقب المدني اليك لتأتي الى مكتبه ولاجل أن لا يراك الناس في هذه الحال سأخرج بك خارج المدينة ونسير في طريق البساتين الى أن نصل الى مكتب المراقب فقلت له أنت مخطيء في ظنك أظن أنني أستحي أن يراني الناس ويعلموا أنني مسجون على يد المستعمرين اني أرى ذلك شرفا وأحب اعلانه فقال لي على كل حال الافضل أن لا نمر بالسوق

فقلت له ان امرك المراقب بذلك فلا بأس فانطلقت معه الى المراقب فاجلسنى
اولا فى مكتب فقيه المراقبة فسلم على الفقيه سلام اجلال وتكريم وقال لى جزاك
الله خيرا لقد شرفت اهل العلم بصبرك وجهادك وشجاعتك ان الناس كانوا
يقولون ان العلماء جبناء فأقمت أنت البرهان على كذبهم وأهل هذه المدينة
اصبحوا يجلونك ويحبونك حتى الذين كانوا يعادونك من قبل وفى هذا اليوم
ظهر لك مقال فى صحيفة الحرية فتخطف الناس اجزاءها وقرأوا مقالك بشوق
فجاء الشرطى ودعانى الى مكتب الحاكم الاسبانى وكان من فضل الله على انى
ما هبت احدا منهم ولا ناظرت احدا منهم الا ظهرت عليه فدخلت المكتب وجلست
على كرسى مواجه له فافتتح الحديث بقوله انا متأسفون على ما وقع بينك وبين
الامير ونائب القافى ولما كانت هذه المسألة دينية لم يكن لنا ان نتدخل فيها ونحن
نكرم اهل العلم ورجال الدين ونرى انه ينبغى لهم ان يكونوا حلما ويصفحوا
عن المسيئين اليهم ولذلك اقترح عليك ان تجتمع مع الامير وتتصالح معه ليمكن
من اطلاق سراحك وكلاما من هذا القبيل فقلت له بواسطة الترجمان مع انى
كنت افهم ما يقول لانى كنت فى برلين قد دفعت اجرة مائة ساعة لتعلم اللغة
الاسبانية فحضرت منها ستين ساعة اصف الى ذلك انى اقيمت فى غرناطة
اربعة اشهر كما تقدم ، قلت له هذا الاقتراح الذى اقترحت على يتفق عندكم
مع تعظيم الدين والعلم وحرمان المساجد ارايت لو ان قسيسا كان يعظ الناس
فى الكنيسة فقام رجل من الحاضرين واساء الادب مع الدين ومعه واسكته
فقال له القسيس الواعظ أنت أحق بالسكوت يا جاهل يا ظالم وكنت أنت
حاكم تلك المدينة ثم رفع الامر اليك فباى حكم تحكم اتحكم بحبس القسيس
والزامه بطلب العفو من ذلك الظالم الذى امر بحبسه واساء الادب مع الدين
وانتهك حرمة الكنيسة ام تأمر بحبس ذلك الجانى واطلاق سراح القسيس
والاعتذار له وارضائه فقال لى حائدا عن الجواب مقصودى ان العلماء من شأنهم
أن يكونوا حلما فقلت أرنى حقى ثم اطلب من الحلم اما قولك انها مسألة
دينية فليس بصحيح فانى اقيمت هنا أكثر من خمسة أشهر والامير ونائب
القاضى يعادياننى ولم يتجرأ على الاساءة الى حتى حرصتموهم على ذلك وهما
عبدان خاضعان لكم لا يتجرآن أن يحبسوا نملة الا بأمركم وأنا لست من الغفلة
بالمكان الذى يروج على فيه اعتذارك هذا فهو مردود عليك فقال لى أنا متأسف

وما أردت لك الا الخير وانت حر فى تصرفك وكان مما قاله لى ونسيت ذكره فى موضعه ان الامير كان مكرها على حبسك لانك شتمته أمام رعيته فلو لم يحبسك لم يبق له حرمة عندهم فلا يستطيع أن يحكم على أحد بعد ذلك فقلت له أهكذا تكون العدالة عندكم فى اسبانيا يتجرأ أمير قرية على اسكات واعظ فى الكنيسة والامر بحبسه ولا يعد ذلك ظلما ولا اهانة للدين والعلم ثم يعتذر للظالم بهذا العذر البارد فهب أنه لم تبق له حرمة عند رعيته ولا يستطيع أن يحكم عليهم فهناك حكم آخر هو أحسن وأعدل وهو أن يعزل ذلك الحاكم ويعاقب على عمله ويستبدل بغيره فانصرفت من عنده والترجمان يرافقتى وهو متأسف على فقال لى ماذا صنعت بنفسك يا أخى أنت مريض ولا قوة لك على البقاء فى السجن ولا تظن أن هذا الذى أنت فيه هو السجن انما هذا هو توقيف وتمهيد وسيحكم عليك بالسجن والمكث فيه صعب ولا تغتر بما يظهره لك الناس من المحبة فانه يمكن أن تبقى فى السجن حتى تموت فقلت له كما قلت للاسباني قبله أتريد منى أن أذهب الى الامير وأتذلل له وأكذب على نفسى وأقول انى كنت مخطئا فى جوابى لك فأسألك العفو فقال هذا الذى يحتمه الحال التى انت فيها فقلت لن أفعل ذلك أبدا ان شاء الله وليكن ما عسى أن يكون فقال لى أرجو أن توافقنى على لقاء الامير فقط فقلت أنا موافق عليه فقال إنتظرنى هنا فرجع الى الحاكم فقال انه قبل أن يجتمع بالامير فأذن لى أن أرافقه وكان هذا الرجل ناصحا لى ولم يكن يدرى أن الامر ليس بيد الامير ولا بيد حاكم شفشاون وانما جاء من الدائرة العليا فى تطوان وهو امر بيت بليل فلم يأذن له الحاكم بل قال له الشرطى الذى جاء به يرده فقال الترجمان لتشرطى اذهب به الى الامير فذهبت الى الامير فى مكتبه وقلت السلام عليكم فقال وعليكم السلام اجلس وأشار الى كرسي فجلست وبقينا ساكتين ثم قال أيها الاستاذ أنت قلت فى المسجد أمام الناس انى جاهل وأنت صادق ولكن لو قلت ذلك وصفحت عنك لسقطت فى أعين الناس ولم يبق لى عندهم احترام فقلت له ماذا تريد بهذا الكلام لعلك تريد اظهار الندم وفتح باب الصلح فقال نعم فقلت له لى شرط واحد ان أنت قبلته سامحتك فى الدنيا والآخرة وان لم تقبله فردنى الى السجن وقبل ذلك قلت له لماذا كنت قبل أن أجيء الى بلدك كلما رايتنى فى تطوان أسرع الى السلام على ببشاشة وتودد ولما جئت الى بلدك لم تسلم على

ولا مرة واحدة ولا ضيقتني فقال لي لم أستطع ذلك معناه انه يخاف من
 الاسبانيين ثم قلت له وهذا هو الشرط أن تقف في المسجد الجامع قبيل أن
 يرقى الخطيب على المنبر وتقول أيها الناس اشهدوا على اني كنت ظالما حين
 اسكت الدكتور محمد تقى الدين الهلالى يوم الجمعة الماضى وانى أشهدكم انى
 تبت الى الله واننى ألتم نصرة سنة النبى قولا وعملا حتى ألقى الله فقال
 لي دعنى أفكر فى هذا الامر فقلت اذا أرجع الى السجن حتى تفكر وكان الشرطى
 عند الباب فذهبت معه الى السجن ، أما أهل شفشاون فانهم استنكروا هذا العمل
 كل الاستنكار ولم يخافوا سطوة الامير ولا سطوة الاسبانيين واجتمع خلق كثير
 منهم فتوجهوا الى مكتب الامير ليبدوا له استنكارهم ويطلبوا منه اخراجى فأمر
 الشرطة أن يصرفوهم فصرفوهم ومن شدة اعجابهم بموقفى وثباتى أشاعوا أن
 الامير عرض على أن يطلق سراحي فامتنعت ولعلمهم فسروا اشتراطى ذلك
 الشرط عليه بالامتناع ووجدت بخط يدى ما نصه أن سكان شفشاون قد قاموا
 وقعدوا لهذه الحادثة وأقاموا القيامة وبلغ بهم الامر الى أنهم هجروا الجامع
 الاعظم فى الجمعة التالية فلم يصل فيه أحد الا الغرباء الذين يأتون الى السوق
 وذهب جماعة من المواطنين الى طنجة واحتجوا على هذه الحادثة عند السفير
 الاسبانى وأذاعت اذاعة لندن وقاطعوا الامير بقدر جهدهم فقد كانت لهم عادة
 فى أوائل ربيع الاول أن ينادى المنادى فى الناس بأمر من الامير أن يجمعوا
 النقود لشراء ثور يذبحونه فى اليوم الثانى عشر من هذا الشهر على القبة
 المسعوة سيدى على بن راشد ويبيتون ليلة الثانى عشر مع أمير المدينة ينشدون
 القصائد فى المدح النبوى فى تلك القبة الى أواخر الليل وبعد هذه الحادثة دخل
 ربيع الاول ونادى المنادى وكان شابا فذهب الناس الى أبيه وقالوا له كيف
 تترك ابنك يعين هذا الظالم الذى قبض على الدكتور يوم الجمعة بالمسجد الاعظم
 فلام الرجل ابنه فقال انى فعلت ذلك خوفا منه فقط وأنا أقول للناس بصوت
 منخفض لا تفعلوا لا تفعلوا ولم يتبرع أحد بفلس واحد لشراء الثور فاضطر
 الامير أن يشتريه من ماله الحرام وما ذبح لغير الله فهو جدير أن يشتري
 بمال حرام ولم يشاركه أحد من أعيان البلد فيما يسمى عندهم باحياء الليلة
 وهو فى الحقيقة امانة لها وهذا فى زمن الاستعمار عمل عظيم ولا يستغرب
 مثله من سكان الشمال فان لهم مواقف مشرفة فى مجاربة الاستعمار لا يتجرأ

عليها سكان الجنوب ولولا خوف الاطالة لذكرت أمثلة من ذلك .
وفي عصر ذلك اليوم وهو السبت 24 صفر 1366 هـ الموافق 17 يناير 1947 م جاءني السيد عبد السلام بن محمد المؤذن ، والسيد محمد العبودي وهما من خاصة تلامذتي من الشبان فدخلا علي في معتقلي وقال لي السيد عبد السلام اننا جئنا ظهرا وكنا عند الامير وبلغته أن والدي السيد محمد المؤذن ساخط كل السخط على معاملته لك وقال وقلت له أنا أين الصداقة والاخوة التي بيننا كيف تقبض على أستاذنا وتخرجه من المسجد وتحبسه بصورة مخزية لك وتبقى بيننا وبينك مودة، فقال لي ياسيدي عبد السلام هذا سر لا أستطيع أن أخفيه عنك ولا أستطيع أن أبوح به لغيرك ان المراقب الاسباني هو الذي أمرني بالقبض عليه وقد جاءه الامر من تطوان بذلك وأرجو أن تكتبم على هذا الامر ولا تخبره به فان في ذلك خطرا على منصبى وغدا يوم الاحد ما فيه شغل وفي يوم الاثنين يكون عندكم في تطوان ، فان قلت لماذا يخاف الامير من السيد عبد السلام ووالده كل هذا الخوف فالجواب ، أنه كان له عيال كثير وكان مفلسا على الدوام فاذا أراد المستعمرون توزيع سلفة من الحبوب على الاهالي يطلبون منه ثمنها نقدا فلا ينقذه الا السيد محمد المؤذن فهو يقرضه المال الذي يدفعه للمستعمرين ثم يأكل هو أكثر تلك الحبوب ويوزع شيئا قليلا على أصدقائه وهذا أمر مألوف بين حكام الشعوب المستعمرة .

الانتقال الى تطوان

مر يوم واحد وهو يوم تعطيل عند النصارى يمنع حكامهم رعاياهم ورعايا البلدان الواقعة تحت حكمهم من العمل من بعد ظهر يوم السبت الى صباح يوم الاثنين حتى المستشفيات يعطل فيها الشغل ولا يفعل الا ما هو ضرورى لانقاذ الحياة وكذلك المدارس والمحاكم ودور التجارة والمصانع الا أن سكك الحديد والطائرات والمطاعم لا تعطل ومن خالف هذا القانون واشتغل يعاقب عقابا صارما وليس العجب من النصارى اذا عطلوا يوم عيدهم المكثوب على المسيح فذلك دينهم ولكن العجب كل العجب من سكان المستعمرات التي كان يحكمها النصارى كباكستان والمغرب والجزائر ثم استقلت منذ زمان طويل ومع ذلك ما تزال محافظة على سنة النصارى في تعطيل يوم الاحد وتعطيل أيام عيد الميلاد

وكذلك لم يزل هؤلاء وغيرهم محافظين على سنة النصارى فى استعمال تاريخ النصارى وهجر تاريخ الاسلام حتى أن علماء الدين أنفسهم يكتبون الى اخوانهم المسلمين ويؤرخون لهم الكتب بتاريخ النصارى وللكلام على هذا موضع آخر وانما هى نفثة مصدر ، وانما قلت ان جعل يوم الاحد عيدا للنصارى مكذوب على المسيح فى جملة ما كذبوا عليه كأكل لحم الخنزير وقولهم ان الله ثلاثة أقانيم الاب ، والابن ، وروح القدس ، لان المسيح كان يعطل يوم السبت كسائر بنى اسرائيل والانجيل الاربعة طافحة بذلك فلما تنصر الملك قسطنطين كره موافقة اليهود فنقل العيد من يوم السبت الى يوم الاحد ،،،، أقول مضى يوم الاحد على فى السجن لانه لا عمل فيه وقبل فجر يوم الاثنين سمعت صوت المفتاح فى القفل ثم فتح الباب وقال لى الحارس خذما تحتاج اليه من أمتعتك لانك ستبارح هذا المكان فأخذت اللبدة التى أصلى عليها ولم آخذ شيئا غيرها وخرجت من مبنى مكتب الامير فوجدت حارسا آخر على الباب ينتظرنى فسلم على بلطف وأدب غير معهود من حراس مكتب الامير وقال لى اتبعنى فانطلقت معه الى مكان قريب من شركة بالين سيانا للسيارات فقال انتظرنى هاهنا فتيمنت واصلت الصبح لان فرضى فى تلك الايام كان تيمما للمرض الذى كنت مصابا به ثم رجع الى الحارس وأخذنى الى السيارة وركب الى جانبى فتوجهت بنا السيارة الى تطوان ولما نزلنا رافقنى الحارس الى مكتب (كاساس) وهو المراقب الاسباني الذى كان يتصرف فى جميع شئون الحكم فى تلك الايام وكان شديدا على المغاربة وكنت أقول فيه باللغة الاسبانية ، (كاساس كيقا أدستروير سوس كاساس) وهذا سجع لان الكلمة الاولى والاخيرة لفظهما واحد ومعناها مختلف فى الاولى علم على ذلك الحاكم الاسباني والاخيرة معناها بيوت أو ديار ومعنى الجملة كاساس هو الذى سيخرب بيوتهم أى بيوت قومه الاسبانيين وكذلك وقع فانه بقى يحكم بأمره وأمر رؤسائه حتى فاجأ الاستقلال وخرج من تطوان خاسئا ذليلا (فقطع دابر القوم الذين ظلموه والحمد لله رب العالمين) ولما جلست أمام كاساس قال لى نحن متأسفون لهذا الحادث وقد اشترط عليك الحكام الذين كانوا قبلى ان لا تسكن فى المدن الصغيرة لان حكامها يتصرفون حسبما يظهر لهم ولما كان هذا الحادث من شؤون الدين الاسلامى فنحن لا نحب أن نتدخل فيه وانما ننفذ ما يحكم به القاضى والامير فقلت له اننى لم أبلغ من

الغفلة والجهل الى الحد الذى تظنه فهذا الحادث بحذافيره منكم واليكم
وتستركم بدين الاسلام وبالمسجد وبالقاضي والامير لا يجديكم نفعا وبرهان
ذلك أن هذه المسألة وهى وعظ قراء القرآن أن لا يرفعوا أصواتهم ولا يقرؤوا
جماعة وقع منذ أكثر من خمسة أشهر واستمع القراء وقبلوا النصح وتركوا
القراءة طول هذه المدة والامير والقاضي يسمعان ويريان ولم يحركا ساكنا
ولا نسبا بينت شفة حتى أو عزتم اليهما بنصب هذا الشرك ولم تقتصروا
عليهما بل أو عزتم الى وزير العدل أن يحضر فتوى بذلك فقال لى أنا آسف على
تصورك هذا الذى هو مما تخيلته ولا نصيب له من الصحة فقلت له أنت
حاكم تستطيع أن تجعل الصحيح باطلا والباطل صحيحا بالقول ولا يستطيع
أحد أن يعارضك ولكن الحقائق فى نفسها ثابتة لا تتبدل فقال لى نحن لا نمنعك
أن تسكن فى شفشاون ولكننا لا نستطيع أن نضمن لك أن لا يتكرر مثل هذا
الحادث لاننا لا نستطيع أن نقيد أيدي الحكام المغاربة والاسبانيين عن التصرف
طبق ما يروونه صالحا للبلد الذى يدبرون شئونه ثم قال لى أنت حر طليق يمكنك
أن تنصرف فكانت مدة اقامتى فى السجن الى أن أطلق سراحى ثلاثة أيام ثم
رجعت الى الاستقرار فى تطوان وبعثت أحد تلامذتى الى شفشاون وأرسلت معه
رسالة الى اخوة الزوجة أن يأتوا بها وبالامتنعة الى تطوان .

لماذا خذلنى خليفة السلطان مولاي الحسن بن المهدي

كان من أسباب انتباه الاسبانيين الى واساءتهم لمعاملتى أن هذا الخليفة
بعث الى سيارته فى الاسبوع الاول الذى قدمت فيه تطوان وكنت فى نادى الطالب
المغربى مع أن المسافة بين النادى والقصر الخليفى لا تحتاج الى سيارة ولكنه
أراد اكرامى فركبت السيارة ووصلت اليه فرحب بى وقال لى ، لى أمنية لم تنزل
تختلج فى صدرى وهى انشاء معهد للقرآن والحديث ولكنى لم أجد لهذا المعهد
رجلا كفؤا أطمئن اليه فى تدبير شئونه حتى قدمت أنت وعلمت ما لك من
الفضل والعلم والدين فأنا أرجو أن تقيم عندنا فى تجلة واکرام ولا ترجع الى
المانيا لان بلادك فى حاجة اليك فدعوت له وشكرته على حسن ظنه واعتذرت
بأننى جئت لزيارة تطوان بقصد الرجوع الى برلين لان لى علائق لا بد من انهاها

فعاد الى الالاحاح فقلت أفكر فى هذا الامر ، أما جواسيس الاستعمار فقد
 أسرعوا الى الاسبانيين وبلغوهم هذا الاجتماع فحسبوا له حسابا وفكروا وقدروا
 وكان ذلك سببا لان دعانى مدير الشرطة العام الى مكتبه واستنطقنى لمدة
 ثلاث ساعات كلها سين جيم كما يقولون وعلى اثر ذلك انتزع منى جواز السفر
 وقال لى سأنقل ما فيه وأرده لك فكان ذلك آخر العهد به ثم تلا ذلك ما تقدم
 ذكره من اتهام الاسبانيين لى باننى مبعوث من الحكومة الالمانية للسعى فى
 اخراج الاسبانيين من المغرب ولما رأى الخليفة الاسبانيين عاملونى بتلك المعاملة
 صرف النظر عما دعانى اليه وتولى الاسبانيون أنفسهم تأسيس العهد الاسلامى
 الاعلى وهذا الخليفة وان كان مقيدا بسلاسل الاستعمار فانه كان متصفا بالشهامة
 والغيرة على الاسلام كما ستعرفه فيما بعد الا أن الوشاة من أعداء التوحيد
 والسنة بلغوه أنى صرت من أتباع أمير العرائش السيد خالد الريسونى وكانت
 بينهما عداوة شديدة وان كان الخليفة فى الظاهر هو نائب السلطان وهو
 الرئيس على جميع الامراء الا أن الاستعمار كان يسير على خطه المعوجة ومصالحه
 المشوذة وهو يعلم أن السيد خالد ادريسى النسب وكان أبوه قد ثار على الدولة
 العلوية والخليفة علوى وللاستعمار مصلحة كبيرة فى اثاره الحزازات والمنافسة
 بين الادارسة والعلوين جريا على قاعدة (فرق تسد) فلما بلغ الخليفة هذا الخبر
 قبله على علاته ولم يحصه فلذلك خذلى عنى عندما حبسنى الاسبانيون ولما سمع
 خبر هذا الحادث الامير خالد الريسونى رحمه الله كتب الى بخط يده كتابا يقول
 فيه انه قد بلغنى ما جرى عليك مما صنعته أيدي المغاربة والاسبانيين فأسفت
 لذلك كثيرا فهلم الى فانى مستعد لحمايتك واكرامك مادمت مقيما فى المغرب
 لا تصل اليك يد مغربى ولا اسباني وان أردت السفر الى الشرق أوصلتك الى
 أى مكان تريد . ولم يكن لى أحد أستشيره الا عالم المغرب وأديبه العبقرى فى هذا
 العصر الاستاذ عبد الله كنون لثقتى بحصافة رأيه واخلاصه النصيحة
 فاستشرته فقال لى لا تفعل ان لك عند أبناء قومك المغاربة من علو المكانة والقدر
 أكثر مما للامير خالد الريسونى فاقنع بحماية الله فأخذت برأيه وكتبت الى
 الامير خالد وشكرته واعتذرت عن قبول ما دعانى اليه وعلم بعد ذلك الخليفة
 ان الوشاة خدعوه واننى لم أكن من أتباع أمير العرائش ولا غيره وانما كنت
 ولا أزال ان شاء الله من المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم ،

طلب أمير شفشاون للمصلح مرة اخرى

جاء أمير شفشاون الى السيد محمد المؤذن رحمه الله واعتذر له بأن الاسبانيين امروه بأن يقبض على وأنه لم يزد على تنفيذ ما امروه به وأن ناسا من المشركين والمبتدعين ومنهم الحسن العمرتى طلبوا منه أن يضربنى ثلاثمائة سوط لانى أنكرت كرامات الاولياء وطعنت فى عقيدة الاشاعرة وأفسدت المذهب المالكى فأبى أن يسمع قولهم احتراما لعلمى وفضلى الذى يعتقدوه وهو يطلب من السيد محمد المؤذن أن يصلح بيننا فقلت للسيد محمد المؤذن أنا لا أمتنع أبدا من الصلح ولكن بالشرط الذى شرطته عليه فى مكتبه بشفشاون فبلغه ذلك فلم يستطع ولكنه بقى مع ذلك مصرا على طلب العفو منى يتحين الفرص لذلك وفى يوم من الايام ذهبت لزيارة الخليفة مولاى الحسن بن المهدي بارك الله فى حياته فسجلت اسمى وأمرت بالانتظار فى مقصورة تسمى البنيقة وكان هناك أناس غيرى ينتظرون لقاء الخليفة فما شعرت الا وقد هجم على شخص وقبل رأسى وقال لى أيها الاستاذ أطلب منك المسامحة فاذا به أمير شفشاون اليزيد بن صالح فلم أجبه بشيء ولاشك أن هذا الرجل لم يكن خاليا من الخير بالمرّة وكان صادقا فى قوله ان الاسبانيين امروه بالقبض على وقد طلب العفو منى ثلاث مرات الا أن شرطى كان شاقا عليه ،،،، وبعد عشر سنين من ذلك فقط جاء الاستقلال وذهب الاستعمار وذل من كان معترا به ووصل الى الحضيض الاسفل بل قبل ثمانى سنين فقط وفى سنة 1957 سافرت الى المغرب ووجدت أمير شفشاون أحد اخواننا وهو السيد العياشى العلمى فأكرمنى غاية الاكرام ووجدت الحسن العمرتى قد جلله الخزى ولزم بيته فلا يخرج منه فألقيت درسا فى المسجد الاعظم الذى قبض على فيه افتتحته بقول الله تعالى من سورة القصص (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) ثم قلت أين المراقب الاسبانى أين اليزيد بن صالح وأعوانه أين الحسن العمرتى أخنى عليهم الذى أخنى على لبد فلما فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة فاذا بهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قال تعالى فى سورة النمل (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وامتلأ المسجد الجامع

كما يمتلئ يوم الجمعة وأنجز الله سبحانه وتعالى ما كنت أوعدت به الامير السابق فى القصيدة التى ستأتى فى هذا الكتاب قال تعالى فى سورة غافر (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) اللهم اجعلنا من الذين آمنوا واتبعوا رسلك فنصرتهم على أعدائهم .

عاقبة أمير شمشاون اليزيد بن صالح

نقل الاسبانيون هذا الامير لاختلاصه فى خدمتهم الى اماره مدينة تطوان وهى عاصمة الشمال مكافأة له على اخلاصه لهم فلما جاء الاستقلال زار الملك المظفر محمد الخامس مدينة تطوان فجاء اليزيد وأخذ يطوف على المستقبليين ويقول أين اللبن أين التمر ، ومن عادة المغاربة أن يستقبلوا كل ضيف عزيز باللبن والتمر فجاء جماعة من الوطنيين المجاهدين وقالوا له أيها الخائن بلغت بك الوقاحة الى أن تأتى الى هنا بأى وجه تستقبل الملك أبالوجه الذى خدمت به الاستعمار، وحملوه فى الهواء وألقوه بعيدا فأصابته رضوض وجروح ودخل بيته ولم يخرج منه الى أن مات وينبغى أن أثبت هنا القصيدة التى أنشأتها فى هجوه لا حقدا عليه لان طلبه المتكرر بالعمو يلين القلب القاسى هذا مع أنه كان أميرا وأنا رجل غريب لا ناصر لى الا الله ولكن لما فيها من العبر فقد أنطقنى الله فيها بأمر وقعته كلها فى المستقبل القريب كأنى كنت أنظر اليها :

على صورة الانسان وهو مرید
وأما من المعروف فهو بعيد
ولكن يزيد فى الفجور يزيد
ولكنه فى السيئات شديد
فما رأيه فى الصالحات شديد
ويبدى فى اجرامه ويعيد
متى يسمعه فهو عنه يحميد
وأدبر يدعو ويله ويميد
شدا المسك مما نالها فتبيد
ويهدى به للصالحات رشيد
فذلك غمر للمحال يريد
ينله عذاب واصب ووعيد

يزيد لئيم الطبع خب منافق
من النكر يدنو حيث سارت ركابه
وما كان يوما زائدا فى فضيلة
ضعيف متى يدعى الى فعل صالح
فان كان حقا ما دعوه بن صالح
يحارب دين الحق من أجل شقوة
كلام رسول الله أعدى عدوه
وان قلت قال الله زاد نفوره
ولا غرو فالجعلان يجلب حتفها
يضل بذكر الله من حان حينه
ومن رام يطفى بالجهالة نوره
وأهل حديث المصطفى من يعادهم

فهم أولياء الله والله مؤذن
وكم جاهل أمسى يحاول حربهم
فقل لشقى بالوعيد مكذب
وكم صالح ولى وخلف خلفه
أتغتر بالامهال تحسب أنه
سيأتك يوم عن قريب حسابه
فأبشر بخزى ما حيت وان تمت
ولو كان ذا فضل لهانت مصيبة
ولولا الشقا ما غره ظل منصب
فلا منصب الا سراب بقية
تفرغت يا مغرور فى حكم قريفة
لصيد ضعاف قد نصبت حبالا
ومنذ رآك الناس فيها تشاءموا
ولو كنت برا لم تطل لك مدة

بين اليزيد والملالى

بعد حادثة السجن اجتمع اليزيد بن صالح أمير شفشاون بالملالى أمير
القصر الكبير زار الاول الاخير فى قصره فقال احد جلساء الامير الملالى يخاطب
اليزيد جازاك الله خيرا على ما فعلت بعلونا الهلالى ان عمك معه يعد جهادا فى
سبيل الله فانه ينكر على سيدى أحمد التجانى وأهل طريقته ويحكم عليهم
بالضلال فسكت اليزيد وقال له الملالى لا تظن ان هذا وان كان من جلسائى
يعبر عن رأى فانى أعتقد أنك قد فعلت أمرا قبيحا شنيعا لا يرضى به احد له
دين أو مروءة ولا ينبغى للامير أن يضعف أمام الاسبانيين الى أن يصير آلة
فى يدهم يطيعهم فى كل ما يأمرون فلا بارك الله فى الامارة التى توصل الى مثل
ذلك ، لا تظن انى أقول هذا محبة له فانى أعاديه كما يعاديه كل تجانى قرا
مقاله فى صحيفة الحرية الذى ترجم له بقوله (كيف خرجت من الطريقة) وقد
أقام فى القصر الكبير أربعة أشهر فلم أستطع أن أتعرض له بسوء وهو فى
قبضتى وتحت يدى لان الذى يقول قال الله قال رسول الله يغلبنى ، كيف
سمحت لك نفسك ان تقبض على رجل يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى بيت من بيوت الله اننى لن أفعل ذلك ولو أفضى بى الامر الى أن
أتنازل عن الامارة .

شكر أهل شفشاون قصيدة من بحر الطويل

ونجاهم من كل شر ونقمة
لئيم خؤون هاتك كل حرمة
أكارم شجعان مصابيح ظلمة
حديث رسول الله خير البرية
وقالوا لداعى الشر أبشر بخيبة
ولا بطش خصم موعد بالاذية
قلوبهم للحق فى كل لحظة
وطهرها من كل رجس وبدعة
فلن يظفر الشيطان منه بنزعة
أتت عن رسول الله يحظى بنصرة
كما لقي المختار فى بطن مكة
سبيلهم المثلى بعزم وقوة
ومن شك فى هذا اقتفى أهل ردة
وقالوا متى يا رب نحظى بنجدة
تنالوا قريبا جل نصر وعزة
ومن ذا الذى يستطيع تبديل سنتى
ستبلغكم طول الحياة تحيتى
وان كنت فى بغداد أو أرض بصره
فكل أناس مبتلون بسفلة
خيار لما كانوا سوى أهل طيبة
سراج محت أنواره كل دجنة
بما لا يؤاتهم تيوس مضلة
وما وردوا الا موارد حمأة
فصب عليهم قومهم كل لعنة
فصاروا كبعران أصبن بحكمة
مناط الثريا من كسير بحفرة
مبين وهل تخفى ذكاء بخرفة

جزى الله شفشاون بخير ونعمة
وصانهم من كيد كل منافق
مطاعين فى الهيجا ميامين فى الندى
هم نصروا الدين الحنيف وعظموا
وقالو لداعى الحق لبيك اذ دعا
ونم يرهبوا فى الله لومة لائم
اذا سمعوا قول الرسول تفتحت
أناس تولى الله شرح صدورهم
ومن شرح الرحمن للحق صدره
ومن ينصر القرآن والسنة التى
ولا بد أن يلقي شدائد جملة
وأصحابه الغر الكرام ومن قفا
وعقباهم فتح ونصر مؤزر
وقد مست البأساء خير صحابه
اجابهم الله الكريم ألا اصبروا
وذى سنتى فى الاصفياء جميعهم
ويا أهل شفشاون سلام عليكم
وأذكركم بالخير فى كل مجلس
وان كان فيهم من يخالف نهجهم
ولو كان فى الدنيا أناس جميعهم
ولاسيما والمصطفى فى ديارهم
لعمرى لنعم القوم جر عليهم
أرا ذل عبادون للمال والهوى
وقد عجل الله العزيز عقابهم
بهم تضرب الامثال فى كل مجلس
وهم يدعون العلم والعلم منهم
وهم يسترون الجهل والجهل فيهم

بهدي رسول الله أفضل عادة
 به تهزم الاعداء في كل وقعة
 يصدق واخلاص وعزم وقوة
 لصرنا كأسلاف لنا خير أمة
 وألبسنا الرحمن أثواب عزة
 وطهرنا من كل رجس ووصمة
 وأحيوه تحيوا في هنا وغبطة
 وان كان منكم ذا بعاد وشقة
 وأدلوا بقربي أو بعظم مودة
 وفي توبة تحظوا بأعظم حجة
 حباه اله الناس أفضل رتبة
 فداء وتفلى بعده خير سنة
 رضى راحم للخلق في يوم كربة
 بوقت رخاء أو بأوقات شدة
 وصدق تفز منه بقرب وخدمة
 وتاركه لاشك هاو بهـووة
 وأصحابه من بعد آل وعثرة
 حديث رسول الله ذخري وحجتي

تـمـت

فيا معشر الاسلام طرا تمسكوا
 فذاكم سلاح لا يفل غراره
 ولن تسعدوا والله الا بقفوه
 فلو قام كل الناس مثل قيامهم
 ونلنا الذي نبغى من المجد والعلا
 ورد لنا ذو الفضل غابر فخرنا
 ألا فابدلوا الارواح والمال دونسه
 ووالوا عليه من يعظم أمره
 وعادوا معاديه جميعا وان أتوا
 فان شتمت ذا فالمجادلة اقرؤا
 وما نحن الا خادمون لسيد
 وما قيمة الارواح ان لم تكن له
 وما قيمة الاموال ان لم نل بها
 فكن عابدا لله لاتدع تحيره
 وسر في ركاب المصطفى بتواضع
 فخادمه بالصدق لاشك مفلح
 عليه صلاة الله ثم سلامه
 صلاة تدوم الدهر ما قال قائل

كيف كانت عاقبة وزير العدل

لما أحس بالاستقلال ضاقت عليه الارض بما رحبت كما قال المتنبي :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا
 فدخل بيته واختبأ فيه الى أن مات وقد قلت في هجوه قصيدة ولكني لم
 أنشرها الا بعد أن تولى الاستعمار وهي هذه :

دعوك وزير العدل بل أنت وازر
 نعم أنت ذو عدل عن الحق والهدى
 ويبرا منك العدل اذ أنت فاجر
 الى الزور والبهتان اذ أنت خاسر

وأنت للاستعمار خير مطية
وما لك من دين متين ولا حيا
تراست في فتوى القراء عصبية
على الله والمختار والشيخ مالك
فضحكتم في الرد شر فضيحة
الا يا وزير العدل أصبحت عادلا
رددت حديث المصطفى أكرم الورى
فقد قال لا يجهر على غيره امرؤ
رواه أبو داود فى السنن التى
ومثله فى المعنى روى الخبر مالك
وخالفت ما قد قاله قبل مالك
وأقبح من هذا وذلك أنه
فبدلت دين الحق من أجل منصب
ظننت للاستعمار خلدا مؤبدا
فما هى الا جولة ثمت انجلى
فأسقيت كأس العزل وهى مريرة
وأصبحت من خزى بيتك قابعا

بخدمته فى كل حين تجاهر
ولا شرف يثنيك عما تبأشر
دعاكم الى البهتان والزور ما كسر
كذبتم وعقبي الكاذبين فواقر
فسوأتم بانتم ولم يبق سائر
بربك فى الفتوى التى أنت ساطر
وخالفته عمدا كأنك كافر
اذا ما تلا القرآن فالكل ذاكر
عن المصطفى قدما روتها الآكابر
باسناده سمطا زهته الجواهر
وأصحابه فى كتبهم ذاك ظاهر
دعاك الى ذاك العدو المشاجر
تخاف عليه ان جدك عاثر
فلا فجر يبدو بعدما جن كافر
وأشرق وضاح من الفجر باهر
وكم بكؤوس العزل شقت مرائر
كأنك فى قبر وما ثم قابر

تبديل الدراهم فى البنك

لما عزمتم على السفر الى العراق كنت قد ادخرت عشرة آلاف بسيطة أتزود
بها فى سفرى قافلا الى أهلى فى العراق فعرضت لى مشكلة وهى تبدل الدراهم
الاسبانية بالجنيه المصرى فقد كان سعر الجنيه الرسمى حسب النقد الاجنبى
الذى بيد الحكومة أربعين بسيطة لكل جنيه أما فى السوق السوداء فالجنيه
الواحد يساوى مائة وعشرين بسيطة .

فى مكتب كاساس مرة ثانية

كتبت عريضة وأخذتها الى كاساس ضمننتها طلب تبدل عشرة آلاف
بسيطة فى البنك بالسعر الرسمى ولم أطلب منه احسانا ولا معروفا لان هذا

حق لكل مستوطن من المغاربة فلما قرأ العريضة عبس وبسر وقال لي نحن
لسنا مغفلين تعاقب الناس على السفر الى الشرق ليكتبوا مقالات في صحف مصر
كلها طعن وتشنيع علينا فقلت له أنا ما ذهبت الى الشرق بعد ولا كتبت
مقالات طعنا فيكم ولكنه كان يعرف ما يقول وكان صادقا فانه كان يشير الى
المقالات التي نشرتها في صحيفة الاخوان المسلمين ثم قال لي ان لم تفعل ذلك
أنت فعله غيرك ولست بخير منه فانصرفت من عنده وذكرت ذلك للاخوين
الصديقين المخلصين السيد محمد المؤذن رحمه الله والحاج عبد السلام حسيسن
أطال الله حياته فقال لي الحاج عبد السلام لماذا لا تذهب الى الخليفة وتلتمس
منه أن يأمر الاسبانيين أن يبدلوا لك هذه البساسيط بالسعر الرسمي فقال
له السيد محمد المؤذن ان الخليفة لن يصنع شيئا فدعه يبدلها في السوق
السوداء ويفوض أمره الى الله فقال الحاج عبد السلام حسيسن أما أنا فأنصح
له أن يتوجه الى قصر الخليفة ويلتمس منه ذلك فان استجاب فيها ونعمت وان لم
يستجب فلا ضمير عليه في زيارته فتوجهت الى قصر الخليفة
واستأذنت عليه فأذن لي قبل جميع الحاضرين الذين جاؤوا
لزيارته وسجلوا أسماءهم فاستأذنته في السفر والتمست منه أن
يكتب الى الاسبانيين ويأمرهم بتبديل ما عندي من الدراهم بالسعر الرسمي
وقلت له هذا الطلب مقيد بشرط وهو أن لا يتعرض مقامكم الرفيع لتنقص عند
الاسبانيين فقال لي بانفعال لعنة الله على الاسبانيين أنا لا أبالي بتنقص مقامي
عندهم وانما أريد أن يكون مقامي عاليا عند الله وعند المؤمنين ثم ضغط على زر
الجرس فجاء حارس فقال أين أبا سيدى يعنى أخاه الكبير السيد محمد فقال
له يا هولاي انه ركب منذ ساعة سيارته وخرج فقال ادع لي الكاتب العام أحمد
ابن البشير فدعاه فقال له اكتب الى المقيم العام ان الدكتور محمد تقى الدين
الهلالى غاب عن أهله في العراق مدة طويلة وهو يريد الرجوع الى أهله وعنده
عشرة آلاف بسيطة فأبدلها له بالجنيه المصرى حسب السعر الرسمي وكان
قد قال لي أول ما سلمت عليه واستأذنته في السفر لن آذن لك حتى تعدني أنك
ترجع الينا فأننى لا أحب أن تكون بلادى خالية من رجل مثلك فشكرته على
هذه المجاملة وانتظرت قليلا في مكان آخر حتى جاءنى الكتاب فأخذته الى المقيم
العام الاسبانى فاستأذنت ودخلت على نائبه فقال لي ليس عندنا نقد أجنبى في

هذه الساعة فان كنت تقدر أن تنتظر نبذله لك وقلت له أنا لا أنتظر اما أن تبدله
لى الآن أو أبدله فى السوق السوداء فقال لى ارجع الى بعد ثلاثة أيام فرجعت
اليه فكتب لى كتابا الى كاساس الحاكم الاسبانى الذى تقدم ذكره .

فى مكتب كاساس مرة ثالثة

فلما اخذت الكتاب من نائب المقيم العام وتوجهت الى كاساس قلت فى
نفسى هل يصير على جوابه الاول ويعصى أمر رؤسائه أو يخضع لهم ويتناقص
فلما وصلت اليه قدمت له الكتاب فقراه وكتب لى كتابا الى البنك يأمره بتبديل
الدراهم ولم ينبس ببنت شفه .

فى السفارة الانجليزية

لما حصلت على سمة الدخول الى لبنان بعثتها الى السفارة المصرية فى
مديره عاصمة اسبانيا فبعث الى اذنا بالدخول الى مصر واقامة خمسة عشر
يوما ويسمى هذا اذن مرور ثم فكرت فى السفر بطريق البحر لان أجور
السفر أقل فذهبت الى السفارة الانكليزية وطلبت لقاء السفير فأعطيت ورقة
طلب منى أن أكتب فيها اسمى والغرض الذى جئت من أجله فلم يأذن لى السفير
الانكليزى ولكنى دعيت الى مكتب نائبه وكان يهوديا يونانيا فقال لى وكان الكلام
بالانكليزية أنت كنت فى اذاعة برلين وقد أذعت أحاديث كثيرة فى محاربة
بريطانيا وكنت تأخذ من الجرمانيين أجرا على ذلك فقلت أما قولك انى أذعت
أحاديث كثيرة فى محاربة الاستعمار البريطانى على منبر اذاعة برلين العربية
فهو حق وكنت نادما عليه ولا معتذرا منه لانى كنت أذاع عن وطنى كما كان
البريطانيون يدافعون عن وطنهم فان بريطانيا كانت حليفة لعدوتنا فرنسا
وحليف العدو عدو فان كان دفاع البريطانيين عن وطنهم مما يلامون عليه وجب
عليكم أن تلوموا أنفسكم قبل أن تلومونى وان كان الدفاع عن الاوطان من
الواجبات المحموده فكيف تلومونى عليه ، وأما قولك انى كنت أخذ أجرا على
تلك الاحاديث فهو وهم باطل بل كنت أذاع أجورا على تلك الاحاديث وأرتكب
أخطارا فى اذاعتها فقال لى كيف تدفع أجورا عليها ومن كان يأخذ هذه الاجور
فقلت كان مدير الاذاعة قد اشترط على أن لا أذيع حديثا الا بعد أن أترجمه

باللغة الالمانية وأعد أربع نسخ من الترجمة تقدم الى أربعة مكاتب فاذا وافق رؤساء تلك المكاتب على اذاعة ذلك الحديث أعطيت اذنا باذاعته وهذه الترجمة وكتابتها على الآلة تحتاج الى كاتبة جرمانية وهذه الكاتبة لا بد لها من أجر وأما ارتكاب الاخطار فاني كنت أركب قطار النفق أعنى القطار الذى يجرى تحت الارض مسافة نصف ساعة أحيانا فى الليل والثلج ينزل وأتعرض للقنابل التى كنتم تلقونها على برلين حيننا بعد حين فقال لى وما غرضك فقلت أريد أن تعطينى سمة المرور على جبل طارق لأركب منه فى البحر الى الاسكندرية فقال لى ان حكومة جبل طارق هى التى لها الحق أن تسمح لك بالمرور فاكذب الى الشركة التى تريد السفر فى بواخرها واثنتنا بالجواب فكتبت الى شركة انكليزية فجاءنى الجواب فذهبت به اليه وأطلعتة عليه فقال لى عين لنا موعد سفر الباخرة من جبل طارق فكتبت الى الشركة فجاءنى الجواب بأنها لا تستطيع أن تعين لى يوما بعينه على سبيل التحديد ولكن اذا وصلت الى جبل طارق يمكن أن تسافر فى مدة لا تزيد على الاسبوع فامتنع نائب السفير من اعطائى سمة الدخول الى جبل طارق الا اذا عينت له اليوم الذى أسافر فيه وقد ظهر أنه أراد المنع ولكنه أبى أن يصرح به وأراد أن يعذبنى بالمماطلة والتردد عليه فعدلت عن السفر بطريق البحر وكان ذلك خيرا فاني سافرت بالقطار الى مدريد وبالطائرة من مدريد الى القاهرة بعد أن أخرجت سفرى شهرين ولما كنت أتحدث مع نائب السفير كان جالسا الى جانبه رجل مغربى لا يدل زيته وهيئته على أنه يعرف الانكليزية فلم ألق له بالا وبعد أيام أقام الاخليفة وليمة عقد نكاح اخته فدعاني لحضورها فرأيت الشخص المغربى الذى كان جالسا الى جانب نائب السفير الانكليزى فسألت عنه فقيل لى هذا السيد أحمد الرزىنى وكنت أعرف أخاه السيد عبد القادر الرزىنى وبيتهما من أشرف بيوتات تطوان وأهل هذا البيت من أصحاب الحماية الانكليزية التى وقعت فى زمان ضعف الدولة المغربية فان التجار كانوا يخافون على أنفسهم من ظلم الحكام المغاربة فيحتمون بحمايات أجنبية فتكلم السيد أحمد الرزىنى أمام الحاضرين وقال لى جزاك الله خيرا على ذلك التوبيخ الذى وبخت ذلك المجرم اليهودى ما أحد شفى قلبى منه الا أنت ثم أظن فى مدحى عند الحاضرين وقال لهم هذا الاستاذ بقى نصف ساعة يوبخ ذلك الخبيث بلغة انكليزية فصيحة فأنتم

تعرفوننى أنا لا أخالط الفقهاء ولم أحترم فقيها مثل ما احترمت هذا الفقيه فهكذا يكون الفقهاء والا فلا وقال لى اذا عزمتم على السفر ولم يبق على سفرك الا ثلاثة أيام أرجو أن تلقانى فظننت أنه يريد أن يبعث معى شيئاً لابن أخيه الذى يدرس فى مصر فلما حان وقت سفرى لقينته بالمسجد الاعظم ومعى كاتبى السيد محمد بن فريجة فقلت له أخبر السيد أحمد الرزىنى أننى بعد يومين مسافر ان شاء الله فأخبره فجلس وأدخل يديه كلتيهما تحت جلابته وسمعت خشخشة واستمر على ذلك نحو خمس دقائق ثم أخرج يده وفيها ألف بسيطة فناولنى اياها وقال لى هذه هدية للعلم الشريف أرجو أن تقبلها فلما أخبرت الناس بذلك لم ينقض عجبهم منه وقالوا كلهم ان هذا الرجل ما رأيناه يتبرع بشيء لاي مقصد من مقاصد البر ولو سأله السائلون والحوا عليه هكذا قالوا والعهدة عليهم ولاشك أنه تأثر كثيرا بالجدال الحاد الذى وقع بينى وبين نائب السفير الانكليزى .

حادثة أصيلا

كان من عادتى أن أسافر الى أصيلا يوم الاربعاء بعد الظهر وأمكث فيها الى صباح يوم السبت للقاء اخوانى الموحدين وتذكرتهم وتجديد العهد بهم وكانت مجالسنا فى بيوت الاخوان ولم ألق درسا فى أى مسجد من مساجد تلك المدينة خوفا من الدخول فى مشاكل مع المستعمرين يستعصى حلها لانى أعلم يقينا أن صدور حكام تطوان مملوءة حقدا على وأنهم يتربصون بى اللوائر فاذا أصابنى شر من حاكم صغير كالمراقب المدنى فى أصيلا يتخونونه سببا للتكيل بى ولما دنا وقت سفرى الى مصر توجهت يوم الاربعاء على عادتى الى مدينة أصيلا وفى يوم الخميس قال أحد اخواننا لماذا لا تلقى درسا فى المسجد الاعظم ليعم النفع فاختلف الاخوان بين مستحسن لذلك ومتخوف منه ثم توكلت على الله ورجحت اللقاء الدرس فلما شرعت فى القائه امتلأ المسجد الاعظم حتى لم يبق فيه مجلس ل احد ولم ينقطع سيل القاصدين الى المسجد فامتلا صحن المسجد فبلغ الجواسيس حاكم تلك المدينة الخبر وفى صباح يوم الجمعة عزمتم على السفر قافلا الى تطوان فى الصباح مبكرا فبينما أنا واقف أنتظر السيارة اذا بشرطى يمهمس الى قائلا ان الحاكم الاسباني بعثنى لآخذ منك جواز السفر ليطلع عليه

وكان معى أربعة من الاخوان جاءوا لتوديعى فأنفوا لذلك وقالوا له هذا رجل مغربى والمغاربة لا يحملون جواز السفر فى وطنهم وطرده فحضرت السيارة وسافرت وبعد ذلك علم اخواننا بواسطة شرطى مؤمن أن الحاكم الاسبانى عزم أن يقبض على حين أجيء فى يوم الاربعاء التالى فانطلق الى الاخوان وأخبرهم فبعثوا الى كتابا يحذروننى من المجيء الى أصيلا ويخبروننى بما عزم عليه الحاكم الاسبانى ولم يصل ذلك الكتاب الا فى صباح يوم الاربعاء وكنت أبعث الكاتب كل يوم الى صندوق البريد فيجئنى بما يجده فيه الا فى صباح يوم الاربعاء فأنى لم أبعثه وسافرت الى أصيلا وأنا جاهل ما يراد بى لكن الاخوان من شدة حزمهم خافوا أن لا يصلنى الكتاب وأتوجه الى أصيلا كعادتى فبعثوا سيارة تنتظر فى احدى محطات الطريق على مسافة خمسة وعشرين ميلا فلما وصل الاوتوبوس الى تلك المحطة رأونى فأشاروا الى بالنزول وأخذوا أمتعى ووضعوها فى السيارة الصغيرة وكنا فى شهر رمضان فسارت بنا السيارة فى طريق غير الطريق المعهود حتى وصلنا الى بيت أحد الاخوان فى مدينة أصيلا أما الحاكم الاسبانى فقد بعث الى محطة الاوتوبوس بأصيلا ستة من الشرطة ومعهم عريف وأمرهم أن يقبضوا على ويأتوا بى اليه وكان الشرطى المؤمن أحد الستة فلما جاء الاوتوبوس أحاطوا به وراقبوا المسافرين فلم يجدونى معهم فرجعوا الى الحاكم الاسبانى وأخبروه أننى لم أجيء أما الشرطى المؤمن فانه جاءنى فى البيت الذى كنت أفطر فيه وأخبر الجماعة فضحكوا كثيرا وحمدوا الله على سلامتى ولما فرغنا من العشاء وصلينا العشاء أحضروا السيارة فركبتها الى محطة القطار ومنها سافرت الى القصر الكبير فنجوت من تلك المكيدة بفضل الله ثم بحزم الاخوان وشجاعتهم .

السفر الى مجريط ثم الى القاهرة

مجريط هو اللفظ الذى كان يطلقه المسلمون على مدينة مدريد حين كانوا يحكمون تلك البلاد مئات السنين سافرت بالقطار الى مدينة مجريط ونزلت عند صديقى عبد الرحمن ياسين واشتد على مرض الربو فنقلنى الى المستشفى وزارنى فيه اخوانى من المغاربة وزارنى أيضا داعية القاديانية فناظرته وأنا على فراش المرض وبعثت جواز سفرى الى السفارة المصرية لتتظر فيه هل يحتاج

الى تجديد اذن فقال الموظف المختص انه صالح للسفر الى مصر واقامتى خمسة عشر يوما ثم سافرت بالطائرة الى القاهرة ونزلت فى مطار المازة قبيل وقت العشاء فعرض المسافرون أجوزتهم على الكاتب المختص فختم عليها وردها اليهم فلما رأى جوازى قال لى اجلس فجلست حتى فرغ من أجوزة المسافرين فالتفت الى وقال ان مدة السمة التى أعطيتها وهى خمسة عشر يوما قد انقضت فيجب أن ترد الى مجريط فقلت له اننى بعثت جواز السفر أمس فقط الى السفارة المصرية فى مجريط فقال قائلها انه صالح والمدة ينبغى أن تعتبر من يسوم وصولى لا من يوم تاريخ السمة لانى بعثته من تطوان الى مجريط ثم بعث الى وهذا وحده يستغرق عشرة أيام فقال لى لا تطل الحديث فانما أحكم برأىى لا برأيك فقلت له أريد أن أصلى المغرب والعشاء فأمر شرطيا أن يرافقنى ويدلنى على مكان الوضوء والصلاة وتوضئة وصليت المغرب والعشاء ودعوت الله فى سجودى أن ينقذنى من هذه المحنة الجديدة لاننى اذا رددت الى مجريط لا أجد ما أسافر به من الدراهم ولما فرغت من صلاتى رجعت الى الكاتب فقال لى عندك دراهم قلت عندى حوالة بـ 147 جنيها قال أرنيها فأرنيته اياها فأخذ يفتح الهاتف على رؤسائه ليستشيرهم فى أمرى فلم يجد أحدا منهم لان ذلك اليوم كان التاسع والعشرين من رمضان وقد انصرف كبار الموظفين الى اجازة العيد ثم فتح التلفون على موظف كبير حسب ما فهمت من محادثته معه فقال له يا سيدى أرجو المذرة اذا أزعجتكم لأنى لم أجد أحدا من الموظفين فى مكتبه عندى راكب مغربى معه جواز سفر وفيه تأشيرة مرور منتهية ويدعى أنه عرضها على الكاتب المختص أمس فى السفارة المصرية بمدريد فقبل له انها كافية وأنا أعتقد أنه من الصالحين فقال له افتح الهاتف على العروسى فان لم تجده فاعطه أنت فيزة مرور فلما سمعته يقول انه يعتقد أننى من الصالحين استبشرت وأملت خيرا وحسن ظنى به وزاد حسن ظنى حين رأيت شرطيا جاءه بالسحور فعلمت أنه يصوم رمضان والصائمون حتى فى ذلك الزمان قليلون فتح الهاتف على العروسى فلم يجده فأخذ يكتب لى سمة الدخول وقال لى أريد منك عشرة قروش فقلت ما عندى نقود مصرية فدعا شخصا موظفا يبيع الطوابع فقال أعطنى عشرة قروش طوابع مجانا فأبى فقال له هل تريد أن نرد رجلا من هنا الى مدريد لاجل عشرة قروش فقام هو وغاب قليلا وجاء بالطوابع فلا أدري أذفع ثمنها من عنده أم

وجدها بطريق آخر ثم ناولني الجواز وقال لي اطلب لك سيارة تدفع أجرتها لان سيارة المطار ذهبت من زمان فقلت جزاك الله خيرا فركبت السيارة فلما وصلت الى الفندق قلت لصاحب السيارة ما عندي نقود مصرية سألتهم من صاحب الفندق أن يقرضني ما أعطيك اياه فقال لي تنازلت عن الاجرة فانفرجت الازمة ببركة المحافظة على الصلاة في وقتها .

الاقامة بالقاهرة

اقمت بالقاهرة اثني عشر يوما لقيت في أثنائها كثيرا من الاصدقاء منهم اخونا الداعية السلفي الشيخ حامد الفقيه رحمة الله عليه فأكرمني كعادته ولقيت المجاهد العظيم الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي وقد تقدم ذكر ذلك ومن أجل من لقيته في تلك الايام المجاهد العظيم سماحة الاستاذ السيد الحاج أمين الحسيني وكان آخر عهدي به في ربيع سنة 1942 حين بعثني الى المغرب لغرض سياسي فيه مصلحة للمسلمين على أن أرجع اليه فمنعت من الرجوع كما تقدم وكانت المراسلة مستمرة بيني وبينه الى أن انهزمت ألمانيا وقر الى سويسرا ثم الى مصر وأنجاه الله من كيد أعدائه كما أنجاه من قبل حين فر من بغداد الى طهران ومن طهران الى اليابان وكان الانكليز ومطايهم في العراق قد جعلوا لكل من يأتيهم به حيا أو ميتا عشرة آلاف دينار فنجا بأعجوبة بمساعدة السفارة اليابانية حتى وصل الى برلين ومع أني كنت في تطوان أحصل على القدر الذي أعيش به من المال من الاسباب التي ذكرتها من قبل فانه كان يبعث لي النقود الكثيرة مرة بعد مرة فلما زرته فرح بي فرحا عظيما وأقام مادبة دعا اليها خمسين من رجال العلم والسياسة ولما أردت أن أودعه دفع الى غلظا وقال اقرأه في منزلك فلما وصلت الى الفندق وجدت فيه مائة جنيه وكان قد عرض على ونحن في برلين أن يجعل لي كاتباً على نفقته فشكرته وقلت له ان عندي كاتباً وأنا في سعة من المال فقد كان مجموع الرواتب التي كتبت أخذها في برلين بكدي وعمل ألفا وأربعمائة مارك (1400) وذلك يعادل ألفا وسبعمائة وخمسين ريالاً في ذلك الزمان أي قبل ثلاثين سنة والحاج أمين الحسيني رجل عظيم مهما بالغ أعداؤه في القذح وخلق العيوب له فلن يستطيعوا أن

ينقصوا شيئاً من عظمته وحسبك دليلاً على ذلك أن هتلر كان يجله وقد التجأ إلى ألمانيا رجل عربي عظيم ومجاهد كبير وعالم متضلع ألا وهو رشيد عالي الكيلاني وأجله الألمان وأكرموا مثواه ولكن منزلة الحاج أمين عندهم لم يبلغها أحد .

الصدق منجاة والكذب مهلكة

وقعت لي في أسفاري الكثيرة حوادث ووقعت في أزمات لولا خوف الاطالة وكراهية الخروج عن الموضوع لذكرت بعضها وفيه العجب العجيب لكنني أقتصر على هذه الحادثة وليست من أغربها . لم يسمح لي القانون المصري أن أخرج من مصر أكثر من عشرين جنيهاً فتركت ما عندي من الدراهم عند الدكتور الحبيب ثامر والسيد حسين التريكي وهما مجاهدان تونسيان وقع بيني وبينهما قصة في التعاون على محاربة الاستعمار ليس هذا محل ذكرها على أن بيعنا لي تلك الدراهم حين تسنح لهما الفرصة لكنني عندما توجهت إلى مطار الماطة أخذت معي خمسين جنيهاً فناولني المفتش صحيفة وقال لي اكتب هنا القدر الذي عندك من النقود فكتبت خمسين جنيهاً فقال لي ان القانون لا يسمح لك إلا بعشرين فقلت له قبل اثني عشر يوماً دخلت مصر ومعى 147 جنيهاً ولم أنفق في هذه المدة إلا قليلاً لاني كنت ضيفاً عند أصدقائي وهم كثير فهل يعقل اني أنفقت في هذه المدة القصيرة 127 جنيهاً ولم يبق لي إلا عشرون فنظر إلى جواز السفر فوجد مدة الإقامة اثني عشر يوماً كما ذكرت له فقال لي تستطيع أن تثبت أنك دخلت مصر بالقدر المذكور من المال قلت نعم هذه شهادة البنك في تطوان فلما قرأها سمح لي بإخراج خمسين جنيهاً فقلت له انني ألتزم الصدق وذلك يوقني في مشاكل فقال لي ان الصدق لا يوقع في المشاكل واذا وقعت لصاحبه مشاكل فعقبها خير وانما الذي أتعبنا هو الكذب ووقع لي مثل ذلك في دمشق فانحلت المشكلة بأن كتب المفتش نفسه على الصحيفة أن عندي عشرين جنيهاً أبيت أن أكذب فكذب هو .

الدعوة الى الله في العراق

وصلت الى العراق عائدا من سفرى الطويل فى صيف سنة 1947 م من تاريخ النصارى ولما امتنع صالح جبر من الاذن لى بأخذ نسخة من شهادة التجنس بالجنسية العراقية وبقيت بلا عمل اخترت أن أسكن بالموصل لان لى اخوانا صادقين فى تلك المدينة فسكنت فيها سبعة أشهر وبدأت الدعوة الى الله فحصل اقبال عظيم من الناس وفرح بذلك اخواننا السلفيون وكانت السلفية موجودة قبل ذلك فى الموصل وكان امامها الشيخ عبد الله النعمة رحمة الله عليه وكذلك الشيخ صديق الملاح رحمه الله وكان الشيخ عبد الله النعمة اماما وخطيبا فى مسجد وكان يلقى دروس القرآن فى بيته مدة طويلة من الزمان يختمه ثم يبدأ من جديد ويحضره كثير من الناس الى أن توفى رحمه الله أما الشيخ صديق الملاح فكانت مدرسته هى المقهى فى الموصل والمقاهى فى الموصل تختلف عنها فى سائر البلدان ففى كل مقهى من مقاهى المسلمين مسجد وله مؤذن وامام لصلاة المغرب والعشاء اذا حضر وقت المغرب أذن المؤذن وأم الناس المسجد كلهم لا يبقى الا يهودى او نصرانى وأهل هذا البلد لهم فضائل ومزايا من أخصها الشجاعة والكرم ، وكان فيها أعداء للسنة ولكن لم يستطيعوا أن يمسونا بسوء ، وبعد الوثبة التى تقدم ذكرها انتقلت الى بغداد وبدأت الدعوة فيها وكانت السلفية قد ماتت فى بغداد مع أنها بلد الامام أحمد بن حنبل والامام أبى حنيفة رحمهما الله وكذلك الامام محمد بن جرير الطبرى وقد كانت من قواعد الدعوة السلفية الى زمان السيد محمد شكرى الالوسى رحمة الله عليه أما أنا فلم أجد من السلفيين الا الشيخ عبد الكريم الصاعقة وكان امام مسجد صغير وقد حاربه المتعصبون من المقلدين فلم يكن يصل فى مسجده الا بضعة أشخاص ولكنه كانت له خزانة عظيمة من كتب السنة كان متمسكا بالعقيدة السلفية راسخ القدم لا يتزحزح عنها وكان ابتداء دعوتى فى مسجد بمحلة الشيوخ بالاعظمية وهو مسجد له وقف خاص كان المتولى عليه الحاج محسوبا رحمه الله وقد جرت العادة بالقاء الوعظ فى كل مسجد كل يوم من أيام رمضان على الاخص

فلما أقبل رمضان ذهب الحاج محسوب يبحث عن عالم من العلماء ليستأجره للوعظ في مسجده مدة شهر رمضان فاتفق مع أحدهم ولا أسميه ابقاء عليه ثم وجد ذلك الشيخ أجرا أعلى مما اتفق عليه مع الحاج محسوب فأخبره بفسخ الاجازة وذهب الى عالم آخر لا أسميه أيضا ابقاء عليه فاتفق معه أن يعطيه عشرة دنانير فلما أقبل رمضان ولم يبق الا يوم واحد من شعبان جاء ذلك العالم وأخبره بفسخ الاجارة لانه وجد من يعطيه أكثر من ذلك فأصاب الحاج محسوباً من الحزن والغم والغيظ على جميع المعممين وهكذا يسمى علماء الدين عندهم لانهم يلتزمون لبس العمامة والجبّة وذلك زى العلماء عندهم فكل من لبس عمامة وجبّة يحسبه الناس عالماً وان كان أجهل من حمار أهله فما شعرت الا والحاج محسوب يطرق الباب فرحبت به وجلسنا نتحدث فاشتكى الى مما أصابه من المعممين وذمهم ذمًا شديدًا وقال لي يا ليت الواحد منهم حين استولى عليه الطمع وأراد الزيادة جاءني فاستشارني قبل أن ينقض العقد وينفق مع غيري كان ينبغي أن يقول لي قد وجدت من يعطيني أجرا أكثر مما اتفقت عليه معك فاما أن أزيده واما أن أفسخ العقد معه قال واليوم جاءني أحد الاصدقاء وقال لي عليك بالدكتور محمد تقى الدين الهلالي يعظ في مسجدك ثلاث مرات فى الاسبوع فانه يعظ لله ولا يطلب أجرا قال فجئتك وأنا مستعد أن أقدم لك ماتطلب فقلت له يا حاج محسوب أنا لا آخذ شيئاً على الوعظ لانه فرض فرضه الله على لانه من الجهاد واجب بالنفس والمال فوعظت فى مسجده كل يوم وأقبلوا لناس شبابا وشيوخا فاعتبط الحاج محسوب واطمأنت نفسه وبعده رمضان استمرت على دروسى فى ذلك المسجد وكان يحضرها الشباب ممن تلامذة المدارس والشيوخ من أهل تلك المحلة فغاظ ذلك أعداء السنة وزعموا أننى أردت أن أهدم مذهب أبى حنيفة فقلت مرارا فى دروسى انكم تكذبون على أبى حنيفة رحمه الله وأنا أتبعه حقا وصدقا فان أبى حنيفة كان على عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين كان يصف الله تعالى بما وصف به نفسه فى كتابه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ويشبث العلو لله تعالى ويكفر من يتأول الاستواء بالاستيلاء كما فى الفقه الاكبر وفى الطحاوية وشرحها وأنتم تعتقدون عقائد المتأخرين من الاشعرية نفاة الصفات وأبو حنيفة يكفر النفاة ثم تتعصبون فى الزام الناس بفروع الحنفية وهذا خلاف ما كان عليه أبو حنيفة رحمه الله فقد صح أنه قال لا يجوز لاحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين

قلناه أى حتى يعرف دليله وأنتم تقولون على الله بلا علم بل بالتقليد الاعمى
ولعمر الله ليس هذا مذهب أبى حنيفة ومما يدل على مخالفتكم لمذهبه أن
صاحبيه محمدا وأبا يوسف خالفاه فى ثلث المذهب وقال بعضهم فى ثلثى
المذهب ولو كان أبو حنيفة يعلم أصحابه أن يكونوا مقلدين لما خالفه أقرب الناس
اليه وأفضل تلامذته الذين نشروا مذهبه وهذه القبة التى بنيت على قبره هل
أباح لكم أن تبنوها وهذا المسجد الذى بنيت الى جانبها هل أباح لكم أبو
حنيفة أن تبنوا المساجد على القبور وتصلوا فيها وهذه البدع التى ترتكبونها هل
رويتموها عن أبى حنيفة فضاق المتعصبون ذرعا بدروسي فأوعزوا الى أربعة من
تلامذتهم من المعممين الشباب أن يحضروا درسى ويجادلونى فاذا عارضهم
تلامذتى يقتلون معهم حتى يجيء رجال الامن الى المسجد ويقبضوا على المقتلين
فيتوصلوا بذلك الى وقف دروسى بادعاء أنها تثير الفتنة ولكن خاب سعيهم لان
تلامذتى تفتنوا لذلك فالتزموا الصمت والهدوء فلما رأهم الشيوخ خرجوا عن
حدود السوأل بأدب الى اساءة الادب غضبوا عليهم وأسكتوهم وأرادوا أن
يضربوهم وفى مقدمتهم الحاج محسوب رحمه الله فخافوا وذلوا وطلبوا منى
العفو فبطلت هذه المكيدة وكنت أسكن بقرب المسجد المنسوب الى أبى حنيفة
ويمسى عندهم جامع الامام الاعظم وهذا اللفظ أطلقه الاتراك فى زمان حكمهم
على أبى حنيفة رحمه الله ولا شك فى امامته ولا فى عظمته ولكن هذا اللفظ
مبتدع يشبه ملك الملوك وشاهن شاه وقاضى القضاة وقد جاء فى الحديث
الصحيح أخرج اسم عند الله رجل تسمى بملك الاملاك وكره الائمة كل ما كان
قريبا من هذا المعنى فكنت لا أصل فى ذلك المسجد لا جماعة ولا جمعة أما
الجماعة فكنت أصلها فى مسجد الحاج محسوب وأما الجمعة فكنت أركب
السيارة من الاعظيمة الى بغداد وأصل فى أحد المساجد الخالية من القبور
فاشتد انتقادهم لهذه الخطة ولاسيما حين كانوا يرون تلامذتى من الشباب
يقتدون بى ولا يصلون فى المسجد المبنى على القبر بقيت على ذلك مدة سنتين

جامع الدهان

كان جماعة من أهل الخير قد اشتركوا فى بناء مسجد يبعد عن جامع
أبى حنيفة بنحو ميل واحد الى ناحية بغداد وعجزوا عن اتمامه فجاء الحاج عبد
الحميد الدهان وهو من أهل الثراء والاحسان ومن وجهاء التجار فى بغداد فأكمل

بناء ذلك المسجد وفتحه للصلاة وفي يوم من الايام جاءني الحاج عبد الحميد وسلم علي وقال لي اني بنيت هذا المسجد بين بغداد والاعظمية وأهل الاعظمية يصلون في مسجد الامام الاعظم وأهل البيوت القريبة من مسجدي أكثرهم شيعة وأنا خائف أن لايجتمع لي العدد الذي تصح به صلاة الجمعة وقد استنصحت الحاج طه الفياض صاحب صحيفة السجل فقال لي ان أردت أن يمتلئ مسجدك بالمصلين فعليك بالدكتور محمد تقى الدين الهلالي فالتمس منه أن يكون اماما وخطيبا لصلاة الجمعة فأرجو أن تقبل مني هذا العرض فقلت له أنا لا ألبس زى العلماء كما ترى فقال لي أنا أقبلك على أى حال كنت فقلت له خيرا وشرعت أصلي الجمعة فى جامع الدهان فما مرت ثلاث جمعات الا وقد ضاق المسجد عن المصلين وصار الناس يقصدونه من جميع أرجاء بغداد وحتى أهل الاعظمية كان كثير منهم يمرون على مسجد أبى حنيفة ويتركونه ويؤمنون جامع الدهان ومن الذين كانوا يواضبون على الصلاة فيه السفير المغربى فى ذلك الوقت الحاج الفاطمى بن سليمان وبلغ الاقبال على جامع الدهان الى أن من لم يتقدم قبل الزوال بساعة أو أكثر لا يجد مكانا .

تطهير الجامع من البدع

كان فى هذا الجامع كغيره من المساجد بدع ، الاولى : قراءة القرآن بالتناوب فى مكان مرتفع مخصص للقارئ وكانوا يشوشون على المصلين بقراءتهم ، الثانية : صلاة ركعتين بعد الاذان الاول . يقوم المؤذن فينادى بأعلى صوته متغنيا فيقول ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) ثم يقول صلاة سنة الجمعة يرحمكم الله فيقوم الناس كلهم ويصلون ركعتين ومن لم يصلهما يعد تاركا للسنة وكان المؤذن يرفع صوته بالتسميع خلف الامام مع وجود مكبرة الصوت وعدم الحاجة الى التسميع كما يفعل اليوم بالمسجد النبوى نسأل الله أن يطهره من المحدثات حتى يعاد الى الحال التى كان عليها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، الثالثة : الاذان الاول وهو محدث لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا على عهد الخليفين بعده وهم أولى بالاتباع ولما كان زمان عثمان وكثر الناس فى المدينة أمر عثمان مناديا ينبه أهل السوق بقرب

صلاة الجمعة ليستعدوا لذلك ويؤموا المسجد ولم يكن ذلك أذانا حقيقيا ولا كان في المسجد فلما كان زمان عبد الملك بن مروان جعله أذانا لازما وجعله في جوف المسجد أنظر كتاب المدخل لابن الحاج وفتح الباري ، وكيف ما كان الامر فسنة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه اللذين قال فيهما اقتصدوا باللذين من بعدى أولى بالاتباع ، الرابعة كان المؤذن بعد السلام يرفع صوته بأذكار مخصوصة . استعنت بالله وحده أنا وتلامذتي وأخذنا نزيل تلك البدع واحدة بعد واحدة حتى قضينا عليها ولله الحمد وكان الحاج عبد الحميد لا يتأخر عن مساعدتنا في ذلك فبدأنا بإزالة القراءة ثم إزالة ما كان يترنم به المؤذن بعد انتهاء الصلاة وبقي لنا الاذان الاول والركعتان اللتان تفعلان بعده فألفت كتابا سميته الانوار المتبعة في سنة الجمعة وأقمت فيه البرهان على أن صلاة الجمعة ليست لها سنة قبلية وانما لها سنة بعدية ونقلت كلاما لابي شامة في كتاب البدع له وكلام غيره فلما عرف الناس ذلك بقراءة ذلك الكتاب وبخطب الجمعة المتوالية وكانت كلها من صنم السنة خطبا تعليمية ارشادية اتفقت مع تلامذتي ومع الحاج عبد الحميد الدهان على ازالة الاذان الاول وبازالته نزول الركعتان فأندرت الحاضرين في المسجد في خطبة الجمعة الاخيرة وقلت لهم لقد علمتم فيما مضى من خطب يوم الجمعة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له الا مؤذن واحد يؤذن أذانا واحدا عند جلوسه على المنبر حتى اذا فرغ المؤذن من أذانه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ولم يقم أحد لصلاة ركعتين الا من تأخر حتى شرع الخطيب في الخطبة فهذا يصلي ركعتين خفيفتين تحية المسجد كما بينته لكم مرارا وتكرارا بالاحاديث الصحيحة وقد عزمنا على ترك الاذان الاول وبطبيعة الحال تترك الركعتان المتربتان عليه فمن شرح الله صدره لقبول الحق فأهلا وسهلا به وهنيئا له ومن أبى فالمساجد كثيرة فلما كانت الجمعة التالية دخلت المسجد وذهبت رأسا فصعدت المنبر وجلست عليه فقام أحد تلامذتي وأذن ثم قمت أنا وخطبت فجعلناهم أمام الامر الواقع وانقطع بذلك ما بقي من المخالفات ولله الحمد والحاج عبد الحميد الدهان كان موافقا لي على ازالة تلك البدع حرصا منه على عمارة المسجد وازدهاره ولم يكن يدرك أهمية التمسك بالسنة وترك المحدثات لانه تاجر لا يعرف الادلة الشرعية ويجيئه المخالفون للسنة فيزينون له البدع فيبقى متحيرا ويحل المشكلة بارضاءنا في

كتاب
البدع

المسجد وارضاء خصومنا خارج المسجد بأن يقيم لهم ما دَب ويعطيهم الحرية في ارتكاب بدعهم من عمل الموالد وغيرها ولذلك لم يثبت على العهد فبعدهما برحت أنا بغداد طمع فيه المبتدعون فأقنعوه برد تلك البدع بعدما ظهر منها المسجد لمدة نحو عشر سنين ولله الامر من قبل ومن بعد .

هجوم مدير الاوقاف علينا

لما رأى الفقهاء المتعصبون وأصحاب الطرائق المبتدعون نجاح هذا المسجد وازدهاره وقيام دولة التوحيد واتباع السنة شرقوا بذلك ودبروا مكيذة عظيمة فذهبوا الى مدير الاوقاف والاقواف في العراق لا يكون لها وزير لانها كلها من وقف أهل السنة ولو كانت لها وزارة مستقلة لامكن أن يكون الوزير شيعيا وذلك يخالف شرط الواقف فكانت مديرية الاوقاف تابعة لمجلس الوزراء فذهب المبتدعون الى مدير الوقف ومعهم مفتى بغداد في ذلك الوقت وقالوا له لماذا لا تستعمل حقل في تعيين الامام والخطيب في جامع الدهان وكيف تترك الهلالى ينشر المذهب الوهابى علانية في ذلك المسجد فاستصدر مدير الاوقاف أمرا ملكيا بتعيين شخص اماما وخطيبا في جامع الدهان فنال مراده فلما صدر الامر الملكى كتب صحيفة الى يقول فيها بعد السلام انه صدرت ارادة ملكية لفلان الفلانى أن يكون اماما وخطيبا بجامع الدهان وقد أخبرنا الامام أنك لا تمكنه من أداء واجبه فنرجو أن تتخلى عن الامامة في ذلك المسجد ليتمكن الامام من أداء واجبه وبعث الصحيفة مكشوفة بلا غلاف الى الكلية فسلمها الى البواب ولم تنزل تنتقل من يد الى أخرى والناس يقرؤونها حتى وصلت الى يدي فلما فرغت من دروسى ورجعت الى بيتى كلمنى الحاج عبد الحميد الدهان بالهاتف وقال لى ان مدير الاوقاف دعانى الى مكتبه فلما حضرت عنده تكلم بكلام قبيح لا أريد أن أذكره لك فقلت له وأنا أيضا كتب الى يأمرنى بالتخلى عن عملى فى المسجد فقال لى استمر على عملك واترك هذا الامر لى فقلت له وعلى هذا أنا عازم أيضا .

وقوف فضيلة الاستاذ منير القاضى الى جانب الحق

ذهب الحاج عبد الحميد الدهان الى مدير مجلس الوزراء وأخبره بما قال وفعل مدير الاوقاف فأخذ التليفون وتكلم مع مدير الاوقاف ووبخه توبيخا شديدا فاعتذر له بأن الدكتور الهلالى يبيت المذهب الوهابى وله معارضون من

أهل السنة ونخشى أن تحدث فتنة في المسجد فقال له فضيلة الاستاذ منير القاضى أنت مدير أوقاف أو مدير الامن العام وزبره زبرا شديدا فحبط عمله وبطلت هذه المكيدة والاستاذ منير القاضى يعرفنى حق المعرفة فاننا كنا نجتمع فى الاحتفالات التى تقيمها وزارة المعارف فما كان أحد يقوم لصلاة المغرب الا أنا وهو فكان يقدمنى فأصلى به اماما وفى رمضان لم يكن أحد من الحاضرين يصوم الا أنا وهو فكان نطر جميعا وفيما عدا ذلك لم تكن بينى وبينه علاقة .

مكيدة اخرى

ذهب أعداؤنا الى القصر الملكى وبلغوا خبرا كاذبا على سبيل الوشاية قالوا ان الهلالي منذ زمان عين اماما وخطيبا فى جامع الدهان بدون ارادة ملكية وطرد الامام الشرعى وأعاناه على ذلك صاحب المسجد وهو بيت المذهب الوهابى ولا يدعو للملك فى خطبة الجمعة لانه عدو للبيت الهاشمى فجاءنى أحد اخواننا وأخبرنى بذلك فقلت له ان الله الذى خيبهم فى الاولى سيخيبهم فى الثانية فبعث الوصى من حضر صلاة الجمعة فوجد الخبر غير صحيح وخاب سعيهم وكنت دائما أختتم الخطبة الثانية بالالفاظ التالية على عادة المقتصدى غير المتزلفين من الخطباء فى بغداد فأقول اللهم وفق وسدد ملك العراق فيصلح الثانى وولى عهده عبد الاله وسائر ملوك المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين فان قلت هذه بدعة كنت ترتكبها مع زعمك أنك تحارب البدع أقول اننى اجتهدت فرأيت أنى لو لم أفعل ذلك لم أستطع أن أكون اماما فى صلاة الجمعة ولا مدرسا وواعظا فى ذلك المسجد وان ما يحصل من الخير بنشر التوحيد واتباع السنة يربو على تلك البدعة أضعافا مضاعفة على أن الدعاء لشخص معين فى خطبة الجمعة لا بأس به ولكن المداومة عليه فيها ما فيها .

أخذ الاجرة على صلاة الجمعة

فى الجمعة الثانية التى صليتها اماما وخطيبا فى جامع الدهان دعانى الحاج عبد الحميد الدهان الى الطعام بعد صلاة الجمعة وقال لى أنا سرور جدا بما وقع من الاقبال على الصلاة فى مسجدى بسبب خطبتك ونريد أن نتفق الآن على الراتب فقلت له ان أردت أن يطرد نجاح المسجد فلا تفكر فى الراتب فانا لا

أخذ أجرا على الصلاة أبدا فألح فثبت على الامتناع عن قبول أى شيء فقال نجعله هدية فقلت ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء فبعث الى بعد ذلك جماعة يشفعون عندى فى قبول الراتب فرفضت ولم آخذ شيئا طول تلك المدة الا أننى اقترضت منه دنائير مرتين فرددتها له .

ملاحظة الاستعمار الانجليزي لمؤلف هذا الكتاب

كان السفير الانكليزى فى تطوان قد تعاون مع الاسبانيين فى منعى من الرجوع الى برلين وكان قد احتج على الاسبانيين بسبب المقالات التى كنت أنشرها فى صحيفة الحرية لسان حزب الاصلاح الوطنى وتقدم ذكر ما جرى بينى وبين نائبه فى تطوان وكنت أظن أن محاربته لى لا تعدو حدود تطوان واذا به يلاحقنى الى بغداد فقد كتب الى السفارة الانكليزية فى بغداد وأخبرها بحالى وحدثها منى فأوغرت الى مطياها من العراقيين أن يحاربونى ومما دل على ذلك أن السفارة التونسية فى بغداد أقامت احتفالا فدعتنى اليه فالتقيت هناك بصديقى الدكتور عبد الكريم كمنونه وهو رفيق لى فى الدراسة فى جامعة بون بألمانيا فأقبل عليه السفير الانكليزى فى بغداد فقال له أعرفك بالدكتور محمد نفسى الدين الهلالى وأخذ يثنى على فلم يهش ولم يبش ولم يرحب بل قال له بالانكليزية ما معناه أنا أعرفه جدا مع أنى ما رأيته قبل ذلك اليوم ولما ذهبت الى التحقيقات الجنائية وهو اسم دائرة الشرطة السرية وطلبت اعطائى جواز سفر منعت من ذلك بدون بيان السبب واستمرت على ذلك ثلاث سنين فى كل صيف أتردد على تلك الدائرة مرارا وتكرارا ثم أرجع بخفى حنين حتى رق قلب الموظف المختص ورحمنى وقال لى أيها الاستاذ ان منع اعطائك جواز السفر ليس بأيدينا بل هو فى يد من فوقنا فلا تتعب نفسك بكثرة التردد ، واتفق أننى أطلعت أحد الاخوان على هذه القضية فقال لى حل هذه المشكلة يسير بالنسبة اليك ولكنك لا تعرف طريق حلها فقلت أفدنى يرحمك الله فقال ان مدير الشرطة العام هو ابن عم صديقك الحاج محسوب والحاج محسوب هو كبير هذه العشيرة ومدير الشرطة العام لا يعصى له أمرا فعليك به فذهبت الى الحاج محسوب وأخبرته فقال لى غدا صباحا نلتقى عند باب جامع الامام الاعظم فالتقينا وركبنا سيارة فلما وصلنا الى باب مديرية الشرطة العامة اذا بالمدير خارج فكلمسه

الحاج محسوب وقال له اليك جئنا فقال يا حاجي أمهلني ساعة فان عندى أمرا مهما لا يمكن تأخيره وبعد ساعة أكون فى المكتب وبعد مضى الساعة دخل عليه الحاج محسوب فلبث عنده نحو نصف ساعة وخرج بكتاب معنون الى مدير التحقيقات الجنائية ومختوم على غلافه ومكتوب عليه (سرى) فأخبرنى الحاج محسوب أنه عاتبه فى معنى من جواز السفر ثلاث سنين فقال له ان صاحبك هذا اشتراكى وفى ذلك الزمان كانت بدعة الاشتراكية لا وجود لها فى البلاد العربية ولا يفكر فيها أحد وانما تكلم بشيء لا يعرفه قال الحاج محسوب فقلت له أقسم لك بكل عزيز على أن هذا كذب وافتراء فان هذا الرجل يعظ فى مسجدي منذ ثلاث سنين وما عنده الا قال الله وقال رسوله وان شئت أتيتك بأربعين من سكان الاعظمية يشهدون بما ذكرت قال فكتب لى هذا الكتاب الى مدير التحقيقات الجنائية يأمره أن يعطيك جواز السفر فى الحال وأراد أن يبعثه مع شرطى قال فقلت له والله ما يأخذه أحد غيرى فقال لى يا حاجى هذا سرى فقلت له ليكن سرىا أو علانيا لا يأخذه غيرى فسلمنى الكتاب وقال اذهب به الى مدير التحقيقات فذهبت اليه واستأذنت عليه شرطيا كان واقفا ببابه فقال له قل له ان قضيته لم تنته بعد فقلت للشرطى قل له جئت بكتاب من مدير الشرطة العام ولا أسلمه الا يدا بيد فأذن لى فسلمته الكتاب فلما رأتهم بختم سيده ورأى عليه كلمة سرى قام وقرأه قائما وأبدى لى بشاشة وترحيبا لم أره من قبل ذلك ودعا بشرطى وقال له رافق الدكتور الى المكاتب المختصة ومرهم أن يهيئوا أوراقه فى الحين فانحلت هذه المشكلة .

الانقلاب

فى أوائل سنة (1958) قام عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم بالانقلاب المشهور والنزى قتل فيه الملك فيصل الثانى والوصى عبد الاله وسائر أهل بيتهما الا امرأة واحدة وقتل فيه نورى السعيد وظن أهل العراق كلهم أن هذا الانقلاب سيأتيهم بخير عميم ويقضى على النفوذ الاستعماري وحينئذ تفتح لهم أبواب البركات من السماء والارض الا أنه بمضى الايام ظهر لهم خطأ ظنهم لان العهد الملكى كان عهد استقرار ورخاء وكان خيره أكثر من شره بالنسبة الى الخاصة والعامة والرئيس عبد السلام عارف هو من أخص اخواننا السلفيين وهو وفرقته قاموا

بالانقلاب ولم يشاركهم عبد الكريم قاسم الا بموافقته وقد أخطأ رحمه الله فى ذلك الانقلاب وكان أول من صلى بناره فقد حكم عليه بالقتل وسجن سنين وعذب ثم أسعده الحظ حتى تمكن من قتل عدوه فى أواخر الامر وشريكه فى أوله واستولى على الحكم فكتب الى بخط يده وأنا فى المغرب يقول نحن تلامذتك ونحن سائرون على الخطة التى اقتبسناها من دروسك وأبواب العراق مفتحة فى وجهك فأقبل الينا فشكرته على ذلك ولم أقبل دعوته ، وما أدرى كيف شعر بذلك أخونا السلفى الاستاذ محمود مهدى الاسطنبولى فكتب الى يقول علمت أن عبد السلام عارف من تلامذتك وهذا فرصة لا تضاع فهل نسعى فى عمل شئ ينفع الاسلام والمسلمين فاعتذرت له ولم ينشرح صدرى لذلك لانى لم أتوقع نجاحا ولما استولى عبد الكريم قاسم وأبعد عبد السلام عارف أولا ثم سجنه ثانيا أطلق العنان للشيوخيين يقتلون من شاءوا ويسجنون من شاءوا ويسحلون من شاءوا والسحل هو وضع حبل فى عنق الرجل وجره به على وجهه الى أن يموت وعاش الشيوخيون فى بلاد العراق فسادا فعم الخوف والفرع ولم يبق أحد مطمئنا على نفسه .

ووقعت حوادث فضيعة معلومة لا نطيل بذكرها ولكن على سبيل المثال أذكر حادثا أو حادثين أخبرنى أخونا السلفى الصالح الدكتور وجيه زين العابدين أنه كان نائما فى فراشه وبعد منتصف الليل بساعة ونصف سمع طرقا شديدا على الباب قال ففتحت الباب واذا ثلاثة من الشيوخيين دخلوا على بدون استئذان وفتشوا البيت ثم قبضوا على وتركوا والدى وزوجتى وأولادى يكون وحملونى فى سيارة الى غرفة من غرف التوقيف كما يسمونه فأدخلونى فيها وأغلقوا الباب وفى أثناء الطريق قالوا لى صدق من قال أنك تبغض الزعيم عبد الكريم قاسم فقد فتشنا بيتك كله وما وجدنا فيه صورة للزعيم قال فقلت لهم هل بعثكم من فوقكم لتحاكمونى أو لتقبضوا على وتقدمونى الى غيركم ليحكم على قال فوجدت فى تلك الغرفة ثمانين رجلا كل واحد منهم ملتف بكساء يقيه البرد وهم قعود ولا مجال للاضطجاع ، قال فقعدت معهم فلما أصبح الصباح وجاء وقت الضحى جاءنى شرطى فدعانى الى مكتب معاون قال فسلمت عليه فلم يرد على بل قال لى أنت بعشى قال فقلت أنا مسلم فقال لى لماذا تكونون شجعانا حتى اذا وقعتم فى يد العدالة تجبنون قال فقلت له أنا لا أجبن ولا أبالي

بك ولا برئيسك عبد الكريم قاسم أتعرف من هو رئيس حزب البعث قال لا قلت هو مشيل عفلق فكيف أكون مسلما ويكون رئيسي مشيل عفلق وهو نصراني فلو كنت تعرف ما هو الاسلام لم تتهمني بالبعثية بعدما قلت لك أنا مسلم قال وكان ذلك المعاون من خيار المعاوين فناولني مقالا مكتوبا بخط يدي عنوانه مضار الخمر وقال لي أنت كتبت هذا المقال قال فقلت نعم فقال لي اقراه فقلت له أنا كتبتة بيدي وأعرفه فاقرأه أنت لتعرفه قال فقرأه فلم ينكر منه شيئا قال فقال لي أنت مظلوم صدر الامر بالقبض على صاحب الصحيفة التي كتبت لها هذا المقال فوجدوا بين أوراقه هذا المقال موقعا باسمك فقبضوا عليك قال وكتب امامي كتابا الى من فوقه وقال فيه انني أجريت تحقيقا دقيقا مع الدكتور فلان فوجدته بريئا وهو يحب الزعيم فأرجو الامر باطلاق سراحه قال فبقيت أربعة أيام ثم أطلق سراحى ولا نطيل بذكر الحوادث المؤلمة فان ذكرها أيضا يؤلم ، وفى ذات يوم بعد ما صليت الجمعة اماما فى جامع الدهان جاءني احد المصلين فأسراى أن ابنه سمع معلما شيوعيا فى ثانوية الاعظمية يقول يزعمون أن حكومتنا ليست ديموقراطية وما عندها حرية وهذا باطل فأى حرية أعظم من أن تترك محمدا تقى الدين الهلالى يسبها فى كل جمعة على المنبر ولم تتعرض له بسوء فقلت له وهل سمعتنى أسب الحكومة فى خطبة من الخطب فقال لي انما أردت أن أبلغك الخبر لتكون على حذر وكان خطباء الجمعة فى ذلك الزمان أصنافا منهم من يمدح حكومة عبد الكريم قاسم فى خطبه ويطربها غاية الاطراء كما كانوا يفعلون مع الحكومة الملكية ومنهم من يقتصد فى ذلك ومنهم من يقتصر على الدعاء لها وأنا لم أكن أذكرها أصلا لا بخير ولا بشر لكن كان بعض المتهوسين من تلامذتى يحاولون أن يلقوا كلمات بعد خطبة الجمعة فى انتقاد الحكومة فكنت أمنعهم خوفا من العواقب الوخيمة على المسجد وأهله وكان عشرات من الشيوعيين يقفون أمام المسجد وقت الخطبة ويكتبون ما تضمنته خطبة الجمعة ويبلغونه الرؤساء وكان رجال المباحث فى كل جمعة يدعون بعض المصلين ويسألونهم عن الخطبة وعن صاحبها وفى ذات جمعة دعوت الناس الى أن يجمعوا تبرعات للمجاهدين فى الجزائر وقلت لهم كل متبرع يعد ما يتبرع به وسيأتى فى الجمعة التالية ممثل الجزائر السيد محمد الروابحية ويتسلم التبرعات فاهتم بذلك رجال المباحث ولكنهم اقتصروا على استنطاق المصلين ولم

يتعرضوا لنا بسوء وتعطلت دروس الوعظ في المسجد لان تلامذتي صاروا يخافون الشيعيين أن يفتكوا بهم وذهبت أنا الى الاستاذ الحاج حمدي الاعظمي وهو أكبر عالم حنفي في ذلك الزمان ببغداد وكان اماما وخطيبا في مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني المبني على قبره فقلت له ما تقول في خطبتك بالنسبة الى رجال الحكومة فقال ادعو لهم بالتوفيق والتسديد وأن يعينهم الله على ما فيه الخير لهذا الوطن فمئذ ذلك أخذت ادعو أنا أيضا لهم بمثل ذلك في الخطبة الثانية خوفا من شرهم وعزمت على السعي في الخروج من العراق ولكن ذلك لم يكن أمرا هينا فكتبت الى رئيس مستشفى العيون الاستاذ (مولر) أن يأمرني بالسفر الى ألمانيا ليفحص عيني ففعل وقدمت طلبا لرئاسة الصحة وأطلعتها على كتاب الطبيب الألماني فعينت ثلاثة من الاطباء للتحقيق في القضية فناقشوني الحساب ولم يأذنوا لي الا بعد اللتيا والتي وكان العراقيون ممنوعين من السفر الا لغرض فيه خدمة للحكومة أو لعلاج مرض يعجز عنه أطباء العراق ثم لا يمكن السماح بالسفر الا لمن كانت صحيفته بيضاء بالنسبة الى رجال الثورة فقدمت الطلب للحصول على الاذن بالسفر ومعه موافقة رئاسة الصحة وبقيت أنتظر الجواب خمسين يوما حتى درسوا كل ما تحتويه محفظة أوراقى التي كتب فيها كل ما ينسب الى وفي نهاية المطاف أعطيت جواز السفر ولم أصدق أنني تخلصت من أظافرهم الا بعد وصولي الى مطار بيروت وكان جواز سفرى محصورا فى (بن) فلما وصلتها دخلت المستشفى وأنفقت فيه ثلث ما عندى لارى السفارة العراقية أنني صادق فى دعواى وكان ذلك خطأ لاننى لما توجهت الى السفارة العراقية فى (بن) وجدت القائم بالاعمال شابا طيبا أبوه من أعز أصدقائى وقال لى أنا مستعد أن أضيف الى جوازك اذنا بالسفر الى أى بلده تريده ولو الى مصر وكان السفر الى مصر فى ذلك الزمان من أعظم الجرائم وفى أول الثورة كانت صورة جمال عبد الناصر أحسن حلية لكل مكان؛ تراها فى الامكنة الخاصة والعامّة أينما سرت فى بغداد ثم مزقت كل ممزق وصار كل من توجد عنده يستحق العقاب الشديد وبعد ذلك سافرت الى المغرب .

الدعوة الى الله فى الدورة

أول حجة حجتها كانت سنة 1341 على عهد الملك حسين بن على ورافقى الى الحج بعض اخواننا السلفيين من أهل اليريمون وكان السفر من مكة الى المدينة فيه مخاطرة عظيمة بالنفس والمال فكانت قبائل البدو تتحكم فى الحجيج وتنهب وتسلب وتقتل وقد أخبرنا بعض الحجاج أن كل قبيلة تمر بها قافلة الحجاج يفرض رجالها على الحجاج أن يمكثوا فى بلدهم أياما عديدة الى أن يبيع أهل القبيلة كل ما يربون بيبعه وقد يشتري الحجاج منهم أشياء لا حاجة لهم بها وإنما يفعلون ذلك اتقاء لشهرهم وطلباً لاطلاق سراحهم وكل من ابتعد من الحجاج عن القافلة ولو لقضاء الحاجة يكون عرضة للقتل والسلب فلا يصل الى المدينة ولا يرجع منها الا طويل العمر هذا مع أن الملك حسين كان يأخذ من كل قبيلة شابا يكون رهنا عنده الى انقضاء موسم الحج حتى لا تتعدى تلك القبيلة على الحجاج ولم يجد ذلك نفعا ومما يدل على أن الشرك كان مسيطرا على البدو والحضر فى ذلك الزمان أن الشيخ أحمد الشمس الشنقيطى نزيل المدينة النبوية وهو أحد تلامذة الشيخ ماء العينين وكلاهما شيخ طريقة يسمونها قادرية نسبة الى عبد القادر الجيلانى رحمه الله وأهل هذه الطريقة عندهم غلو عظيم فى شيوخهم قد اتخذوهم أربابا من دون الله يستغيثون بهم فى الشدائد ويزعمون أنهم يغيثونهم واذا جالست أحدا منهم تراه كالمجنون ممسكا سبحة بيد يعد حباتها ويسرد لا اله الا الله بنعمة الغناء واللحن ثم ينشد أبياتا ثم يعود الى سرد لا اله الا الله وفى أثناء ذلك يصرخ صرخات عظيمة يا شيخنا ، فهؤلاء ما لهم عقل ولا دين قال ابن الجوزى فى كتابه تلبس ابليس ، قال الشافعى رحمه الله لو أن رجلا صحب الصوفية من الصبح الى الظهر لم يبق له عقل قال محمد تقى الدين وأنا أصدقه وأزيد عليه ولا دين ونحن انما ندم الصوفية المبتدعين والمشركين والملاحدة كابن عربى الحاتمي وابن الفارض واذا كان الصوفية فى زمان الشافعى رحمه الله موصوفين بأن من صاحبهم يفقد عقله فما بالك بصوفية الازمنة المتأخرة . واذا أردت أن تعرف طريقه ماء العينين

نفت البداية
وتوصيف النهايات
لحمه فاخذ بنماين
كسفرة عماء العينين
وهو مطبوع وبعدهم
كتاب انزل سماه
فاتح الرشق
انق الفتح

وتلامذته فعليك بكتابه المسمى «نعمت البدايات» فانك ترى فيه عجب العجاب من الضلال والغلو ومن جملة ما قاله بعض الغلاة في قصيدة له يطرى فيها شيخه ماء العينين .

من فاته المصطفى المختار من مضر
وقد رددت عليه بقصيدة أنقلها هنا :

من فاته المصطفى المختار من مضر
ان رد كل نزاع للاله الى
وللرسول الى حديثه فبذا
لا للشيوخ ولا للرأى من شيع
وكم حديث به عرض الجدار رموا
اذ خالف الرأى وهو الاصل عندهم
ما للرسول لديهم غير الاسم فقط
وآية من كتاب الله محكمة
تعهدوا سلب معناها المراد بها
مضى الصحابة لم تخطر ببالهم
كذا الائمة مثل الشافعى وما
وجاء من بعدهم خلف أتوا بدعا
وحكموا عقلهم فى الله جل وهم
فوصفوه بما أوحى وساوسهم
ان قصر الله والمختار فى صفة
او انزل الله آيات مكفرة
تالله ان اولاء القوم فى عمه
قد أعرضوا عن كتاب الله وانتبدوا
من رام تكذيب قول الله أو سنن
والحق أوضح من أن يستدل له
الله أعطاه طرفا يستدل به
وقال انا وجدنا الاقدمين كذا
والحق أقدم المختار سابقهم

وقد قفا نهجه ماذاك محروم
كتابه فله يحق تحكيم
أمر الاله أانا وهو محتوم
لديهم جبل ذكر الله مصروم
اسناده مثل شمس الصحو معلوم
كأن صاحب ذاك الرأى معصوم
وصاحب الرأى متبوع ومأموم
تفسيرها عن نبي الله مفهوم
وحملوها مفاهيمها بها ليهوا
والتابعون وعقد الدين منظوم
لك وأحمد لم يلزم لهم خيموا
قد اقتفوا أثر يونان مشائيم
جهال أنفسهم وذاك مذموم
وعندهم وصفه بالذكر تجسيم
وصحبه كيف يرجى بعد تفهيم
فالكفر يحمد والاسلام مذموم
بنوا على غير أس فهو مهدوم
بيداء سالكها لا شك مقصوم
يقول ذا لازم وذاك ملزوم
لكن طرف أخى التقليد مخروم
فسده واقتفى من هو مشؤوم
والاقدمون لهم يحق تقديم
لقوله حق تبجيل وتعظيم

عن غيره فعليه دام تسليماً
 شرابه يوم يظما الناس يحوم
 وأنفه بحبال الجهل مخزوم
 من شتم جمعكم لاشك مهزوم
 وينغضون رؤوسهم وهم بوم
 فعندهم قول خير الرسل مسؤوم
 وأنفكم أبداً بالترب مرغوم
 فذاك في الناس مدحور ومدؤوم
 فليس يخفى على العلام مكتوم
 ذا حاكم عندهم وذاك محكوم
 قول الامام وذا في الذكر مرقوم
 اين المحبة أين أين تعظيم
 وخالفوا أمره فالحب مزعوم
 والحب منك اذا خالفت معدوم
 مشايخ دينهم والعرض مثلوم
 ومنهم نتن أكل السحت مشوم
 هم بالدرهم تحليل وتحريم
 يقطين والكم مثل الخرج مرسوم
 ومن أبي فهو ملحي ومشتوم
 كما رأيت استوى جهل وتعليم
 فلا تسل عنهم فهم مشائيم
 شرائعها كلها افك وتائيم
 فالحر مستخدم والعبد مخدوم
 من الشياطين شرع القوم مفهوم
 مثل السكرى ورقص ثم هينوم
 مع الكما وتجنن وتهويم
 كل له جزء في الناس مقسوم
 وغيره ما له في الخلق برعوم
 يقول أصحابها ذا السر مكتوم

وليس رب الورى بسائل احدا
 يا ويل من لم يكن له بمتبع
 وكيف يتبع ذو التقليد سنته
 اذا عصيتم رسول الله فاتبعوا
 ان قلت قال رسول الله ينتفشوا
 وينبزونك بالالقاب من سفه
 كونوا حجارة أو حديدا أو خشبا
 من كان قول رسول الله يفضبه
 وان تستر بالتحريف يخذعنا
 أمر النبي وأمر من امامهم
 لو وفقوا حكموا قول النبي على
 فاین الايمان منهم أين آيته
 وهم يقولون نحن الوافقون له
 ان كنت وامقه فتقف سنته
 وكل ما كان من نقص فمصدره
 هم زينوا للعوام كل فاحشة
 راموا الناكل بالفتوى فصار لديد
 لاكسب عندهم الا العمائم كال
 يرخون للناس أيديهم قبلها
 ان كان حال هداة الناس يا أسفا
 أما ذوو الطرق من للصوف قد نسبوا
 لم ترضهم شرعة المختار فانتحلوا
 واستبعدوا الناس استتباعهم سفها
 قالوا عن الله أخذنا الشرائع بل
 هل في شريعة خير الخلق عربدة
 هل في شريعة خير الخلق تصدية
 هل للخلائق أرباب تقسمها
 أم للخلائق رب واحد صمد
 هل في الشريعة أقوال تكذبها

وحولها دم ذبح القوم مسجوم
لها لا وجههم ويل وتسخيم
من دونه من بكل الفقر موسوم
اذ كان منهم على المقبور تحويم
فكيف وهو بترب اللحد مغموم
صلاة ربى عليه ثم تسليم
والعمر بالعمل المرضى محتوم

هل فى الشريعة أوثان مقدسة
لا يخشعون لربنا خشوعهم
لو آمنوا بالله الناس ما قصدوا
ما قدروا الله حق قدره أبدا
اذ كان حيا بكل الفقر متصف
قد أخبر المصطفى بكل ما فعلوا
والله أسأل أن الحفظ يصحبنى

تمت

كان الشيخ أحمد الشمس يخرج من المدينة ومعه قافلة كبيرة فيتوجه بهم الى مكة ولا يمسه أحد بسوء وكلما مر على قبيلة جاء أهلها وقبلوا يده وتبركوا به وقدموا الهديا فكان ملكا بلا جنود بسبب غلبة الجهل والشرك والبدعة والخرافات على أهل هذه البلاد فى ذلك الزمان فان قبائل البدو كانت ترهب سطوة شيخ صوفى يزعم أنه يقتل من يشاء ويصيب بالامراض والكوارث من لم يخضع الى مخرقته أكثر مما يرهبون ملك البلاد وأمرائه فقلت لمن كان معى من الاخوان اتنا قد أدينا فريضة الحج نرجوا الله القبول والصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة مستحبة ولو كانت فريضة ما ساع لنا أن نخاطر بأرواحنا لاجلها فان المحصر يحل من حجه فأى واحد منكم يتوجه الى المدينة ويركب هذه الاخطار فتوحيده غير صحيح وكل واحد منكم يترك صلاة الجماعة فى المسجد أحيانا بلا عذر وهى فريضة فكيف يعقل أن يخاطر بروحه لفعل مستحب ان أحيانا الله الى أن تؤمن هذه البلاد فاننا سنعود باذن الله ونصلى فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والا فقد أدينا فريضتنا فاستمعوا كلهم لقولى وأطاعونى وقد أحيانا الله سبحانه بفضله ورحمته الى أن صلينا فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى من الصلوات وهذا ببركة تحقيق التوحيد نسأل الله حسن الختام .

كيف كان حال السلفيين

كان السلفيون فى الحجاز فى ذلك الزمان أضيح من الايتام أما أهل نجد منهم فانهم كانوا ممنوعين من الحج وفى تلك الايام جاء جماعة من حجاج

أندونوسيا وكانوا سلفيين فأعلنوا الدعوة الى التوحيد واتباع السنة فبلغ خبرهم بعض من كانوا يسمون بالعلماء فرفعوا أمرهم الى الملك حسين وأخبروه أنهم يدعون الى مذهب الوهابية فأمر الملك باستنابهم فاجتمع عليهم العلماء واستنابوهم فتأبوا .

مناظرة مؤلف هذا الكتاب لحبيب الله بن مايايا الشنقيطي

كان الشيخ حبيب الله بن مايايا الجكني من العلماء المقربين عند الملك حسين وكانت له مدرسة تشرف على المسجد الحرام وكان المسجد الحرام في ذلك الزما محاطا بالمدارس وهذه المدارس كان يستغلها المقربون من العلماء والأجهال اذا جاء والى المسجد الحرام يجلسون فيها ويتوضؤون وينامون ويصلون فيها أيضا لان كل واحدة منها كانت لها طاقة واسعة مواجهة للكعبة فقصدت زيارة الشيخ المذكور في مدرسته وأخذت أتحدث معه حديثا يشبه المناظرة في التوحيد والاتباع وكان عنده رجل أشيب فلما سمع كلامي ظهرت عليه امارات الحزن وقال لي هذا الذي تقوله تعلمته في الشرق أم في الغرب فقلت له بل في المغرب فقال لا حول ولا قوة الا بالله وصل هذا البلاء الى المغرب يعنى بالبلاء توحيد الله تعالى واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبرني الشيخ حبيب الله أن ذلك الشيخ كان شنقيطيا كنتيا نسبة الى كنته وهي قبيلة معروفة في شنقيط فقال الشيخ حبيب الله وأنت وهابي وأنتم معشر الوهابية عندي ثلاثة أصناف وهابية نجد ووهابية مصر والشام وأنت منهم ووهابية الهند فأما وهابية نجد فانهم كفار بيننا وبينهم ما بين اليهود والنصارى والمسلمين هم اليهود والنصارى ونحن المسلمون وأما وهابية مصر والشام فهم ضلال وأما وهابية الهند فهم مخطئون فقلت له اشرح لي ما ذكرته وبين لي سبب هذه التفرقة فقال لي أما وهابية نجد فهم عندي كفار لانهم يقولون ان ربهم في السماء وأما وهابية مصر والشام فهم ضلال لانهم يدعون الاجتهاد ، وادعاء الاجتهاد ضلال ولا يبلغ الى حد الكفر وأنا بنفسى لا أقول بالنقل المحض بل أقول بمنزلة بين منزلتين ثم سرد علي أبياتا من أرجوزة له لا أحفظ منها الا شطرا واحدا وهو قوله : (وانما أقول بالتبصر) .

فقلت له هذا التفصيل فيه نظر لان جميع السلفيين في نجد وفي مصر والشام وفي المغرب وفي الهند يقولون ويعتقدون أن الله في السماء مستو على

عرشه بدون تشبيهه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل وأدلة هذا لا تخفى عليك وأما ما سميته بالاجتهاد فنحن نسميه الاتباع والاصناف الثلاثة أيضا متفقون عليه الا أن أهل نجد ينتسبون الى المذهب الحنبلي فى الفروع ونحن لا ننتسب اليه الا فى الاصول ثم قلت له ولماذا خفت الحكم على أهل الهند فلم تجعلهم كفارا ولا ضلالا بل جعلتهم مخطئين فقط فقال لى لانهم يزورون قبر النبى صلى الله عليه وسلم فليس عندهم مما ينتقد الا مسألة الاجتهاد فقلت له فعلام ضللنا نحن بالاجتهاد وغفرته لهم فقال قلت لك أنهم يزورون قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له ماذا تعنى بزيارة القبر أتقصد السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجده أم أمام حجرته أم تقصد شد الرحال فقال أقصد ذلك كله فقلت له ان السلفيين فى الهند لا يقولون بجواز شد الرحال الا الى المساجد الثلاثة فظهر تناقضه ولم أكن أعلم سبب ذلك التناقض حينئذ غير أنى عرفته فيما بعد وذلك أن الشيخ عبد الوهاب الدهلوى التاجر العالم كان بمكة وكان تلميذا له يدرس عليه بعض فروع العلم وكان يحسن اليه فلذلك خفف الحكم على السلفيين من أهل الهند وكان يتبع هواه والهوى يعمى ويصم فقد كان يحرم حلق اللحية ويغلظ فيه القول ويفسق مرتكبه فلما انتقل الى مصر هاربا ممن يسميهم بالوهابية كما سيأتى غير رأيه فأفتى بأن حلق اللحية مكروه كراهية تنزيه فقيل له قد أفتيت زمانا طويلا بالتحريم والتفسيق فما عدا مما بدا فقال ان أكثر العلماء فى مصر يحلقون لحاهم فكيف يسوغ لى أن أفسقهم ، ولما استتيب الاندونوسيون وكان هذا الرجل من الذين استتابوهم اختفيت أنا ثمانية أيام فى مكة عند بعض المغاربة وكنت أبعثه كل يوم الى المسجد الحرام ليتحسس هل هناك أحد يبحث فلم يجد لذلك أثرا فخرجت من مخبئى وهذه حسنة أعدها له اذ لم يسمع فى استتابتى وسوف يرتكب سيئة تمحو هذه الحسننة .

مداهنته لمن يسميهم بالوهابية

لما استولى الملك عبد العزيز على الحجاز بعد هذا التاريخ بقليل أخذ يداهن الملك عبد العزيز وأهل نجد الذين كان بالامس يكفرهم وفى يوم من الايام جاء الملك عبد العزيز رحمة الله عليه الى المسجد الحرام فوجد الشيخ حبيب الله والسيد أحمد السنوسى يملآن الاثر المسمى بموضع قدم ابراهيم بهاء زمزم

ويكرعان فيه بأفواههما كالبهائم فوبخهما وقال لهما اذا كنتما تفعلان هذا وأنتما بزعمكما من العلماء فماذا تركتما للجهال وحدث أنه كان ذات ليلة في مجلس الملك عبد العزيز آل سعود وكان الملك يتكلم في التوحيد فعارضه فغضب عليه الملك عبد العزيز غضبا شديدا فظن أن حتفه قد دنا فتقدم الى الملك وألقى نفسه بين يديه وأظهر التوبة والرجوع عما قاله وانما فعل ذلك خوفا أن يبطش به ولم يكن الملك عبد العزيز رحمه الله سريعا الى البطش بل كان اذا غضب يقتصر على الكلام ولا يتجاوزه وعلى اثر ذلك أخذ زوجته الى المدينة وتركها في بيت أخيه الشيخ محمد الخضر وهرب الى مصر وكانت العلاقات بين مصر والمملكة السعودية في ذلك الزمان سيئة جدا بسبب المحمل الذي كانت تبعته الحكومة المصرية الى مكة في كل سنة وهو شيء كالهودج يطاف به في القاهرة ثلاثة أيام يتمسح الناس به ويتبركون به ثم يبعث مع الوفد المصري الى مكة فيتمسح به الجهال أيضا في جدة وفي الطريق الى مكة فأمر الملك عبد العزيز رحمه الله بالمنع من التمسح به والاتيان به الى مكة وأمر أن يترك في جدة وبعد الحج يرجع به الوفد الى مصر فرأى الوفد المصري أن ذلك اهانة له وكانت كسوة الكعبة المشرفة يؤتى بها من مصر يحملها الوفد المصري كل سنة الى مكة فلما ساءت العلاقة بين المملكتين استغنى الملك عبد العزيز عن كسوة الكعبة التي كان يؤتى بها من مصر وطلب الصناعات من الهند وأسس دارا بمكة لصنع الكسوة فاعتنم الشيخ حبيب الله هذا الخلاف والتجأ الى حكام مصر وشكى لهم ما أصابه من السعوديين والحقيقة أنه لم يصبه شيء فرحبوا به وجعلوه مدرسا في الازهر وفي سنة 1345 توجهت من العراق الى الحج بصحبة الشيخ مصطفى آل ابراهيم ومررنا بالقاهرة وكان الشيخ حبيب الله مستقرا بها فعلمت أن شخصا قال له هل تعرف الهلالي فقال نعم أعرفه فقال له أهو من أهل العلم فقال له لا يصلح أن يكون جليسا لأهل العلم فكيف يكون من أهل العلم فكتبت كتابا اليه قلت له فيه بلغنى أنك قلت كيت وكيت وقد ناظرتك في مدرستك سنة 1341 من الظهر الى العصر كنت تناضل عن عقيدة أسلافك الارذلين كالجهم بن صفوان والجعد بن درهم وكنت أناضل عن عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فما وجدت في بحمد الله ضعفا ولا وني وأنشدته في ذلك الكتاب أبياتا أذكر منها قول الشاعر :

لقد زادنى حبا لنفسي أننى بغيض الى كل امرئ غير طائل
وانى شقى باللئام ولا ترى شقيا بهم الاكريم الشمائسل
وقول المتنبي أيضا :

ويظهر الجهل بى وأعرافه والدر در برغم من جهله

وأبياتا أخرى نسيتهها وكتبت عليه عنوانه وهممت أن أقيه فى صندوق
البريد ليصل اليه ويشويه ولكن أخانا السلفى الشيخ ابراهيم الوادنونى تطف
وتجيل وقال لى ناولنى هذا الكتاب وأنا أبلغه اليه فناولته اياه وكان مقصوده
أن يمنع وصوله اليه حتى لا يسوءه لانه كانت بينه وبينه صداقة مع اختلافهما
فى العقيدة فان ابراهيم سلفى العقيدة وحبيا قد علمت معتقده فيما مضى وبعد
ذلك سافرت الى الحجاز للحج وكتب السيد رشيد رضا رحمه الله الى الملك عبد
العزيز رحمة الله عليه يرغبه فى ابقائى فى المملكة ويقول له ان محمدا تقى
الدين الهلالى من أفضل من أم بلادكم من أهل العلم وبعد انقضاء الحج تهبأ الشيخ
مصطفى آل ابراهيم ليرجع الى العراق فالتست من اخوانى الشيخ عبد الظاهر
أبى السمع والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة وغيرهما ان يشفعوا لى عنده
ليسمح ببقائى وأكدت له أننى ما فارقتة الا بقصد البقاء فى هذه البلاد المقدسة
للتعاون مع اخوانى على نشر العقيدة الصحيحة وكان الشيخ عبد الظاهر أبو
السمع قد كتب الى مرارا يرغبنى فى التوجه الى الحرمين والبقاء فيهما بعدما
أصلح الله أحوالهما على يد الملك عبد العزيز آل سعود وكنت فى العراق أعيش
أحسن معيشة فقد كان الشيخ مصطفى آل ابراهيم قد انشأ لى مدرسة وجعل لى
راتبا طيبا وتزوجت هناك فجاهدت نفسى الى أن أرغمتها على البقاء فى مكة
وترك ذلك كله مع أنى حتى ذلك الحين لم أوعد بشئ وكان معى أخى محمد
العربى الهلالى ولما فارقتى الشيخ مصطفى آل ابراهيم سلم لى مقدارا كبيرا من
الدرهم وقال لى وزعه على العلماء وطلبة العلم السلفيين فقلت فى نفسى أنسا
وأخى من طلبة العلم السلفيين أفلا يجوز لى أن آخذ لى ولاخى نصيبا من هذا
المال ثم قلت لنفسي ان المتبرع بهذا المال يعرفك ويعرف أخاك ويعلم أنكما
محتاجان فلو أراد أن يجعل لكما نصيبا منه لصرح بذلك فالاحتياط والاخذ
بالعزيمة يقضى بتوزيع المال كله وأن لا تأخذ لنفسك ولا لاخيك منه شيئا فوزعته
كله ولم آخذ شيئا وكنت مع الشيخ مصطفى آل ابراهيم فى ضيافة الملك عبد

العزیز رحمہ اللہ فلما سافر أقمت فی الطبقة العلیا من البیت الذی کان یسکنه الشیخ عبد الظاهر أبو السمع وتلك الطبقة مهجورة شديدة الحر فجاهدت نفسی علی الصبر علی تلك الحال وكان مأمور الضیافة یسكن فی الطبقة الارضية فكننت أمر علیه فأسلم فلا یرد علی السلام الا فی بعض الاحیان وفی یوم جمعة أردت أن اغتسل للجمعة فذهبت الی المستقی ویسمونہ البازان وطلبت من سقاء أن یأتینی بصفيحتین من الماء بعدما كنست الحوض وأخرجت ترابه فلما جاء الی البیت وعلم أنني أسكن فی الطبقة الخامسة امتنع حتی زدته فی الاجرة وصارت نفسی توسوس وتقول کیف تترك راتبا طيبا وبيتا حسنا وتترك أهلك وتصبر علی هذه الحال فأدفع هذا الوسواس بمثل قوله تعالی (ومن یتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فلما اغتسلت وتهيأت للذهاب الی المسجد الحرام اذا بخادم مأمور الضیافة یطرق الباب ویقول ان مأمور الضیافة یسلم علیك ویرجو أن تهر علی مكتبه فنزلت الیه فتلقانی بغایة البشاشة والحفاوة وقال لی جاءنی أمر هاتفی من القصر الملكي بأن أنزلک فی الضیافة وأعتذر الیک فی التأخیر الی ما بعد العصر كما أرجو أن تتناول طعام الغداء بعد صلاة الجمعة معی وبعد صلاة العصر یكون كل شیء جاهز فجاءنی بعد صلاة العصر وذهبنا الی دار الضیافة وهی دار السقاف فی محلة جیاد فوجدت مسکنا طيبا مؤثنا أحسن الاثاث ونزلت فی الضیافة وانفرجت الازمة وبقيت أربعة أشهر فی الضیافة ثم قال لی الشیخ عبد الله بن حسن رحمة الله علیه ما رأیک فی أن تكون اماما وخطيبا فی المسجد النبوی فقلت له أقبل بشرط أن لا أنقص عن عشر تسبیحات فی السجود والركوع فقال لی هذا كثير علی الناس لا یتحملونه فقلت وأنا لا أقبل الا بهذا الشرط فقال لی اذا نعطیک عملا آخر وهو مراقبة المدرسين فی المسجد النبوی فقلت قبلت هذا مع أن الشیخ عبد الله بن حسن رحمة الله علیه حین سافرنا الی المدينة کان یقدمنی دائما اماما فی الصلاة فهو رحمة الله علیه کان یستحسن ما اخترته من اتمام الركوع والسجود والاعتدال الا أن رأی أن عامة المصلین یشق علیهم ذلك فالله یجزل ثوابه ویرحمه رحمة واسعة . سافرت الی المدينة بصحبة الشیخ عبد الله بن حسن وكان معنا الشیخ محمد عبد الرزاق حمزة وقد عین اماما وخطيبا فی المسجد النبوی بعد أن اعتذرت أنا عن قبول ذلك فأقمنا بالمدينة أياما .

ازالة بستان فاطمة

كانت فى صحن المسجد النبوى بئر ونخلة وشجيرات وكان الجهال يسمون ذلك بستان فاطمة ويتبركون بالنخلة وتمرها وبالشجيرات والبئر ويعتقدون أن بئر زمزم تجرى تحت الارض حتى تتصل بتلك البئر يوم عاشوراء من كل سنة فيقبل الناس فى يوم عاشوراء على تلك البئر ويأخذون منها ماء كثيرا للتبرك به فاستشارنا الشيخ عبد الله بن حسن رحمة الله عليه فى طم البئر وازالة البستان فلم نتردد فى الموافقة على ذلك لان المسجد كله وقف للصلاة ولا يجوز أن يشغل بغيرها ولان الجهال يفتنون بماء البئر والنخلة والشجيرات فكتب رحمه الله الى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن رحمه الله يخبره بما رأيناه ويستأذنه فى تنفيذه فجاء الاذن فأمر الشيخ بطم البئر وقلع تلك الاشجار وتسوية الارض فكانت من حسناته رحمة الله عليه ولما قلعت النخلة والاشجار وقطعت قطعاً وحملت الى خارج المدينة أنتظر المفتونون بها مجئ الليل بظلامه فأخذوها كلها ولم يبقوا شيئاً ولا بد أن يكونوا قد اقتتلوا عليها لينال كل واحد منهم قطعة صغيرة من الاشجار وأوراقها وهنا نذكر شجرة ذات أنواط التى كانت للمشركين فى الجاهلية ينوطون بها أسلحتهم ويتبركون بها ، قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فى كتاب التوحيد باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما ومضى الى أن قال وعن أبى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر انها السنن قلتى والذى نفسى بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركن سنن من كان قبلكم رواه الترمذى وصححه قال شارحه الشيخ سليمان بن عبد الله رحمة الله عليه فى شرح هذا الحديث ص 150 ما نصه فاذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الاسلحة والعكوف عندها اتخاذ اله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الاموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقيلها وتقيل اعتبارها وجدرانها والتمسح بها والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب بها وأى نسبة بين هذا وبين تعليق الاسلحة على شجرة تبركا .

قال الامام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل الشافعي المعروف بأبى شامة فى كتاب البدع والحوادث ومن هذا القسم أيضا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة فى كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى فى منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا الى أن يعظم وقع تلك الاماكن فى قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم وهى من بين عيون وشجر وحائط وحجر وفى مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعونية الحما خارج باب توما والعمود المخلق داخل باب الصغير والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر فى نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها فما أشبهها بذات أنواط الواردة فى الحديث اه .

فماذا يقول أعداء التوحيد الذين يبغضون الموحدين ويسمونهم بالوهابية فهل كان أبو بكر الطرطوشي وعبد الرحمن أبو شامة أيضا وهابيين ،، ، بعدما استقررت فى المدينة بعث حبيب الله الشنقيطى من مصر الى المدينة رجلين ليأتياه بزوجه أحدهما الشيخ ابراهيم المراكشى والثانى شنقيطى لا أعرف اسمه والشيخ ابراهيم المراكشى مغربى استوطن القاهرة منذ زمان طويل وهو رجل كريم ضيفنى مرارا فى بيته فلما رأته دعوته للغداء فلما رجع الى القاهرة كان من أعجب المصادفات ان العلاقة بين الشيخ ابراهيم الودنونى وبين حبيب الله الشنقيطى قد ساءت ووقعت بينهما وحشة فألقى الكتاب الذى أخذه منى عى البريد فوصل الكتاب مع وصول الرجلين الذين بعثهما الى المدينة فظن حبيب الله أن ابراهيم المراكشى هو الذى جاء بالكتاب وألقاه فى البريد فأخذ يلومه ويقول يا شيخ ابراهيم هذا قدرى عندك تأتبنى بكتاب يتظمن تكفيرى من ذلك الجهول فحلف ابراهيم المراكشى ايمانا مغلظة أنه لم يأخذ منى كتابا ولا سمع منى كلاما فى حقه فلم يصدقه وحصل الغرض المطلوب وهو جزاءه على اساءته باسائة مثلها :

العشاء في قصر الملك حسين

لما حججت الحجة الاولى سنة 1341 وجدت شيخا من بلدنا بوابا في قصر الملك حسين ففرح بي كثيرا ودعاني للعشاء وكان من جملة حديثه لي أن قال يا بني ان هذه البلاد الشرقية فيها عجائب وغرائب فكن علي حذر من أهلها فانها ليست كبلادنا أهلها كلهم سنيون على مذهب امامنا مالك ففي هذه البلاد طائفة يقال لهم الوهابية يبغضون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يذكرون اسمه أبدا فيقولون لا اله الا الله مالك يوم الدين بدل أن يقولوا محمد رسول الله فآظهرت له التعجب وفي سنة 1345 لما كنت في الضيافة الملكية بحثت عنه حتى وجدته وضيافته وعرف حينئذ أنني من الطائفة التي حذرني منها فسكت ولم يقل شيئا وفي يوم من الايام كان معي فقصدنا المسجد الحرام فوجدنا الشيخ عبد الظاهر أبا السمع رحمه الله جالسا على الحصى فجلست معه وجلس رفيقي فقال عند جلوسه يا رسول الله فقال له أبو السمع قل يا أله فقال ما أقول الا يا رسول الله يا رسول الله يا رسول الله فاضرب عنقي ان قدرت ثم قال لي هذا فراق بيني وبينك فان صحبتك تجرني الى لقاء هؤلاء القوم وهرب ولم أره بعد ذلك فانظر الى الجهال الذين يسمون بالعلماء كيف يضللون العوام الجهال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الاساء ما يزورون .

ملك الحجاز غير المتوج

هكذا كان يسمى السيد رشيد رضا رحمه الله عميد السلفيين في الحجاز الشيخ محمد نصيف بارك الله في حياته وقد كان في تلك الايام المظلمة سراجا يضيء لمن ألهمه الله رشده طريق التوحيد واتباع السنة وكان بيته لا يخلو من الضيوف الواردين من جميع أنحاء الدنيا من أمراء البيت الهاشمي وبعد ذلك أمراء البيت السعودي الى فقراء الحجاج من أهل الهند هكذا وجدته سنة 1341 ولا يزال كذلك الى يومنا هذا ومناقبه لا يفى بها الا مؤلف خاص وهو أشهر من أن يعرف ومع أنه كان متهما بالوهابية كان موضع احترام واجلال من جميع الناس من الملك حسين وأبنائه الى الطبقة السفلى من العامة لانه من أشرف بيوتات الحجاز ولما آتاه الله من علو القدر والوجاهة والمهابة وللسخاء العظيم

الذى هو من أخص صفاته وفي الحديث السخى قريب من الله قريب من الناس
قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة وما
أحسن قول الشاعر .

تغطى بالسخا عن كل عيب فكم عيب يغطيه السخاء
وقال آخر :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان

ومع شدة عداوة الملك حسين لمن يسميهم بالوهابين كان يحجم عن الاساءة
الى هذا الرجل الكريم الى أواخر أيام ملكه فقبض عليه ونفاه من الحجاز الى قبرص
فسجن هنالك وعزم على قتله فانهاكت عليه البرقيات من جميع أنحاء العالم تحذره
من هذه الجريمة ومن جملة من حذره ابنه فيصل الاول وسائر أبنائه وبعده
سجن دام أربعين يوما أطلق الله سراحه ليعود الى خدمة العلم والدين وأعمال
البر وبناء المكرمات وقد طفت كثيرا من أنحاء العالم من المغرب الاقصى غربا الى
كلكتا شرقا ووصلت من جهة الشمال الى الاراضى القطبية التى لا تغيب فيها
الشمس مدة ثلاثة أشهر فما رأيت أحدا من العلماء والوجهاء منحه الله من خدمة
العلم والعلماء وكرم الضيافة والبر والاحسان مثل ما لهذا الرجل فهو بدون
منازع عميد السلفيين فى الحجاز بل وفى سائر أنحاء الدنيا فكم طبع من كتب
السنة والتوحيد ووزع منها الاعداد الوفرة فى جميع أنحاء العالم وكم له من
أياد بيض على أهل العلم والفضل الذين يردون منهله العذب من جميع أقطار
العالم فى هذه المدة الطويلة فنسأل الله أن يبارك فى حياته ويزيده من فضله .

عبد الرؤف الصبان

من أفضل من لقيتهم من السلفيين الذين يوحدون الله ويتبعون رسوله
صلى الله عليه وسلم السيد عبد الرؤف الصبان رحمه الله وكان مديرا لشركة
دبغ الجلود فى مكة فقد أكرمنى وأنزلنى فى بيته وكنت مريضا فأخذنى الى
الطبيب ولم يزل يرعانى ببره واحسانه الى أن انتقلت وأنا مريض الى جسده
فنزلت عند عميد السلفيين أطال الله بقاءه وكان يخدمنى بنفسه ويجبرنى على
شرب الحليب الى أن شفيت ثم سعى لى فى الحصول على الركوب فى الباخرة
بجانا الى بومباى فى الهند وفى تلك الايام التى كنت عند الشيخ عبد الرؤوف الصبان

عرض عليه الامير علي بن الحسين أن يتخذه كاتباً له فأستشارني فنهيته فلم يقبل نصيحتي وصار كاتباً عند الامير المذكور وبعد مدة قصيرة وقعب الحرب بين الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وبين الملك علي بن الحسين بعد فرار أبيه الى قبرص فانهزم الملك علي بن الحسين وخرج من مكة ورافقه كاتبه الشيخ عبد الرؤف الصبان وبقي منفياً معه سنين طويلة في أثنائها لقيته في بغداد فوجدته نادماً علي عدم قبول نصيحتي له .

السفر الى الهند

بعدها شفيت من مرضي عرضت علي أبي مشواي السيد محمد نصيف رغبتى في السفر الى الهند للقاء علماء أهل الحديث فسعى لي بواسطة القائم مقام في جدة السيد زينل في الحصول علي تذكرة سفر في الباخرة مجاناً من جدة الى بومباي وسافرت منها الى دهلي وكان الشيخ عبد الوهاب الدهلوي قد كتب لي كتاب توصية الى عمه الحاج عبد الغفار في دهلي فضيفني وأكرمني ولقيت النواب صدر الدين المدير لشؤون مدرسة علي جان ومسجده وكان عالماً بالعربية وعلوم الدين فصيح اللسان بالتحدث بلغة الضاد وكان المتحدثون بفصاحة باللغة العربية في ذلك الزمان في بلاد الهند في غاية القلة فرحب بي واستحسن مقصدي وقال لي أن تجولك في بلاد الهند للقاء العلماء والاطلاع على الكتب يحتاج الى أمرين ، أحدهما الدراهم ، والثاني اللغة ، وبدون هذين تتعب كثيراً ولا تحصل على طائل فأنا أقترح عليك أن تمكث عندنا هنا سنة نتعلم فيها شيئاً من اللغة الهندية وتحصل على شيء من المال وفي أثنائها يستفيد من علمك تلامذة مدرستنا فان الطلبة عندنا يدرسون كتب التفسير والحديث والادب العربي نظماً ونثراً بالترجمة الهندية بلغة أردو من البداية الى النهاية ويتخرجون في المدرسة (ولاتقل من المدرسة) ولم يقرع آذانهم كلام باللغة العربية فيعيشون بكما صما يعتمدون على ترجمة الكتب لا على الكتب نفسها فقبلت هذا الاقتراح وأقمت في مدرسة علي جان فأمر النواب صدر الدين المتقدمين في العلم من الطلبة أن يحضروا دروسي فحضر عندي خمسة عشر طالباً لا يزال أحدهم ب قيد الحياة معروف مكانه وهو الشيخ عبد الودود بن عبد التواب الملتاني وقد حج في السنة الماضية عام 1390 ولقيته هنا بالمدينة .

حادثة عجيبة

قلت لأولئك الطلبة ماذا تريدون أن أدرسكم من كتب الادب فقالوا نريد ان تدرسنا ديوان المتنبي فبدأت أدرسهم ووجدت صعوبة في افهامهم لانهم كما قال النواب صدر الدين لم يقرع آذانهم كلام عربى قط وبعد أربعة أيام وصلنا الى بيت من قصيدة للمتنبي يمدح بها سيف الدولة وكانت النسخة التى كنا نقرأ فيها مطبوعة فى دهلى وفيها أخطاء فوجدنا فيها البيت هكذا .

أنا له الشرف الاعلى تقدمه فما الذى يتوقى ما أتى نـال

ففكرت فى معنى الشطر الثانى من هذا البيت فلم أكد أفهمه فلما حضر الطلبة قلت لهم هذا الشطر لم أفهمه وأظن أنه محرف فأنكروا ذلك وقالوا (توبه أستغفر الله) وهاتان الكلمتان تستعملان فى لغتهم عند الغضب والانكار الشديد وقالوا لى ان هذه النسخة التى فى يدك درسنا بها مولانا عبد الرحمن النكرامى مرارا فلم يجد فيها خطأ فيا لله للعجب أنت عربى وأديب وتعجز عن فهم كلام المتنبي مع أن أقل الادباء علما عندنا يدرس ديوان المتنبي بدون مطالعة والآن ظهر لنا صدق ما قال اسناذ الادب مولانا عبد الرحمن النكرامى فقلت لهم وماذا قال قالوا قال لنا اذهبوا الى النواب صدر الدين وقولوا له اننا لا نفهم كلام هذا المدرس العربى ولا حاجة لنا بتدريسه فقلنا له نحن نستحي من النواب أن نقول له ذلك فقال لنا اعلموا أن العرب فى هذا الزمان كلهم جهال لم يبق عندهم من العلم شىء وانما كان عندهم العلم فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وفى زمان السلف الصالح أما اليوم فلا علم عندهم أما ترونهم كل سنة يأتون من مكة والمدينة ويتكفون الناس فهل رأيتم منهم أحدا من أهل العلم؟ يضاف الى ذلك أن هذا العربى - يعينى - شاب مجهول فى الهند لا يعرفه أحد وشهادته لا تنفعكم وأنا لا أعطيكم شهادة اذا تركتمونى ودرستم عنده فقلت لهم ان شئتم أن تحضروا درسى فاحضروا وان رأيتم أن درسى لا فائدة فيه فانصرفوا الى مولانا عبد الرحمن فانصرف أحد عشر منهم وبقي أربعة لا لانهم يعتقدون صحة ما قلت لهم من أن شطر البيت يمكن أن يكون محرفا بل فضلوا سماع الكلام العربى ولو من مدرس قليل العلم وكان أحدهم عبد الودود المذكور فذهبت الى النواب صدر الدين رحمه الله وذكرت

له ما وقع فقال لي أنا أعرف علمك وأعرف علم الشيخ عبد الرحمن النكرامي وقد أردت لهم الخير فإن أبوا فذرهم في ضلالهم وأرجو أن تبقى في مكانك ولو لم يحضر عندك أحد منهم ، بقيت أربعة أيام أفكر في معنى ذلك الشطر فلم أفهمه وقال لي أحد الأربعة الباقين ان الشيخ عبد الرحمن قال للطلبة ان هذا الشطر واضح يفهمه كل أحد حتى الحمار وقد رأيتم صدق ما قلته لكم وفي اليوم الخامس ذهبت الى الشيخ عبد الرحمن النكرامي رحمه الله وأمامه حلقة كبيرة من الطلبة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا شيخ عبد الرحمن لم أفهم هذا الشطر وقد أخبرني الطلبة أنك تفهمه فأفهمني اياه فقال لي كلام لا معنى له فقلت له أعربه من فضلك فبالاعراب يتبين المعنى فقال ما موصولة والذي توكيد لها ويتوقى فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على الاعداء في البيت قبله وما مفعول به وأتى فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على الممدوح ونال خطأ والصواب نالوا فقلت له اذا كانت ما موصولة يكون تقدير الكلام الذي الذي فقال وأي شيء في ذلك فقلت له وفاعل يتوقى اذا كان يعود على الاعداء لم يصح ذلك لان قياس النحو يقتضى أن يكون واوا فيقال يتوقون وليس عندنا ضمير مستتر تقديره هم الا في نحو قولنا الرجال قائمون ففي قائمون ضمير مستتر تقديره هم أما الفعل فلا يقدر فيه من ضمائر الغيبة الا هو وهي فقال لي تريد أن تعترض على المتنبي أنك لا تستطيع ذلك فقد عكف أبو علي الفارسي على ديوان المتنبي يبحث عن خطأ فلم يجده فقلت له أنا أريد أن أعترض ولكن أريد أن أفهم ومع ذلك فالمتنبي غير معصوم من الخطأ فقد عيب عليه أبيات منها قوله :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغر دلائل
فيه التعقيد ، ومن ذلك قوله :

ان كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام
فيه الركافة وقبح البراءة من الاسلام لامر مكذوب يريد به التملق ومن ذلك قوله :

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا فلا قل هم كلهن قلا قل
فيه من الركافة والثقل على اللسان بتكرار حرف القاف ما لا يخفى فأعرض عنى وقال للطالب الذي كان يقرأ عليه (تسالو) يعنى استأنف القراءة فأصابني

من الغم ما الله به عليم ولم أكن قبضت شيئاً من المدرسة وما كان عندي الا
أربع وعشرون روية أى درهما هندياً فعزمت على شراء شرح ديوان المتنبي
للعكبري لأعرف أين يكمن سر عدم فهمي لذلك الشطر أهو في جهلي أم في
الخطأ الواقع في الطبعة الهندية فسألت أحد الطلبة عن لفظ السؤال عن
المطبع المجتبائي بلغة أردو فلقنني إياه فذهبت أسأل الى أن وصلت فسألت
صاحبه عن شرح العكبري لديوان المتنبي فقال لي النسخة الاخيرة اشتراها
منى طالب من مدرسة كذا وكذا فذهبت الى تلك المدرسة ووجدت الطالب الذي
اشترى النسخة فوجدت البيت هكذا :

أنا له الشرف الاعلى تقدمه فما الذى يتوقى ما أتى نالوا
فظهر أننى كنت مصيباً وأن الشطر كان محرفاً والطامة الكبرى كانت
فى زيادة نقطة بلفظ يتوقى الذى هو جار ومجرور فصار يتوقى فعلا مضارعاً
وظهر أن الشيخ عبد الرحمن لم يفهم منه شيئاً فان (ما) التى زعم أنها موصولة
ليست موصولة بل هى استفهامية ويتوقى الذى اخترع له فعلا وجعله ضميراً
مستتراً تقديره هو ليس فعلاً وإنما هو جار ومجرور فنقلت البيت على الوجه
الصواب وما قاله العكبري فى شرحه ومعنى البيت (تقدم سيف الدولة فى
الحروب وهزيمته لأعدائه أكسبه الشرف الاعلى فما الذى ناله أعداؤه
بتوقيهما واحجامهم عن فعل ما أتاه من ذلك ؟ الجواب نالوا الخزي والعار)
فانطلقت الى الشيخ عبد الرحمن النكرامى وهو يدرس وكان لا يفتر عن
التدريس طول النهار فسلمت عليه فرد على السلام وقلت له أيها الشيخ انك
قلت للطلبة ان هذا الشطر يفهمه كل أحد حتى الحمار وقد ظهر أنك لم تفهمه
وناولته الصحيفة وقلت له اقرأ ما قاله العكبري فى شرحه فقرأه ثم ناولنى
الصحيفة وقال للطالب الذى كان يقرأ عليه (تسالو) فهجرتة ثلاثة أيام وهجوته
بقصيدة لا أريد أن أذكر منها هنا شيئاً فكان خيراً منى لانه بعد ثلاثة أيام
بدأنى بالسلام .

التجول فى الهند

بعدها مضت على وصولي الى دهلي ستة أشهر جاء شهر رمضان وهو
وقت تعطيل فى مدارس أهل الحديث بالهند وكنت قد جمعت شيئاً من المال
وكانت عندي نسخة من عون المعبود شرح سنن أبى داود تأليف جماعة من

علماء أهل الحديث منهم شيخنا عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك بوري كما أخبرني هو رحمه الله بذلك ولا تصح نسبته الى شخص واحد وان كان الشيخ شمس الحق العظيم آبادي هو الذي كان ينفق علي أولئك الجماعة زمان تأليفه ويشاركهم في العمل بعته بسبع عشرة ربية فتوجهت من دهلي الى لكانا وفيها لقيت الشيخ محمد بن محسن اليمنى الانصارى فقرأت عليه أطرافاً من الكتب الستة وأخذت عنه الاجازة في جميع مروياته عن أبيه عن آل الاهدل ثم توجهت الى بنارس ولقيت فيها الاديب الشيخ عبد المجيد الحريري الحاصل على شهادة ما جستير من جامعة علي كر فرح بي فرحا عظيما والتمس مني أن أبقى عنده ليستفيد من علمي وعرض علي راتبا أكثر مما كنت آخذه في مدرسة علي جان وتكفل بجميع ما يلزمني من السكنى والمعيشة فوعدته خيرا وتوجهت الى مدينة مو ولقيت العالم الجليل الشيخ محمد أحمد ومنها توجهت الى مبارك بور بقصد لقاء العالم الجليل الورع النبيل خاتمة المحققين في تلك النواحي الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك بوري فأقمت عنده مدة يسيرة قرأت عليه فيها أطرافاً من الكتب الستة وثلاثيات البخارى وعاضدت معه مواضع من كتابه القيم تحفة الاحوذى في شرح جامع الترمذى والتمس مني أن أنظم قصيدة في تقريظها فنظمتها وتركتها عنده فأدرجها في آخر المجلد الرابع وكنت قد طبعت أربع قصائد فى دهلي سميتها الهاديات تقدمت احداها وهى الميمية التى مطلعها (من فاته المصطفى المختار من مضر الخ) ، وسأدرج هنا قصيدة أخرى منها فنقل شيخنا المذكور فى مقدمة تحفة الاحوذى احدى القصائد الاربع وهى تخميس قصيدة حميد القرطبي التى أنشدها القسطلانى فى مقدمة شرحه للبخارى ومطلعها :

نور الحديث مبين فادن واقتبس واحد الركاب له نحو الرضى الندى

الا أنه لم يسمنى بل قال ، وقال بعض الاعلام مخمسا هذه القصيدة، ولقيت منه من الاكرام ما أعجز عن وصفه بل أسأل الله أن يكافأه على ذلك فى جنات عدن مع الذين أنعم الله عليهم مع أنى أدعو له فى كل صلاة ورأيت من زهده فى الدنيا وتواضعه وحسن خلقه ما يفوق الوصف فقد كان يقضى أوقاته كلها فى خدمة العلم تدريسا وتأليفا وافتاء ودعاه الدهلويون حين عزموا على تأسيس دار الحديث فى مكة شرفها الله الى أن يكون رئيسا فيها فأبى ودعاه

غيرهم من أصحاب المدارس فأبى وكان لا يعيش الا مما يكتسبه من العلاج لانه كان طبيبا حاذقا وكان لا يشتغل بالطب الا من بعد صلاة العصر الى المغرب وذكر مناقبه يفضى بي الى التطويل الذى يجعل طبع الكتاب صعبا ولكن لا بد أن أذكر مكرمة له لا أستطيع تركها وذلك أنه حتم على فى تلك المدة أن لا آكل الا عنده ولما عزمت على السفر قال لى لا تسافر فى السكة الحديدية الى مدينة أعظم كرفان ذلك يشق عليك فهنا اثنان من أصحابنا يسافران على عربة تجرها الخيل فى وسط الليل فأردت أن أودعه فقال لى لا بد أن أخرج لوداعك وأصر على ذلك فقام فى نصف الليل وذهب معى الى المكان الذى فيه العربة فوضع فى كفى قرطاسا وضم يدى عليه وقال لى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك زودك الله التقوى ويسر لك الخير أينما توجهت وظننت أن القرطاس ورقة مالية فوضعتها فى يده وضممتهما وقلت له لست فى حاجة فأخذ بيدي الى أن بعدنا عن الرجلين وبكى بكاء شديدا وهو يقول اقبل منى اقبل منى فاقشعر جلدى وندمت على ما فعلت وقبلت تلك الورقة وتأثرت بما رأيته من بكائه حتى انى طلع الفجر صليت الصبح اماما بالرفيقين فبكيت كثيرا فى أثناء القراءة فالله يرحمه رحمة واسعة وهذه القصيدة التائية فى صفة رحلتى من المغرب الى الهند .

خليلى عوجابى الى كل ندوة
ولا تقربا بى مجلس الراى أنه
على مجمع فيه كتاب الهنا
لدى ثلة قد نور الله قلبهم
فصانوا كتاب الله جل جلاله
وردوا افتراء الخلف من ضل سعيهم
وأصلوهم حرب الفرنج بهمة
اليهم أجوب البر والبحر آويا
واقبس من أنوارهم علم سنة
وأبعد عن أهل البدائع والخناس
وليس مرادى غربة البعد والنوى

بها قول خير الرسل يروى بقوة
ضلال يحط التابعة بهوة
يفسر تفسيراً بعلم وحكمة
وخصهم بالهدى أفضل نعمة
عن اللغو والتحريف أسوأ بدعة
وقد فرقوا من شؤمهم خير شرعة
كسيف صقيل فى مضاء ولمعة
لانظر من فازوا بنور ونظرة
وذلك قصدى فى اغترابى وهجرتى
وأدرك روحا من عنائى وغربتى
ولكنها فى الدين أعظم كربة

ولما أبان الله لي نور دينه
أولئك قوم بدلوا الدين بالردى
وأبغضنى الاقوام حين نبذتهم
وقد قلبوا ظهر المجن وخشنت
وقد زعموا هجرى وشتمى قربة
وقد جزموا أنى أموت على الردى
أمانى حمق تضحك التاكل التى
نبذتهم نبذ النوى وتركتهم
وما لي ولى أو رفيق مصاحب
عليه اعتمادى لا على أحد سوا
وما أطلب المال الذى هو زائل
سفرت الى مصر لاخبر خبرها
ومن قبل قد أخبرت أن فى ربوعها
وصلت فلم ألقى سوى أهل بدعة
سمعت بها الالحاد يدرس جهرة
رأيت بها الاوثان تعبد جهرة
ويدعون دون الله من لا يجيبهم
لها جعلوا قسما بمال والدة
حشا ثلثة مستضعفين رأيتهم
وهم صبر مستمسكون بدينهم
وما صدهم ايذاؤهم عن جهادهم
أقمت بها عاما الى الله داعيا
يعدون بالآلاف باليرمون كل
ومن بعد ذا سافرت للحج راجيا
فأنتمته والحمد لله سائلا
وكنا سمعنا أن بالهند فرقة
فقلت عسى منشودتى عندهم ترى
بلغت فألفيت المخبر صادقا

وانقذنى من طرق أصحاب خرفة
وقد مرقوا من هديه شر مرقة
وملت الى قفو الكتاب وسنة
صدورهم لي واستعدوا لمحتى
وكل جليس لي سيردى بسرعة
وأخذ فى النيران من أجل رجعتى
بواحد سارت ركاب المنية
وهاجرت كى أحظى بسؤلى ومنيتى
ولا ناصر الا اله البرية
ه فهو قدير أن وجود ببغيتى
سوى بلغة لا بد منها لختلى
وأنظر هل فيها شفاء لغلتى
رجال لنصر الدين أصحاب شدة
وشرك والحاد وشك وردة
بجامعة للشر مع كل فتنة
قبورا عظاما ناخرات أجنحت
وهم عن دعاء القوم فى عظم غفلة
فلا عاش من قد ظنهم أهل ملة
تسومهم الاعداء سوء الأذية
ويدعون ما اسطاعوا لبيضا نقيه
لانهم أهل النفوس الابية
فأرشد رب الناس قوما بدعوتى
هم أهل اخلاص وأهل فتوة
قبولا من الله الكريم لحجتى
من الله يهدينى سواء المحجة
على السنة القرا بصدق وحجة
وهزتنى الأشواق أية هزة
وشاهدت سنات تجلت بعزة

قد اخترت دهلي للاقامة انها
 وقد شفيت نفسي وزال سقامها
 فلا تسمعن فيها سوى قال ربنا
 لقد مثلوا خير القرون لناظر
 امامهم خير الائمة كلهم
 بلاد علوم الدين فيها تسمت
 غداة رأت عيني مساجد سنة
 وقال رسول الله خير البرية
 بقول وفعل واجتهاد ونية
 عليه من الرحمن اذكى تحية

تـــهـــت

السيد سليمان الندوي

السيد سليمان من اكابر علماء الهند ورؤسائهم في ذلك الزمان وكان
 يدبر شؤون مؤسستين عظيمتين احدهما دار المصنفين التي أسسها هو بنفسه
 واختار نخبة من ذوى الكفاءة والمقدرة على تصنيف الكتب وطبعها ومن أهمها
 التاريخ الذى بدأ تأليفه استاده الشيخ شبلى النعمانى واستمر هو فى تكميله
 وهو من أحسن كتب التاريخ حسب ما شهر بذلك عند علماء الهند وأنا لسم
 أقرأه لانه بلغة أردو ومعرفتى بها ضعيفة ، والمؤسسة الثانية كلية ندوة العلماء
 التى تخرج فيها هو وغيره من الادباء والعلماء وقد أسسها قبل ذلك بزمان
 طويل ثلاثون رجلا من كبار علماء الهند ووضعوا لها مناهج الدراسة ليتخرج
 فيها رجال قادرين على الدعوة الى دين الحق الاسلام ولا تزال هذه المؤسسة
 سائرة فى طريقها الى الآن وعلماؤها حنفيون كأكثر علماء الهند وكان ساعد
 السيد سليمان الايمن فى تدبير شؤونها الدكتور عبد العلى رحمة الله عليه
 والذى يتولى تدبير شؤونها فى الوقت الحاضر هو تلميذى الاستاذ أبو الحسن
 على الندوى أخو الدكتور عبد العلى وهو مشهور فى البلاد العربية بتأليفه
 وخطبه التى ألقاها فى أمهات البلدان العربية . أقمت عند السيد سليمان
 الندوى أياما كنت ضيفة فيها وأكرمنى غاية الاكرام ثم توجهت الى بهريا للقاء العالم
 الاديب الشاعر البليغ الشيخ عبد الحميد الفراهي وكانت له مدرسة كبيرة
 يعلم فيها علوم الاسلام واللغة العربية ففرح بى وأكرمنى والتمس منى أن
 أكون مدرسا فى مدرسته وعرض على راتبيا مع السكنى والمعيشة فاعتذرت
 له بأنى وعدت الشيخ عبد المجيد الحريرى فى بنارس أن أقيم عنده ثم سافرت

الى كلكتا وهي قاعدة بلاد بنكال ولقيت بها نابغة الهند فى العلم والادب والسياسة ابا الكلام آزاد فرحب بى وبقيت فى ضيافته بالحاح منه خمسة عشر يوما وكان له كاتب اسمه عبد الرزاق المليح آبادى هو الذى يحرر صحيفة عربية كان ينشرها ابو الكلام فالتمس منى ابو الكلام أن أنشر فيها ما يتيسر من المقالات فنشرت فيها ثلاث مقالات فى أخبار البربر وأحوالهم ولغتهم وكان أبو الكلام لا يفرق بين البربر الذين هم أمة عظيمة فى المغرب تمتد الاراضى التى يسكنونها من حدود مصر شرقا الى حدود سنغال غربا وتشتمل على ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا كما تسمى هذه البلدان فى هذا الزمان لا يفرق بين هذه الامة وبين سكان بربرة فى السودان فأخبرته بالفروق الكثيرة التى بين الفريقين واهتم بذلك كثيرا ، فان قيل ان الناس فى المشرق العربى يعتقدون أن هذه البلدان عربية فكيف جعلتها بربرية فالجواب أن سكان هذه البلدان الاصليين هم البربر وقد نزع اليها العرب فى أول الفتح الاسلامى وفى القرن السادس الهجرى كما فى مقدمة بن خلدون عند ذكر بنى هلال وبنى عامر وهؤلاء العرب النازحون عددهم قليل جدا بالنسبة الى السكان الاصليين ولكن الاسلام وحد بينهم وجعلهم أمة واحدة لا فضل لاحد الفريقين على غيره الا بتقوى الله وبطول الزمان انتشرت اللغة العربية فى هذه البلدان فصارت أكثر الحواضر تتكلم بها وعلى هذا يصح أن نسميهم عربا مستعربة ولكن الى هذه الساعة لا يزال نحو نصف سكان هذه البلدان يتكلمون بالبربرية والخطب فى ذلك سهل فان البربر من الشعوب التى خرجت من جزيرة العرب قبل زمان سحيق فى القدم ونحن معشر طلبة علم اللغات لانشك فى ذلك كما أن الواحد نصف الاثنيين ولذكر الادلة على ذلك مقام آخر ، وكان عبد الرزاق المليح آبادى زنديقا وكان يعظم جمال الدين الافغانى ويزعم أنه كان ملحدا ولا يعظم رفيقه محمد عبده ولا صاحبه السيد رشيد رضا لانهما بزعمه لم يفهما فلسفته لانها أعلى من مستواهما وقد جادلته فى ذلك وكثير من الناس فى هذا الزمان يرون هذا الرأى ولكن أقرب الناس اليه محمد عبده ورشيد رضا يشهدان بأنه مؤمن وكتبه التى ألفها وخصوصا رسالته فى الرد على الدهرية لا تبقى شكاً فى أنه كان من المؤمنين ومن أعجب ما سمعته من عبد الرزاق المليح آبادى أننا كنا نتجادل فى تارك الصلاة أهو مسلم أم كافر واستعرضنا أدلة العلماء وخلافهم

فى ذلك فقال لى عندى دليل قاطع لا يعرفه العلماء الذين ذكرت على أن تارك
 الصلاة مؤمن فقلت وما هو فقال لى هو أنا لاننى لا أصلى ومع ذلك لا أشك فى
 أننى مسلم ، ثم رجعت الى بنارس وأقمت عند الشيخ عبد المجيد الحريرى
 ضيفا مكرما واستاذا محترما مدة ثلاثة أشهر ثم سافرت الى عظيم آباد ولقيت
 الشيخ ادريس بن شمس الحق فأطلعنى على خزانة كتب والده وأكرمنى وزر،
 خزانة كتب خدا بخش بتلك المدينة فرأيت فى الخزانتين كتبا نفيسة منها
 كتاب الاستذكار شرح الموطأ لابن عبد البر ومنها كتاب الاحكام الكبرى لعبد
 الحق الاشبيللى ثم سافرت الى لكناو ونزلت عند الشيخ خليل بن محمد بن حسين
 بن محسن الحديدى الانصارى اليمنى فرح بى وأكرمنى وأخبرته بانى أريد
 لقاء والده الشيخ محمد حسين فى بهوبال فكتب الى والده بذلك فأجابه بأنه
 يستحسن أن أنزل فى ضيافة ملكة بهوبال وقصد بذلك اكرامى فقال لى الشيخ
 خليل ابعث برقية الى الكولونيل عبد القيوم أمير الضيافة فبعثها اليه وركبت
 القطار فى الدرجة الثالثة التى كنت دائما أسافر فيها لان أجرة الركوب فيها
 رخيصة ولو ركبت الدرجة الثانية لما أمكننى أن أرى الا قليلا من البندان وأنا
 شاب لا يهمنى تحمل المشقة فلما وصل القطار الى محطة بهوبال كانت سيارة
 ملكية تنتظرنى أمام عربات الدرجة الثانية فلم يجدنى فيها الكولونيل عبد
 القيوم فبحث عنى فوجدنى من ركاب الدرجة الثالثة فرحب بى وركبت السيارة
 الملكية ووصلت الى دار الضيافة ووجدت أثاثها فى غاية الفخامة والزينة ثم
 توجهت الى شيخنا محمد بن حسين بن محسن فى بيته فرح بى كثيرا وبدأت
 أذاكره فى علم الحديث وكنت ألامه فى كل وقت الا فى أوقات الطعام فانى
 كنت أذهب الى دار الضيافة وأقمت على ذلك خمسة أيام وعينت لى الملكة يوما
 لزيارتها وقبل ذلك اليوم بيوم واحد جاءنى الكولونيل عبد القيوم فقال لى ان
 الملكة تسلم عليك وتعتذر عما وعدت به من اللقاء وقد أمرتنى أن أنقلك من دار
 الضيافة الى بيتى وأكون فى خدمتك مدة اقامتك فى بهوبال فقلت له أهملنى
 حتى أخبر بهذا شيخنا محمد بن حسين فركبت معه السيارة الى بيته فوجدته
 قد عرف الخبر وقال لى انى حين طلبت من الملكة أن تكون ضيفها لم أفعل ذلك
 بخلا ولا عجزا وانما أردت اكرامك واکرام العلم الذى أنت طالبه ولكن أعداءنا من
 منعصبة الخنيصة ذهبوا الى الملكة وقالوا لها ان هذا الرجل العربى الذى فى

ضيافتك ليس من سكان جزيرة العرب بل هو مغربي ومن الشروط التي شرطها عليك الانكليز أن لا تجتمعى بأى شخص ينتهى الى دولة أجنبية ولا يخفى عليك أن المغرب تابع للدولة الفرنسية ففي لقائه خطر عليك وقال الشيخ للكونيل عبد القيوم جزاك الله خيرا على استعدادك لضيافة محمد تقى الدين الهلالى وجزى الله الملكة خيرا على قصدها الحسن واکرامها لاهل العلم وجزى الله الوشاة شرا فهذا الرجل محمد تقى الدين طالب علم لا علاقة له بأى دولة الا أن بلده المغرب تسلطت عليه دولة أجنبية ففرضت عليه حمايتها كما فرضت بريطانيا حمايتها على بهوبال وبقيت عنده خمسة عشر يوما ثم سافرت قافلا الى لكانا فزرت خزانة كتب الشيخ عبد الحى اللكاناوى العالم الحنفى المشهور فى التأليف الكثيرة فى الحديث والفقه باللغة العربية فوجدت فيها كنزين ثمينين أحدهما خمسة أسفار من مصنف ابن أبى شيبة وأول ما وقع بصرى فيه عليه حديث موقوف رواه ابن أبى شيبة بسنده الى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سئل عن الخوارج أكفارهم فقال لا من الكفر فروا والكنز الثانى هو كتاب التقاسيم المعروف بصحيح ابن حبان وكلا الكتابين لم يطبع الى الآن فيما علمت ومن لكانا سافرت الى دهلى ثم الى بومباى بقصد الرجوع الى المغرب مارا بالعراق فالشام فمصر ووصلت الى مدينة بومباى فنزلت عند العالم الصالح الشيخ شرف الدين الكتبى رحمة الله عليه وأقيمت فى بومباى شهرين دخلت فى أثنائها المستشفى وأجرى لى عمل جراحى غير ناجح فى عيني اليسرى وكان الشيخ شرف الدين رحمه الله فى تلك المدة يغمرنى ببره واحسانه .

لقاء الشيخ مصطفى آل ابراهيم

بينما أنا جالس فى مكتب الشيخ شرف الدين رحمه الله اذا بشاب أقبل فى سيارة فخمة وكانت السيارة فى ذلك الزمان قليلة ودخل المكتب وعليه بزة فاخرة من الثياب وروائح العطر تفوح منه وهو شاب فى الثانية والعشرين من عمره فقام له الحاضرون كلهم وعظموه وتنافسوا فى التقرب اليه واطلاعه على ما طبع حديثا من الكتب أما أنا فبقيت جالسا على كرسي أطالع فى كتاب ولم أعبأ بمجيئه فلما جلس واطلع على ما جد من الكتب سأل الشيخ شرف الدين وكان يعلمه الادب العربى عن قوله تعالى وامراته حمالة الحطب على أى شىء

نُصبت حمالة مع أن الظاهر يقتضى أن تكون مرفوعة لأنها صفة لامرأته فقال الشيخ شرف الدين أنا لا أجيبك بحضور الاستاذ محمد تقى الدين الهلالي لأنه أعلم منى بالجواب فحينئذ سلم على الشيخ مصطفى وسألنى عن حالى وبلدى فأخبرته أنى من المغرب فقال لى ما تقول فى جواب السؤال الذى سمعت فقلت له هذه الكلمة ترفع وتنصب ورفعها ونصبها قراءتان سبعيتان أما الرفع فواضح وأما النصب فبفعل محذوف وجوبا تقديره أذم فطلب تفسير البيضاوى فوجد الامر كما ذكرت له فأعجبه ذلك واستمر يسألنى عن مسائل مختلفة مدة ساعة ثم قال للشيخ شرف الدين أتريد أن تركب معى لاوصلك الى بيتك قال نعم وفى صباح الغد قال لى الشيخ شرف الدين ان ذلك الشاب الذى كان هنا أمس سألنى عنك فأخبرته أنك تريد السفر الى العراق ثم الى الشام ثم الى مصر ولكن السفارة الانكليزية رفضت اعطاءك سمة الدخول للعراق لان بريطانيا كانت فى ذلك الوقت فى نزاع مع الحكومة التركية على لواء الموصل فكانت لا تأذن لاحد فى زيارة العراق الا اذا كان معروفا عندها بولائه لها فقال له الشيخ مصطفى قل له أنا أستطيع أن آخذه الى العراق بدون جواز فان شاء أن يقيم عندنا بالبصرة لنستفيد من علمه فذلك ما نبغى وان أراد السفر الى الشام أو مصر سهلت له طريقه الى أن يصل الى مقصوده فقلت للشيخ شرف الدين أنا موافق كل الموافقة وبعد ذلك ببضعة أيام كنت سائرا فى أحد شوارع بومباى يرافقنى عبد الله بن قاضى شقراء وهى بلدة مشهورة فى نجد فمر بنا الشيخ مصطفى آل ابراهيم فى سيارته فوقف ونزل من السيارة وأقبل على وصافحنى وسأل عن الحال ببشاشة وقال لى هل أخبرك الشيخ شرف الدين بما اقترحت عليك فقلت نعم وأنا موافق على ذلك فعين لى يوم السفر وقال لى فى صباح اليوم الفلانى أجدك فى مكتب الشيخ شرف الدين ثم رجع الى سيارته وركبها فقال لى عبد الله يا عجا كيف عظمك الشيخ مصطفى آل ابراهيم كل هذا التعظيم وعندنا هنا الشيخ عبد الرحمن القصيبى وهو مثله فى الغنى والجاه لو رأى وهو فى سيارته عالما من علماء نجد ثم دعاه ليكلمه وهو جالس فى سيارته لا قبل ذلك العالم يسعى اليه فرحا مسرورا فحكيت له قصة لقائى للشيخ مصطفى وأنى حين جاء لم أقم له ولم أهتم به فلذلك عظمنى وقلت له ان من عادتى أن لا أعظم غنيا الا اذا كنت أستفيد من غناه بخلاف ما عليه أكثر

الناس الذين يعظمون الاغنياء وان كانوا يعلمون أنهم لا ينفعونهم بشيء كما قال ابن دريد في المقصورة .

عبيد ذى المال وان لم يطمعوا من ماله فى شربة تروى الصدى
وقال غيره :

ان الغنى اذا تكلم بالخطا
واذا الفقير أصاب قالوا كلهم
ان الدراهم فى الاماكن كلها
فهى اللسان لمن أراد فصاحة
وقال غيره :

يمشى الفقير وكل شيء ضده
وتراه ممقوتا وليس بمذنب
حتى الكلاب اذا رأت ذا غنية
واذا رأت يوما فقيرا ماشيا
والناس تغلق دونه أبوابها
ويرى العداوة لا يرى أسبابها
أصغت اليه وحركت أذناها
نبحت عليه وكشرت أنيابها
وأقوال الشعراء فى هذا المعنى كثيرة أكتفى بهذا القدر .

السفر الى العراق فى الباخرة

لما حان وقت السفر جئنى الشيخ مصطفى فتوجهنا الى المرسى لتركب
الباخرة الى البصرة فقال لى ان عندى سبعة من الخدام وقد بعثت أحدهم مع
السفن الشراعية التى لا يحتاج راكبها الى جواز فاذا صعدت سلم الباخرة وسألك
الانكليزى ما اسمك فقل اسمى حسن الحنيان فقلت له عفوا أنا لا أكذب فضحك
كثيرا وقال لى أنت عربى تريد أن تسافر الى بلد عربى وقد منعك الانكليز من
حقك فأى حرج عليك اذا كذبت عليهم لتتوصل الى حقا فقلت له لم ينشرح
صدرى لذلك فقال لى هل تستطيع أن تسكت اذا سألك الانكليزى فقلت نعم
فقال اذا سألك الانكليزى فاسكت وأنا أجيب عنك فلما صعدنا السلم تقدم هو وأنا
خلفه فسألنى الانكليزى ايش اسمك فسكت فقال الشيخ مصطفى اسمه حسن
الحنيان فدخلت الباخرة وفى مساء ذلك اليوم قال لى هل قلت شعرا فقلت
نعم فقال لى هل تستطيع أن تشطر هذه القصيدة وهى لشوقى مطلعها .
خدعوها بقولهم حسناء والفوانى يغرهن الشاء

فأعطاني القصيدة مكتوبة فانصرفت الى منزلى وشطرتها فى تلك الليلة
وسأدرجها مع التشطير هنا لانى أشعر أن بعض قراء هذا الكتاب ان لم نقل
كلهم ، يحبون الاطلاع عليها والشطور المزيده بين قوسين ونصها .

(وامتداح الكواعب استهواء)	خدعوها بقولهم حسنا
والقوانسى يفرهن الشفاء	(فرنت للوصول بعد نفور)
(ان تفانت فى حبا العظماء)	ما تراها تناست اسمى لما
كثرت فى غرامها الاسماء	(والتناسى شأن الخريد اذا ما)
(يلف لى فى فؤادها استيلاء)	ان راتنى تصدعنى كأن لم
يك بينى وبينها أشياء	(لاشفانى وصالها اليوم ان لم)
(لفؤادى العليل هو الشفاء)	نظرة فابتسامه فسلام
فكلام فموعد فلقاء	(ثم رد فبث شكوى بعاد)
(لا وشاة تخشى ولا رقباء)	يوم كنا ولا تسل كيف كنا
تنهادى من الهوى ما نشاء	(فخلعنا العذار ثم جعلنا)
(أن تدنس وصلنا فحشاء)	وعلينا من العفاف رقيب
تعبت فى مراسه الاهواء	(يقظ ليس يعتريه منام)
(وعلى وجهها بدا استحياء)	جاذ بتنى ثوب العصى وقالت
أنتم الناس أيها الشعراء	(لكم ذلت الصعاب جميعا)
(فلکم فى اصطيادهن دهاء)	فاتقوا الله فى خداع العذارى
فالعذارى قلوبهن هواء	(لا تصيدوا الابكار بالشعر ختلا)

وقد سهل على تشطير جميع أبيات القصيدة الا بيتا واحدا وهو قوله ،
نظرة فابتسامه فسلام ، فكلام فموعد فلقاء ، فان هذا البيت تظمن أمورا ستة
لا يمكن الفصل بينها لان بعضها فى الواقع مترتب على بعض ولم أكن أفهم
ذلك حتى سافرت الى أوروبا وأقمت فيها مدة فرأيت ذلك واقعا كل يوم فى
المنتزهات والمطاعم والمقاهى والشوارع والركبات العامة وقطر سكك الحديد لان
العفاف عندهم معلوم فأول ما يتقابل رجل وامرأة فيحديق بعضهما فى بعض
ان كانت المرأة لا رغبة لها فى الرجل تصرف بصرها وان كانت لها فيه رغبة

تتسم له فيتجراً هو حينئذ على أن يحييها فترد عليه فيبدأ الكلام حتى ينتهي الى الموعد باعطاء كل منهما رقم تليفون صاحبه فيعقب ذلك اللقاء ولا يكون اللقاء كما قال شوقي في قصيدته لان المتحابين هناك لا رقيب عليهم من عفاف ولا من غيره ومن المعلوم أن شوقي درس في فرنسة وشاهد ذلك بعينه فعبر عنه بذلك البيت ومن المزايا التي يختص بها شعر شوقي أنه جمع بين الافكار الاوروبية والافكار العربية ونسق هذه الافكار كلها ووحدها حتى امتزجت الى حد أنه لا يستطيع التمييز بينها الا من خالط العالم العربي والعالم الاوروبي هذا مع المحافظة التامة على الاسلوب العربي البليغ الذي لا تشوبه شائبة من ركاكة المقتبسات الاعجمية واذا قارنت بين شعر أحمد شوقي وبين شعراء معروف الرصافي وهو لا يقل عن شوقي في بلاغة شعره تجد الفرق بينهما واضحا فان شعر الرصافي ليس فيه الا أفكار عربية شرقية بخلاف شعر معاصره أحمد شوقي .

الوصول الى الدورة

لما وصلت الباخرة في النهر المسمى شط العرب وهو مؤلف دجلة والفرات الى مكان بازاء ممتلكات الشيخ مصطفى آل ابراهيم وهي كثيرة ممتدة على الجانب الايمن من شط العرب أميالا كثيرة طلب من ربان الباخرة أن يوقف له الباخرة لينزل هو وأصحابه ويركب قاربا يوصله الى قصره في الدورة فقبل الربان الانكليزي احتراما له لانه كان يعامل معاملة الامراء لانه كان من كبار الملاكين فنزلنا في قوارب وسارت بنا الى الدورة فلما وصلت القوارب الى فرع شط العرب الذي يوصل الى الدورة وجدنا أهل القرية كلهم في استقبال الشيخ مصطفى وكان الطريق ضيقا بين البساتين والنهر فقدمني امامه فأردت الامتناع فأشار الى اشارة فقبلت وسار هو خلفي وأهل القرية كلهم خلفه وتعجبت من ذلك كثيرا لانني شاهدت هذا المنظر لأول مرة فان العادة عندنا في المغرب قلما تجرى بذلك فلما وصلنا الى القرية قدمني أيضا في التوجه الى المقصورة التي وضعت فيها الاطعمة فلما صلينا العصر سألته عن ذلك فقال لي أنا لا أبقى هنا دائما فاني تارة أكون هنا وتارة أسافر الى بومباي لاكون عند عمي قاسم آل ابراهيم وهو من تجار اللؤلؤ المشهورين ، وانما قدمتك

ليرى ذلك أهل القرية فيعظموك في غيبتي وحضورى ويعلموا أنك أستاذى
 فشكرته على ذلك وعرض على الإقامة عنده فقبلت وجعل لى راتبا طيبا جدا مع
 السكنى والمعيشة على أحسن وجه وأخذت ألقى دروسا فى علم الادب عليه وعلى
 جماعة من الطلبة وأعلم الشباب فى مدرسة أنشأها وألقى دروس وعظ فى
 المسجد ولما توجهنا الى المسجد للصلاة قال للامام والمؤذن كل ما أمركما به الاسناد
 محمد تقى الدين الهلالى فامتتلاه فممنعتهم من جميع البدع وأمرت الناس باتباع
 السنة ومنها الصاق القدم بالقدم عند القيام للصلاة فامتثل الناس الامر الا
 رجلا شيخا من أقاربه كان فيما مضى وكيفا لوالده الشيخ يوسف آل ابراهيم
 على تلك القرية يدبر أمر الحواصل من الغلات فيعطى الفلاحين حقوقهم والباقي
 يكون بيده يأخذ منه نفقة (السركار وهى كلمة هندية) معناها رأس العمل
 والمقصود بها هنا النفقات العامة لمن فى القصر من العيال والخدم والضيوف وما
 فضل عن ذلك يبقى بيده فهذا الرجل لم يقبل ما أمرتهم به من اتباع السنة وبدأ
 يحاربنى فمن ذلك أننى أمرتهم بأن يجعل المؤذن بين أذانه واقامته وقتنا كافيا
 لمجئ المصلين واستعدادهم للصلاة وكانت العادة جارية عندهم بأن المؤذن
 اذا نزل من أذان المغرب يقيم الصلاة فى الحين فلما رأى ذلك الشيخ المؤذن
 اذن لصلاة المغرب وجلس ينتظر أن أمره بالإقامة لاني اذا حضرت كنت أتقدم
 اماما للصلاة بهم غضب غضبا شديدا وقال لى يا شيخ المغرب غريب وقته ضيق
 فقلت له ليس الامر كما توهمت والوقت هو واسع وفى الصحيحين عن ابن
 عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر فى أول وقت العصر
 ثماني ركعات جمع تأخير وصلى المغرب والعشاء فى أول وقت العشاء سبع
 ركعات جمع تأخير هذا معنى الحديث فقيل لابن عباس ما أراد بذلك قال أراد
 أن لا يخرج أمته على أننا نحن لا نؤخر الصلاة الا بضع دقائق ، وأخرج الترمذى
 والحاكم عن جابر وله شواهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال
 اذا أذنت فترسل واذا أقمت فاحذر واجعل بين أذانك واقامتك مقدار ما يفرغ الآكل
 من أكله وهذا الحديث وان كانت طرقة ضعيفة فانها بتعددتها تنهض حجة قال
 شارح بلوغ المرام ويقويها المعنى الذى شرع له الاذان فانه نداء لغير الحاضرين
 ليحضروا الصلاة فلا بد من تقدير وقت يتسع للتأهب للصلاة ، فقال لى لا حول
 ولا غوة الا بالله وهو يتكلم بلغة عامة أهل الكويت يبدلون القاف غينا هذه

صلاة سعودية لا فرض ولا نية الا الخوف من الخيزرانية فقلت له بل هي صلاة
محمدية ذات قصد ونية والمتبعون للرسول صلى الله عليه وسلم لا يحتاجون
الى خيزرانية وغيرهم لا نبالي بهم فقال لى يا غريب كن اديب فقلت له أنا لست
غريبا لاننى عربى فى بلاد العرب وان كان أسلافى قد نرحوا الى المغرب فان
حقى لا يزال ثابتا فى بلادى الاصلية فقال لى روح الى المغاربة واهداهم فقلت له
هذه دعوى جاهلية فان الله تعالى لم يقل ذلك بل قال لنبىه صلى الله
عليه وسلم «قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن» ولم يحدد
للدعوة زمانا ولا مكانا ولما أمرتهم بالصاق القدم بالقدم كما فى حديث أنس
كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنا بتسوية الصفوف فكان أحدا يلزق
قدمه بقدم من يليه ويحاذيه بركبتيه ومنكبته ولو فعلت ذلك بأحدهم اليوم
لنفر كأنه بغل شמוש فكان الناس يمثلون ويلصقون القدم بالقدم وكان ذلك
الشيخ اذا أراد أحد أن يلصق قدمه بقدمه رفسه بقدمه وسبه وقال لى مرة ان
النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يأمر بهذا لان الرجل اذا ألصق قدميه
بقدم من يليه يفحش ويدش الشيطان فى دبره فقلت له هذا خيال باطل فكيف
ترد به سنة النبى صلى الله عليه وسلم وقوله يفحش يعنى يتسع ما بين
قدميه ويدش بمعنى يدخل وقلت له ان الشيطان ليس له سلطان على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
كما قال الله تعالى فى سورة النحل ، وكنت أصلى بهم الجمعة فأزلت البدع
التي كانوا يعملونها فى يوم الجمعة فغضب الشيخ غضبا شديدا وقال هذا
تبديل للدين من يوم خلقنا الله لم نزل نرى العلماء ما رأينا أحدا منهم أنكر
هذه الامور فقلت له ان العلماء يخطئون ويصيبون ويمنعهم الجبن فى بعض
الاحيان والضعف والعجز فى أحيان أخرى من انكار البدع ولما جاءت صلاة
العصر وذهبت أتقدم للصلاة اماما أخذ بطرف عباتى وقال لى ، (ما حد بييك)
معناه لا يريد أحد أن تصلى اماما فوضع الشيخ مصطفى يده برفق على يد الشيخ
وقال له يا سيدى الوالد أرجوك أن تتركه يصلى فقال كذا يا مصطفى تفضل
المغربى على والدك أو قال على أبيك فقال الشيخ مصطفى لا يسيدى أنا ما فضلته
ولكن الله فضله لانه عالم ونحن جهال فقال الشيخ (زين على شان خاطرك
أخليه يصلى) معناه سأتركه يصلى اماما ارضاء لك ولم يكن عند أولئك القوم

شرك ظاهر أعنى أهل السنة منهم وهم قليل وأكثر سكان القرية من الشيعة ولكن كان فيهم جمود على التقليد والتعصب للمذهب مع جهلهم فالتعصبون للمالكية غضبوا بسبب تركى القنوت فى صلاة الصبح والمؤذن كان شافعيًا فلما رآنى قررت فى الدرس أن أبول ما يؤكل لحمه ظاهر غضب وقال فى غيبتى اذا كان بول البقرة عنده ظاهر فليشربه فقلت له فى أثناء الدرس يأملا أحمد والملا ، كلمة فارسية يوصف بها أهل العلم كالفقيه عند العرب أو الشيخ قلت له ما حكم المخاط فى مذهبك أهو طاهر أم نجس فقال طاهر ثم قلت له ما حكم الاوساخ طاهرة أم نجسة قال طاهرة فقلت له فاشرب المخاط وكل الاوساخ فقال لى يا شيخ لا يليق بمثلك أن يخاطب أحدا بمثل هذا الكلام فقلت له أنت بدأت بما هو أقبح من هذا والبادئ أظلم وجزاء سيئة سيئة مثلها وأنا تكلمت بالعلم وأنت تكلمت بالجهل وذكرت الادلة على طهارة ما يؤكل لحمه .

مناظرة بين المؤلف وبين مجتهد الشيعة فى المحمرة

لما استقررت فى الليرة أردت أن أجمع مع بعض علماء الشيعة بعدما قرأت شيئًا من كتبهم ووجدت فيها عجائب وغرائب فاتفقت مع أحد الفلاحين وهو الحاج غلام حسين ومعنى غلام حسين أى عبد الحسين والشيعة يسمون عبد على وكتب على وعبد الزهراء وعبد الامير وأمثال ذلك من الاسماء الشركية ومن أغرب ما وقع لى فى ذلك أننى سافرت من جدة الى بومباى كما تقدم ورأيت الحجاج يقتتلون على الماء فاستجرت شابا فارسيا يأتينى بالماء من مستقى الباخرة من جدة الى بومباى برييتين أى درهمين هنديين اسم ذلك الشاب عبد على فكنت أتجاهل اسمه وأناديه يا عبد العلى فيغضب ويقول (عبد العلى نا) ونا بالفارسية هى حرف النفى ترادف لا بالعربية ثم يكرر عبد على عبد على فاذا نسبته الى الله العلى يغضب ويريد أن ينسب الى العبد وهو على : سافر معى غلام حسين الى المحمرة وهى على الجانب الشرقى من شط العرب وقد انتزعتها الدولة الفارسية التى تسمى فى هذا الزمان ايران من الامير الشيخ خزعل الذى كان يحكم تلك الناحية وسكانها عرب من بنى تهيم وألحقها بمملكته فقلت لغلام حسين اختر لى عالما من علمائكم أزوره لا يكون متعصبا فقال لى أفضل علمائنا فى هذا

البلد هو الشيخ عبد المحسن الكاظمي فقصدناه في الحسينية والحسينية مبنى للشيعة يجتمعون فيه لقراءة قصة مقتل الحسين رضى الله عنه وقصة حرب علي مع عائشة وطلحة والزبير في وقعة الجمل وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وهذا الشيخ من الاثنا عشرية الاخباريين فان الاثنا عشرية فرقان فرقة اخبارية وفرقة اصولية فالاخبارية يعتمدون على ما روى من الاخبار وان كان مخالفا للقياس والاصول وآراء فقهاءهم ، والاصولية بعكسهم يعرضون المرويات على الاصول والاخباريون يصلون الجمعة والجماعة خلاف الاصوليين فانهم لا يصلون الجمعة ولا جماعة فلما دخلت على الشيخ عبد المحسن قام لى وصافحنى وأجلسنى بقربه وكان الحاضرون كثيرا يقدر عددهم بثلاثمائة فقال أحدهم للروضخون وهم ينطقون بالضاد زايا والروضخون هو الذى يقرأ لهم قصة الحسين وقصة عائشة مع علي قال له عجل بقراءة القصتين نريد أن نسمع كلام العالمين لانهم من عادتهم أن يقرأوا القصتين فى ضحى يوم الجمعة وحثه على أن لا يطول وسيتبين لك مقصوده بذلك فصعد الروضخون المنبر وبدأ يقرأ فى قصة الحسين فلما بلغ مقتله وما صنع به أعداؤه وضعوا طيا لسهم على وجوههم وأخذوا يكون ويتباكون رافعين أصواتهم وا حسينا وا أبا عبد الله والظاهر أن بكاءهم كان كاذبا وانما هو تصنع لان هذه القصة يسمعونها فى كل أسبوع مرارا فقلما تؤثر فيهم ولما فرغ من قصة الحسين شرع فى قصة عائشة وذكر أنها بعثت رسولها الى البصرة الى علي وقالت له انه سيعرض عليك طعامه وشرابه فاياك أن تأكل من طعامه أو تشرب من شرابه فان فيه السم فلما سمع ذلك الحاضرون قالوا بصوت عال ونغمة تدل على الحقد (لا يا ملعونة) وأخذوا يكررونها فى كل فقرة يسمعونها فاستعجل بعض الحاضرين الروضخون وقال له اختتم نريد أن نسمع كلام العالمين ففضب الروضخون وقال قد اختصرت القصتين وما ذكرت الا ربهما ولما فرغ القاص أخذت أتحدث مع الشيخ بالحديث التالى : حسب ما بقى فى ذاكرتى فقد مضى على هذه القصة زهاء 48 سنة فانها كانت سنة 1343 سألت الشيخ ما أهم كتب الحديث عندكم فذكر لى أربعة كتب لا أذكر الآن منها الا كتاب الكليني وأثنى عليه وقال كل أحاديثه صحيحة فهو عندنا بمنزلة ... ثم سكت وأخذ يفكر فقلت لعلك تقصد البخارى عندنا فقال نعم هو عندنا بمنزلة البخارى عندكم والبحث فى صحة الحديث وضعفه

فى هذا الزمان عبث ، لان الاحاديث الصحيحة معلومة يقينا فقلت له وكيف
 تعرف صحتها يقينا فقال لى تعرف بنص الائمة المعصومين على صحتها ثم قال
 دونك حديثا متواترا عندنا وعندكم فقلت له قل فقال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، أنا مدينة العلم وعلى بابها فقلت له أما عندنا فليس هذا الحديث
 صحيحا ولا حسنا عند المحققين فضلا عن أن يكون متواترا وانما هو حديث
 ضعيف ، هكذا قلت له من حفظى والآن أثبت ما قاله الائمة فى هذا الحديث
 قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ص 97 ، ما نصه باختصار أنا مدينة العلم
 وعلى بابها رواه الحاكم فى المناقب من مستدرکه والطبرانى فى معجمه الكبير
 وأبو الشيخ فى السنة وغيرهم كلهم من حديث أبى معاوية الضرير عن الاعمش
 عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا به بزيادة فمن أتى العلم فليات الباب ورواه
 الترمذى فى المناقب من جامعه وأبو نعيم فى الحلية وغيرهما من حديث على أن
 انبى صلى الله عليه وسلم قال أنا دار الحكمة وعلى بابها ، قال الدارقطنى
 فى العلل عقب ثانيهما (يعنى حديث الترمذى) أنه حديث مضطرب غير
 ثابت وقال الترمذى أنه منكر وكذا قال شيخه البخارى وقال انه ليس له
 وجه صحيح وقال ابن معين فيما حكاه الخطيب فى تاريخ بغداد أنه كذب لا
 أصل له ، وقال الحاكم عقب أولهما أنه صحيح الاسناد وأورده ابن الجوزى من
 هذين الوجهين فى الموضوعات ووافقه الذهبى وغيره على ذلك وأشار الى هذا
 ابن دقيق العيد بقوله ، هذا الحديث لم يثبتوه ، وقيل انه باطل ، ثم قلت
 له : وعلى فرض ثبوته فان أريد أن هذه المدينة لها أبواب
 كثيرة وعلى من أفضل أبوابها فهو صحيح وان أريد أن هذه المدينة ليس
 لها الا باب واحد وهو على فهذا باطل يكذبه القرءان والواقع ولا يختلف
 فيه العقلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث كان على صغيرا دون البلوغ
 فلو كان هو الباب الوحيد لهذه المدينة ما استطاع النبى صلى الله عليه وسلم
 أن يبلغ شيئا ولا أن يؤدى رسالة وكان يقول لكل من سأله عن مسألة اذهب
 الى على وخذ منه الجواب وهذا لا يقوله أحد يحترم نفسه وقد قال الله تعالى .
 (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته)
 وحذف المعمول هنا يدل على العموم أى بلغه جميع الناس كما قال تعالى فى
 سورة الاعراف (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) ولما وصلت

الى هذه المسألة اشترك مع الشيخ في المناظرة نحو عشرة أشخاص فقال لى
أحدهم قوله تعالى (بلغ ما أنزل اليك من ربك) معناه بلغه عليا فقلت له هذه
زيادة في القرآن فلو قلت لك أنا معناه بلغه أبا بكر لكان القولان متساويين
فبأى دليل ترجح أحدهما على الآخر وكلاهما دعوى بلا دليل فغضب الشيخ
وقال أبو بكر (يأكل خراه) وهذا شتم قبيح مستعمل فى تلك البلاد والعراق
ونجد ومعناه يأكل العذرة التى تخرج منه كيف تقارن بينه وبين أمير المؤمنين
عليه السلام وهو جاهل لا يعرف الاب المذكور فى سورة عبس ، والعرب كلها
تعرف الاب وهو العشب فقلت له أيها الشيخ ان علماء المناظرات يقولون ان
الشتيم سلاح العاجز لان القادر على المناظرة بالدليل والبرهان لا يلجأ الى الشتم
وأبو بكر لم يكن يجهل الاب لانه كان من شيوخ العرب وحكمائهم وانما قال
ذلك تورعا وخوفا من الله تعالى وسعظيما لكتابه وعملا بقول النبي صلى الله
عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه فقد كفر وقد خاف أبو بكر رضى الله عنه
أن يراد بالاب معنى خاص يجىء فيه تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم فتوقف
وهذا من فضائله ومناقبه ثم قلت له اذا أراد الله أن تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم انما
هو لعل فلماذا لم يسمه كما سمي زيدا فى سورة الاحزاب فقال لى ان قريشا
حذفت كثيرا من القرآن فقلت له قال تعالى فى سورة الحجر (انا نحن نزلنا
الذکر وانا له لحافظون) ولا شك أن الله تعالى لا يخلف الميعاد وقد حفظ
هذا القرآن من التبديل والزيادة والنقص وهذه مزية وفضيلة خص الله بها
هذا القرآن الكريم من بين سائر الكتب السماوية وقد أجمع المسلمون وغير
المسلمين الا من شذ من أعداء الاسلام على هذا فأنت تجد القرآن فى جميع أنحاء
العالم على اختلاف أديان أهل تلك البلدان لا يستطيع أحد أن يزيد حرفا
ولا نقطة ولا أن يغير منه حركة وحتى صفات الحروف كالتفخيم والترقيق مثلا
محفوظة واذا سلمنا أن القرآن قد حذفت منه قريش كثيرا فلا بد أن تكون قد
زادت فيه أيضا فقال لى أما الزيادة فلم تقع فقلت وكيف عرفت ذلك قال عرفناه من
أقوال الائمة المعصومين فانهم أخبروا بأن الزيادة لم تقع وانما وقع الحذف فقلت
هذا مخالف لنص القرآن الذى ذكرته آنفا ومخالف للعقل والله المستعان ثم
قلت له فهل عندكم قرآن سالم من التغيير ليس فيه زيد ولا نقص فقال لى
لما رأى أمير المؤمنين على عليه السلام قريشا تحذف أشياء من القرآن وتكتبه
على غير الوجه المتفق مع تاريخ النزول دخل بيته وعكف فيه أربعين يوما فكتب

القرآن من أوله الى آخره على ترتيب نزوله من أو اية الى آخر اية فقلت وأين هذا المصحف ؟ فقال بقى عندى الائمة يثوارثونه آخرهم عن أولهم حتى وصل الى الامام المنتظر محمد بن الحسن العسكري عجل الله بخروجه فلما غاب في سرداب سامراء أخذه معه فقلت له ولماذا لم يكتب على رضى الله عنه الا مصحفا واحدا ثم لم ينسخ أحد منه فى تلك الازمنة المتطاولة ولا نسخة واحدة وقد كان لعلى كما تعلمون من الانصار وآل البيت الحريصين على الخير وحفظ العلم ولاسيما كتاب الله وخصوصا قبل خلافته خلق كثير أما بعد خلافته فكان ينبغي أن يكون أول شيء يبدأ به هو اظهار هذا القرآن الصحيح واحراق ما سواه عن المصاحف فان لم يفعل ذلك على سبيل التسليم الجدلى فلا بد أن يفعله شيعته وأنصاره وقد جمع أبو بكر الناس على هذا المصحف ثم جمعه عثمان طبقا لمصحف أبى بكر وأحرق جميع المصاحف المشتملة على القراءة الشاذة وعلى رضى الله عنه ليس دونهما فى العلم والقدرة على احقاق الحق فكيف أهمل هذا الواجب العظيم ؟ فقال لى تأدب فان الائمة لايفعلون شيئا الا بأمر الله وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام مشغولا بأمور أخرى من حروب المرتدين وتدبير شؤون المسلمين فقلت له هذا الاعتذار لم يقنعنى ولا أراء يقنع أحدا من خصومكم ثم لماذا أخذ الامام المنتظر محمد بن الحسن العسكري المصحف الوحيد السالم من التغيير معه حينما أدخل فى السرداب وانتم تعتقدون أنه معصوم وأنه يحفظ القرآن ولا يحتاج الى مصحف فكيف يترك شيعته على مصحف ناقص غير مرتب ويأخذ النسخة الوحيدة المشتملة على القرآن الصحيح معه الى عالم الغيب فقال لى قلت لك تأدب فان الائمة معصومون ولا يفعلون الا ما أمرهم الله به ثم قال لى أحدهم سأورد عليك آية من القرآن تحجك وتسكتك فقلت : هات ، فقال : قال الله تعالى : وكل شيء أحصيناه فى امام مبين من هو الامام المبين أليس على بن أبى طالب عليه السلام؟ فقلت: ذلك قولك أما أنا فأقول ان الامام المبين هو اللوح المحفوظ المكتوب عند الله تعالى وهذا القرآن الذى بأيدينا مطابق له فقال لى كيف يكون الكتاب اماما وكيف يكون مبينا فقلت له قال الله تعالى فى سورة الاحقاف (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) ، فوقف حماره فى العقبة ولم يستطع جوابا فقال لى شيخهم أليس

على نفس النبي بنص القرآن فقلت وضح لي ما تقول كيف يكون على نفس النبي
فأخذ يتعنت ويكرر أنفسنا وأنفسكم ولم يعرف أحد منهم آية المباهلة لا الشيخ
ولا غيره فعلمت أنه لا يحفظ القرآن أحد منهم فقلت لهم أنا أذكر لكم الآية التي
نريدون قال الله تعالى في سورة آل عمران (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فقالوا جميعا هذه الآية التي نريد وهي
حجة عليكم فان قوله تعالى وأنفسنا المراد به علي بن أبي طالب فقلت لهم ان
نفس النبي صلى الله عليه وسلم هي النبي ولا تتحمل الدلالة اللغوية غير ذلك
فما هو دليلكم من جهة النقل أو اللغة على أن عليا هو نفس النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا هذا ثابت في التفاسير فقلت أنا لأسلمه الا اذا ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم بسند صحيح هكذا قلت لهم مع أنى أعلم أنه روى في
خبر بسند ضعيف أن معنى أنفسنا هو النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ومعنى
نساءنا فاطمة ومعنى أبناءنا الحسن والحسين ثم راجعت الآن وأنا أكتب هذا
تفسير ابن كثير فوجدت الخبر قد رواه ابن مردويه والحاكم في المستدرک
وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه قال ابن كثير هكذا قال الحاكم وقد
رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي مرسلا وهذا أصح اهد.
قال محمد تقى الدين ومن المعلوم أن المرسل من قسم الضعيف ولو كان القوم
أهل انصاف لذكرت لهم هذا الخبر واعترفت به وبينت ضعفه وأنه لا حجة لهم
في ذلك لان فضل علي وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكره الا
ضال وذلك لا يدل على أنه هو الامام بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدل
البتة على بطلان خلافة الخلفاء الثلاثة قبله ولا يحط من قدرهم شيئا فان الائمة
الثقات رووا أحاديث كثيرة صحيحة كالشمس تدل على صحة خلافتهم وفضلهم
ولكن لكسل مقام مقال ، ثم قال الشيخ ما تقول في أحاديث صحيح البخارى
أصحيحة عنكم أم لا فقلت هي صحيحة لا نتوقف في قبول شيئا منها فقال الآن
أورد لك حديثا من صحيح البخارى يثبت صحة اعتقادنا وفساد اعتقادكم فقلت
ما هو فقال روى البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فاطمة
بضعة مني يؤذيني ما آذاها وأبو بكر آذاها فقد آذى النبي صلى الله عليه وسلم
ومن آذى النبي فهو كافر » فكيف يكون الكافر خليفة فقلت له هذا الحديث

صحيح ولكن لمعرفة معناه على التحقيق يجب أن تذكره كاملا حتى لا تكون مثل ذلك النصراني الذي احتج على المسلمين بقوله تعال : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة » فقال هذا كتابكم ينهاكم عن الصلاة ، قال فاذا كنت الحديث كاملا فقلت له ان علي بن أبي طالب أراد أن يتزوج بابنة أبي جهل على فاطمة فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في الناس فقال ان ابن أبي طالب يريد أن يتزوج بابنة أبي جهل على فاطمة ولا أحرم حلالا ولكن أخاف ان تفتن في دينها فوالله لا تجتمع ابنة نبي الله وابنة عدو الله في بيت واحد فان أراد ابن أبي طالب أن يتزوج بابنة أبي جهل فليطلق ابنتي فان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها هذا معنى الحديث فلما سمع القوم هذا الحديث ثاروا ثورة عظيمة وكثر ضجيجهم فقال لي شيخهم (رافعا صوته كقرتم كقرتم كقرتم أنتم كقرتم كل واحد حتى محمد بن عبد الله) وسمعت من كان بقربي من الحاضرين يقولون بصوت ملؤه الحنق (لا يا ملاعين الوالدين اشلون يكذبون على أمير المؤمنين) ومعنى ذلك اخسأوا يا ملاعين الوالدين كيف يكذبون على أمير المؤمنين يعنون عليا فقلت له كيف تكفروننا ونحن نشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ونؤمن بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رضى الله عنه لسعة علمه وفضله لم يكفر الخوارج الذين كفروه وقاتلوه فقد روى ابن أبي شيبة بسنده الى علي أنه سئل عن الخوارج أكفارهم فقال لا من الكفر فروا فان لم تقبلوا على عادتكم في رد أحاديث أهل السنة فلو نكمت برهانا نظريا لا تستطيعون رده أبدا قالوا ما هو؟ فقلت ان عليا رضى الله عنه قاتل الخوارج ولم يغنم أموالهم ولا سبى ذريتهم كما فعل هو وسائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال المرتدين من بنى حنيفة وأم ولده محمد سبية من بنى حنيفة واسمها خولة وأنتم تعلمون ذلك فقال أنا لا أكفرك أنت فقلت لو كفرتني أنا وتركت البخارى ورجاله لكان ذلك أهون على لان كل ما نعتقه ونعلمه من أمور الدين فهو اما من القرآن أو من رواية هؤلاء الرواة فقال لي وأنا لا أكفر البخارى أيضا فقد كان رجلا صالحا ولكن معاوية كان يبذل الاموال للوضا عين فيضعون الاحاديث في تنقص على ويكذبون عليه وقد توهم البخارى فأدخل في كتابه هذا الحديث فقلت له ان رجال هذا الحديث كلهم أئمة ثقات وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه هذا ما قلته له والآن أسوق

هذا الحديث بالفاظه ليعرفه القارىء على وجهه ، أخرج البخارى بسنده عن المسور بن مخرمة فى باب الخمس أن ع لى بن أبى طالب خطب ابنة أبى جهل على فاطمة عليها السلام فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فى ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال ان فاطمة منى وأنا أتخوف أن تفتن فى دينها ثم ذكر صهره من بنى عبد شمس فأثنى عليه فى مصاهرته اياه قال حدثنى فصدقنى ووعدنى فوفى لى وانى لست أحرم حلالا ولا أحل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله أبدا ، ورواه البخارى فى كتاب النكاح فى باب ذب الرجل عن ابنته فى الغيرة عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بنى هشام بن المغيرة استأذنوا فى أن ينكحوا ابنتهم على ابن أبى طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى يربىنى ما أربها ويؤذنى ما أذاها ، وفى احدى الروايات أن فاطمة عليها السلام ذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له ان الناس يقولون انك لاتغضب لبناتك وأخبرته الخبر فخرج الى المسجد وخطب الناس ، ثم قلت وأبو بكر الصديق لم يؤذ فاطمة وانما نفذ ما أمره به النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة) وفاطمة غير معصومة من الخطأ فان كان هذا هو سبب تكفيركم لابى بكر الصديق فهو سبب واه ، وقد تبين بطلانه فلماذا كفرتم عمر مع انه حين جاءه على والعباس بعد وفاة فاطمة يطالبان بأرض فدك التى طالبت بها فاطمة أحضر عشرة من الصحابة فشهدوا كلهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ثم قال لعلى والعباس ان التزمتما أن تعملوا فى هذه الارض بما كان يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمتها لكما فالتزما ذلك فسلمها لهما ثم اختلف على والعباس فجاء العباس عمر يشتكى عليا فأبى عمر أن يغير ما حكم به ... ومما ذكرته لهم فى تلك المناظرة وانما املها من حفظى أن مما يدل على أن أهل بيت على رضى الله عنه لم يكونوا يعنفون عصمته أن عبد الله بن عباس أنكر عليه احراق الغلاة الذين اعتقدوا ألوهية على فأحرقهم بالنار فخطأه ابن عباس وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعذب بالنار الا رب النار فقال الشيخ هذا من وقاحته وقلة حياته

كيف يعترض على امامه ولما أخذوا يناظروننى وهم جماعة كما ذكرت أراد رفيقى أن يظهر دفاعه عنى وقال أيها القوم ان كانت هذه مناظرة بين عالمين فدعوهما يتناظران وانصتوا وان كانت حمية وعصبية فأنا أيضا أدافع عن صاحبي ولما رجعنا الى السورة قال لاهل السنة أشهد بالله أن عالمكم غلب عالمنا.

مناظرة بين المؤلف وبين شيعى آخر

اجتمعت فى البصرة بمجتهد الشيعة الشيخ مهدي القزوينى فأخبرته بأن عبد المحسن الكاظمى يقول ان قريشا حذف كثيرا من القرآن فهل هذا صحيح فقال أما نحن فلا نقول بذلك ونؤمن بأن القرآن هو ما بين دفتى المصحف لم ينقص منه شيء ولم يزد فيه شيء وأظن أن الشيخ القزوينى من الفرقة الاصولية ثم بعد ذلك قرأت مقالا فى مجلة المنار الشمهيرة التى كان يصدرها الشيخ رشيد رضا رحمه الله كاتبه عالم من بلاد فارس أثبت فيه بالادلة والبراهين المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم من طرق الشيعة الاثنا عشرية كلما بينه شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب من توحيد العبادة وتوحيد الربوبية فمن ذلك تحريم البناء على القبور روى فيه أحاديث عن أئمة الشيعة مرفوعة وغير مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم تثبت النهى عن البناء على القبر وتخصيصه حتى ذكر عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال كل ما وضع على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت ، ومنها تحريم الذبح والنذر ودعاء الاموات والاستغاثة بهم فكتبت كتابا الى الشيخ مهدي المذكور وقلت له نرجو أن تبين لنا هل هذه الاحاديث التى ذكرها صاحب المقال صحيحة عندكم أو غير صحيحة فان كانت صحيحة فما الذى يمنعكم من العمل بها وكيف سكتكم على القباب المشيدة المزخرفة فى النجف وكربلاء والكاظم وهى مخالفة لما رواه أئمة آل البيت الذين تدعون الناس الى اتباعهم فكتب الى رسالة طويلة مدحني فيها ولم ينكر شيئا من تلك الاحاديث ولكنه عمد الى تحريفها ففسر البناء على القبر بأن يبني على القبر نفسه أما بناء قبة حوله لتقى زائريه من الحر والقر فلا بأس به ومضى فى تحريف تلك الاحاديث كلها حتى أتى عليها ثم قال لى ونحن نتخذك حكما تحكم بيننا وبين صاحب المنار هذا بعدما ذم صاحب المنار وكاتب المقال وغمرهما بالشتم والقدح والظعن فألفت فى ذلك جزءا

سميته القاضي العدل في حكم البناء على القبور وبعثته الى الشيخ رشيد رضا
رحمة الله عليه فجزاه سبعة أجزاء ونشره في مجلة المنار وكان ذلك في
أغلب الظن سنة 1344 هـ ولما استقرت في المملكة السعودية أعدت تأليف
الكتاب بأسلوب أحسن وقدمته للملك عبد العزيز رحمة الله عليه هدية وأنشدته
في ذلك القصيدة التالية جالسا الى جنبه فلم يعب على ذلك لا هو ولا أحد من
جلسائه وذلك برهان قاطع على تواضعه واختياره سلوك أمراء السلف فلا
غرابة أن رفع الله قدره ومكن له في الارض حتى أنشأ دولة عظيمة عصرية على
أنقاض الدولة السعودية التي قضى عليها آل رشيد كما شهدت بذلك اذاعة
لندن وهذه القصيدة من بحر الكامل .

أرجاء مكة والحطيم وزمزم
ب أمانه ففدت به تتنعم
أرجائها والجهل فيها مظلم
بعد العداوة في أخا لا يصرم
حتى القريب قربه لا يرحم
شنى العقائد شركهم مستحکم
طاغوتهم بالجهل فيهم يحكم
خيم وخيم عندهم لا يحرم
وشرابهم منه وبس المطعم
لله ليس يزال دوما يعظم
عبد العزيز الفارس المستلتم
لا ما يقول مشعوذ يتوعم
وشجاعة وعدالة اذ يحكم
حامى الحقيقة في الوغى لا يحجم
أواجها مستبشرا يتبسم
رائيه مغتبط به متنعم
ولانت أفضل من اليه يقدم
فض بالادلة مبطلا ما يزعم
من كل أفق للدعا لا يحرم
أوج السعادة بالكارم تنعم

يا أيها الملك الذي سعدت به
وكسى الاله به بلاد العرب ثوب
وأشاع نور العلم والايمان في
وغدت بحكمته أهاليها وهم
كان التقاطع بينهم من قبله
والبغى والعدوان شيمتهم وهم
ما عندهم من حرمة للشرع بل
قطع الطريق وقتل سالكه لهم
شنن الاغارة دأبهم وطعامهم
فغدوا نقاة صالحين وخوفهم
بسياسة الملك الامام المرتضى
هذي الكرامات العظام حقيقة
هذا هو القطب الكبير ديانة
قطب السياسة والكارم والعالا
يلقى العداة اذا الجيوش تلاطمت
يلقى الوفود ووجه متهلل
ذا الجزء أرفعه اليك هدية
ألفته ردا على شيخ الروا
زعم البناء على القبور وفصدها
هذا ودم شهسا لهذا الدين في

فتقبله بأحسن قبول وأمر بطبعه فأخذه رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله وسلمه الى الشيخ ماجد الكردي مدير المعارف فطبع منه ألف نسخة ووزعت . ولا بد أن يكون الشيخ مهدي القزويني قد اطلع على هذا الكتاب وقد بلغني أنه ألف كتابا في الرد على ولكني لم أره وهذا هو سبب ما ذكرته من قبل أنه يوجد في المحفظة الخاصة بي التي يسمونها بالعجمية دوسيا أنني عدو لابناء الشيعة هكذا سجلوا على ذلك جهلهم وضلالهم والا فهل كان أئمة آل البيت الذين نقل عنهم ذلك الكاتب أحاديث النهى عن البناء على القبور كحديث الصحيحين لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ونحوه هل كان أولئك الأئمة رضوان الله عليهم أعداء لابناء الشيعة ومنهم جعفر الصادق الذي ينتسبون اليه اذا فهن هو وليهم .

شيخ متملق

كان رجل ينسب الى العلم والعلم منه بعيد يسكن في بلدة فاو الواقعة عند مصب شط العرب في خليج البصرة ويسميه الاوروبيون الخليج الفارسي وكان من المتملقين لذلك الشيخ المذكور الذي هو من أقارب الشيخ مصطفى آل ابراهيم فشكى الشيخ الغني الى ذلك المتأكل بالدين ما أبطلته من البدع في مسجد الدورة فقال الشيخ الفاوي هذا الرجل مناع للخير يعني بذلك فهجوته بقصيدة نسيت أكثرها وأثبت هنا ما بقي في حفظي منها وقد حذف منها بيتا لان فيه اقذاعا كثيرا فان قلت اذا كان ذلك الاقذاع لايجوز شرعا فلماذا قلته حتى احتجت الى حذفه فالجواب أنه يجوز شرعا ولكن تركه أيضا جائز وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا)

وهذا ما بقي من القصيدة :

أتاني فحش القول من جاهل فدم	وقدما كلاب الجهل تنبح ذا العلم
ولست بملافي القرى متأكل	بدين ولا دين لدى الارذل الوخم
يظل عدو العلم يكذب جاهدا	على ربه كي يأكل السحت بالرجم
فدع عنك دعوى العلم ولتبغ قاربا	تصيد به الحيتان في لجة اليم
ودربه في كل البلاد مناديا	صبورا صبورا واترك العيش باللؤم

وافساد دين الله بالحرص والوهم
وجمع زكاة من غريب ومن عجم
وما وجهه الا عظام بلا لحم
وطيشا فمثل البغل قد صرت في الجسم
أأعرج أم أعمى أم انت اخو سقيم
وذلك سقيم العقل والدين والفهم
عمى الجهل ان الجهل للقلب قد يعمى
كدعوى بنى حرب زيادا على زعم
كلاها وحتى سامها كل ذى عدم

فذلك أجدى من سؤال وكديّة
فلا تحسبن العلم أكل ثريّة
ومثلك ان يسأل يجيء يوم حشرنا
وان كان كالعصفور عقلك خفة
علام استطببت الاكل من صدقاتهم
نعم فيك سقيم لم ير الناس مثله
وفيك عمى لم تبصر العين مثله
ودعواك فى العلم العزيز مكانه
لقد هزلت حتى بدا من هزالها

قولى صبورا صبورا الصبور نوع من السمك يصاد من البحر كبير الحجم كثير
العظام ولكن لحمه لذيذ يدور الباعة بزوارقهم فى أنهار جنوب البصرة منادين
(صبور صبور) .

الدعوة الى الله فى النخيل

لما نزلنا بالمدينة النبوية على من شرفها الله به أفضل الصلاة وأزكى التحية وجدت بها من مشاهير الشيوخ ألف هاشم وهو من السودان المغربى وأظنه سنغاليا وكان مقدا للطريقة التجانية فكتبت صحيفة ضممتها ثلاث عشرة مسألة من ضلالات التجانيين وناولتها الشيخ عبد الله بن حسن فلما قرأها اقتشعر جلده منها وقال أعوذ بالله أعوذ بالله يوجد فى الدنيا من يعتقد مثل هذا فقلت نعم وهو معك هنا فى المدينة أحد كبار المدرسين فى المسجد النبوى فقال لى من هو فقلت ألفا هاشم ومعنى ألفا بلغة السودان الفقيه فكأنها مختصرة من كلمة الفقيه فدعا به فلما جلس ناوله الصحيفة فقال اقرأ هذه الصحيفة فقراها فقال له الشيخ هل تعتقدون ما فى هذه الصحيفة فقال يوجد فى كتب طريقتنا كل ما ذكر فى هذه الصحيفة ولكن أنا لا أعتقد هذا فقلت له قل هذا حق أو باطل فقال لى ان الشيخ ليس محتاجا الى أن تعينه فقال الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله والله بل أنا محتاج الى أن يعيننى لانه يعرف ضلالكم وأنا لا أعرفه فاضطر ألفا هاشم الى أن يقول ان ذلك باطل فقال له الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله قد اعترفت الآن بأنك رئيس طريقة تشتمل على ضلالات كتبت الى الله منها فقال أنا تأب الى الله من كل ضلالة فقال له الشيخ عبد الله بن حسن أكتب رسالة وبين فيها ضلال هذه الطريقة وأنت تبت الى الله منها لتوزعها على أتباعك وغيرهم ليحذرها الناس فقال نعم فقال له اذا كتبت الرسالة فسلمها الى محمد تقى الدين الهلالى لينظر هل هى وافية بالمطلوب فان وجدها كذلك يبعثها الى وأنا أمر بطبعها وقبل أن يسافر الشيخ عبد الله بن حسن رحمة الله عليه دعا أمير المدينة عبد العزيز بن ابراهيم فجاءه الى منزله بدار الضيافة فقال له هذان الشيخان محمد الهلالى ومحمد بن عبد الرزاق نثق بعلمهما ودينهما فعليك أن تشاورهما وتأخذ بنصيحتهما فقال الامير حبا وكرامة يقال اذا رأيت العلماء عند أبواب الامراء فبئس العلماء وبئس الامراء واذا رأيت الامراء عند أبواب العلماء فنعم العلماء ونعم الامراء فحقهما أن آتى

الى زيارتهما لاستشيرهما وأستفيد من علمهما ولكن أرجو من فضلها أن يسامحاني في هذا الحق لكثرة أشغالي ويتفضلا بزيارتي ، وبعد خمسة عشر يوما لقيت ألفا هاشم فقلت له هل أتممت الرسالة التي أمرك الشيخ بتأليفها فقال ما أكملتها بعد فأمهلني فانتظرت خمسة عشر يوما أخرى ولقيته فسألته فقال الى الآن ما أتممتها فحثته على اتمامها برفق فذهب الى الامير وقال له نحن نعتقد أنك أمير هذا البلد وأنت الحاكم فيه وقد آذاني محمد تقى الديرى الهلالى وصار يتحكم فى ويأمرنى وينهانى فدعانى الامير وقال لى ما سبب الخلاف بينك وبين ألفا هاشم فقلت له ليس بينى وبينه خلاف وحكىته له القصة من أولها الى آخرها فقال أنا آخذ الكتاب منه وأبعثه الى الشيخ فقلت له أنت لا تعرف ما يتضمنه الكتاب وهل هو واف بالمطلوب أو غير واف وانما كلفنى الشيخ عبد الله بن حسن بقراءته قبل إرساله اليه لاني أعرف هذه الطريقة وأعرف ما يجب على التائب منها ما يقول لاني كنت متمسكا بها تسع سنين ، وانصرفت من عنده ولم أطلب ألفا هاشم بعد ذلك بشئ ولم يؤلف شيئا وهذا أول خلاف وقع بينى وبين الامير ثم تلاه اختلاف كثير شاركنى فيه رفيقى الشيخ محمد بن عبد الرزاق فكنا اذا سمعنا بمنكر وقع وكان الجنود المكلفون بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر يخبروننا بما يقع من الحوادث فاذا رأينا تقصيرا نذهب اليه وننصحه فكان يتحمل ذلك على مضض واشمئزاز ويقول فى غيبتنا هذان رجلان من المطاوعة (جمع مطوع كلمة تطلق على الفقيه والعالم فى نجد) يشتغلان بالدروس فى المسجد فلماذا يتدخلان فى شؤون الامير وفى شؤون جماعة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، والتعبير المعتاد هيئة الامر بالمعروف وقد تركت هذا التعبير لانه فاسد لان الهيئة هى الشكل كما قال تعالى : « انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير » ، وزاد فى طينه بله وفى طنوره نعمة ان المكاتبه بيننا وبين الملك عبد العزيز قدس الله روحه كانت متواصلة ومن عادته رحمة الله عليه أنه اذا كتب لنا جوابا يأمر الكاتب فيكتبه بالة الكتابة ثم يأخذ صحيفة فيكتب فيها بضعة أسطر بخط يده يسمى فيها المرسل اليه ويسلم عليه ويدعو له وهذه مزية لا نعلم أحدا من الملوك كان يفعلها فنسأل الله أن يشبهه فى جنات النعيم وكانت الاجوبة التى تأتينا من الملك عبد العزيز تصل الينا بواسطة الامير المذكور فكان كلما جاءنا كتاب من الملك

يصيبه المقيم المقعد ويغضب ويقول ما شأن هذين الرجلين ومكاتبة الملك
أهما من الامراء فيلتفت الامير الى الشيخ محمود شويل (ويقول يا محمود
الا يمكنك أن تمون عليهما وتفتح الرسالتين ومعنى تمون تتجراً وتنوب)
فيقول الشيخ محمود أصلح الله الامير اذا كنت أنت لا تستطيع أن تمون
عليهما وأنت الامير فكيف أستطيع أنا وأفتح رسالة الملك المرسله الى شخص
بعينه فيجئنا الشيخ محمود شويل ويقول ان الامير مهتم بهاتين الرسالتين
فان لم يكن فيهما شيء تخفيانه عنه فأرجو أن تفرجا عنه بتمكينه من قراءتهما
فنعطيه الرسالتين فيقرأ كل رسالة يقرأ صحيفتيها المكتوبة بخط اليد والمكتوبة
بالآلة وتوسوس له نفسه بأنه يمكن أن تكون هناك صحيفة ثالثة لم ندفعها اليه.

الاختلاف مع الشيخ عبد الله بن بليهد

ندع الآن خلافا مع الامير لنستأنفه فيما بعد ونذكر قصة طريفة وقعت
بيننا وبين الشيخ عبد الله بن بليهد رحمة الله عليه فانه قصد المدينة ليصوم
فيها رمضان سنة 1347 هـ ولما كنت أنا أقوم بمراقبة المدرسين في المسجد
النبوي ويعينني على ذلك رفيقى الشيخ محمد بن عبد الرزاق كان بعض المدرسين
يجتمعون عندنا في مكتب المراقبة وكان في غرفة فوق باب المجيدى فنتذاكر
في مسائل العلم فجرى ذكر مسألة الارض هل هي كرة أو سطح فبينما لهم أنها
كرة يقينا وذكرنا العلماء الذين نصوا على ذلك ومنهم شيخ الاسلام أحمد بن
تيمية وتلميذه بن القيم فأسروها في أنفسهم فلما جاء الشيخ عبد الله بن
بليهد سألوه هل الارض كرة أو سطح فقال لا يقول أحد بأنها كرة الا المعطلة
الذين ينفون استواء الله على عرشه فقالوا ان مراقب التدريس محمد تقى الدين
الهلالى ورفيقه محمد بن عبد الرزاق يقولان بذلك فغضب غضبا شديدا فلما
جئنا لزيارته رحب بنا ثم قال محمد ومحمد هؤلاء المدعون للعلم من أهل
الامصار يزعمون أن الارض كرة ولا بد أن تكون لهم شبهة وأنتم تعلمانها
فأخبراني بها فقلنا له سلمك الله ان أقوى ما يستدلون به على كروية الارض
اختلاف الليل والنهار فان الشمس حتى في القطر الواحد تختلف في الشروق
والغروب ويبلغ اختلافها في القطر الكبير الى ساعة بين مشرق ذلك القطر
ومغربه ومثال ذلك أن الشمس تشرق في الرياض قبل المدينة بنحو نصف

ساعة وتغرب في الرياض قبل المدينة بمثل ذلك وقلنا له واستدلوا على ذلك أيضا بأن المسافر في البحر أول ما يرى من سفينة مقبلة رؤوس أعمدتها المعروفة بالصواري ثم كلما دنت انكشف له الجزء الأسفل من العمود حتى تنكشف له السفينة كلها وإذا كان في البر مقبلا على بلد فيه نخل فأول ما يرى رؤوس النخيل ثم كلما تقدم انكشفت له الأجزاء السفلى إلى أن ينكشف النخيل كله وكان عندنا دليل آخر هو أوضح من هذا كله ولكن خفنا أن نذكره له وهو أن المسافر إذا سافر إلى الشرق على خط مستقيم أو شبه مستقيم واستمر في وجهته لا يغيرها يرجع إلى البلد الذي سافر منه فلما سمع كلامنا غضب غضبا شديدا وقال هذا كلام المعطلة فتوبا إلى الله منه ولم يقصدوا بهذا الكلام إلا أن يقولوا لا إله فوق العرش وتشفى فينا المدرسون وكثر لهطهم وأخذوا يضحكون علينا فقال بعضهم يعيننا ومن يقول بقولنا هؤلاء القوم ليس لهم عقول لو كانت الأرض كرة سابعة في الفضاء فلماذا لم تنصب هذه البحار ومياه الآبار ولماذا لم تسقط الصخور والأحجار وكل ما على الأرض من حيوان وإنسان وعلى قول هؤلاء يمشى الناس على وجه الأرض ورؤوسهم إلى أسفل وكان المدرسون يبغضوننا لأنهم كانوا يهرون بآيات التوحيد وأحاديث التوحيد مرور الكرام باللغو فلا يبينون للناس توحيد الربوبية وتوحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات فكنت أدعوهم إلى المراقبة وأعظهم وأحذرهم من وعيد من كتب علما ولكنهم كانوا مصرين على حيدتهم إلا من سأذكره فيما بعد فانصرفت من عند الشيخ عبد الله بن بليهدنا دما على زيارته ومع أنه التمس مني أن أتعشى معه مدة رمضان لم أزره بعد ذلك فجلت جولة في الكتب وكانت كثيرة عندي لأن خزائني كانت قد وصلت إلى من العراق وهي حافلة بأصناف الكتب وأصل هذه الخزانة خزانة الشيخ علي بن سليمان القصيمي الذي كان ساكنا بالدورة إلى أن توفي رحمة الله عليه فوصلت أنا الدورة بعد وفاته فوهبنيها ورثته بإشارة من كبيرهم الشيخ حسن بن علي قالوا لأنه ليس فينا لسوء الحظ من يستطيع الانتفاع بهذه الكتب ونحن نريد أن نهيك أيها رجاء أن ينفع الله بثواب هذه الهبة والدنا ولا تزال عندي بقايا من هذه الخزانة وبعضها تلف بالنقل من بلد إلى بلد وبعضها تلف بالبلى والقدم فوجدت أن شيخ الإسلام أبا العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه ذكر هذه المسألة في الرسالة العرشية ووضحها

كل التوضيح فبعدهما بين أن الاجرام السماوية كلها كروية الشكل ذكر
 الارض وأخبر أن كل جهاتها فوق والتحت انما هو وسط جوفها قال رحمه
 الله فلو وضعت حجرا في المشرق وحجرا في المغرب ولم يجدا مانعا من النزول
 هذا من المشرق وهذا من المغرب حتى يجتمعا في مركز الارض ولو جعلت بدل
 الحجرين انسانين أحدهما يخترق الارض من المشرق والآخر يخترقها من المغرب
 لا لتقت أقدامهما في المركز فخططت بالقلم الاحمر على هذا الكلام وبعثته الى
 الشيخ عبد الله بن بليهد فبلغني أنه ازداد غضبا وقال يا عجا للهالي يريد
 أن يعرفني بما في كتابا لشيخين ان كلام الشيخين لا يفهمه كل الناس لان
 فيه اطلاقا وتقييدا وخصوصا وعموما واجمالا وتفصيلا وأنا اشتغل بدراسة
 كتب الشيخين منذ كنت مل هذا الورع وأشار الى صبي صغير وأهل نجد
 يسمون الغلام ورعا ، ثم أخذت أبحث في كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم
 رحمه الله فوجدته نص على أن الارض كرة نصا لا يحتمل تأويلا وعلل اختلاف
 الليل والنهار في البلدان المختلفة بكروية الارض فبعثته اليه مع الشيخ محمد
 بن عبد الرزاق فلما أعطاه الكتاب قرأ كلام ابن القيم مرارا ثم قال له ان كانت
 الارض كرة في الجهة الاخرى التي لسنا فيها فذلك ممكن أما الجهة التي نحن
 فيها فنحن نشاهدها سطحا وسكن غضبه على ولكن لم يعترف ثم لقيت بعد ذلك
 الشيخ الجليل مقدم آل الشيخ وكبيرهم وعالمهم في عصره أعنى الشيخ محمد
 بن عبد اللطيف رحمة الله عليه فقال لي بلغني ما وقع بينك وبين ابن بليهد
 وهو مخطيء واياك أن تعتقد أن علماء أهل نجد كلهم على رأيه فان عندي ثلاثة
 كتب للشيخين في كل واحد منها ما يكفي ويشفي للدلالة على أن الارض كرة .

الشيخ الطيب التنبكتي

تقدم أن المدرسين كانوا يجيدون عن بيان الحق في مسائل التوحيد
 وكانوا يتعصبون لمذاهبهم كل التعصب وكان الشيخ الطيب رحمة الله عليه
 حين جئنا الى المدينة أنا ورفيقي الشيخ محمد بن عبد الرزاق المصري مولدا
 ونشأة ، السعودى مستوطننا ودارا نسأل الله له الشفاء ، كان الشيخ الطيب
 متمسكا بالطريقة القادرية وبعقيدة المتأخرين من الاشعرية ومتعصبا للمذهب
 المالكي وكان لا يطيل الجلوس معنا ولكنه كان يبعث الينا تلميذه الشيخ عبد

الله بن محمود وكان في ذلك الوقت شابا لم تستدر لحيته وكان يأتينا كل يوم بمسائل يلقيها علينا فنجيبه عنها فيجمل الجواب الى أستاذه ومضى على ذلك مدة تقارب ستة أشهر وعند ذلك جاءنا الشيخ الطيب وقال لنا اننى فكرت فى أجوبتكما فوجدت انما تدعوان اليه هو الحق وأشهدكما انى تركت كلما كنت عليه من طريقة وعقيدة أشعرية وتعصب للمذهب ففرحنا بذلك فرحا عظيما وكان المدرسون من أهل المدينة يأخذون ستة دنانير ذهبا أو ما يعادلها بسعر الوقت أرييلة فضية وكنا نحن نأخذ عشرة دنانير لكل واحد منا فكتبنا الى ولاية الامر رحمهم الله وقلنا لهم ان الشيخ الطيب الانصارى التنبكتسى ترك ما كان عليه ورجع الى عقيدة السلف فرجو أن يعطى راتبنا كرواتنا فجاء الجواب بالموافقة وقد نسيت الآن هل كتبنا للملك عبد العزيز نفسه أو لمن دونه وصار يأخذ عشرة دنانير ذهبا وكانت المعيشة فى المدينة رخيصة تكفى أهل البيت بعيالهم وضيوفهم ثلاثة دنانير فى الشهر يعيشون بها عيشة راضية وثبت الشيخ الطيب على العقيدة السفلية الى أن جاءه الاجل فرحمه الله رحمة واسعة وقد أخبرنى بعض الاخوان أنه اختصر تفسير ابن جرير وأن اختصاره هذا موجود فنسأل الله أن يوفق أهل الفضل والاحسان وفى مقدمتهم امامهم جلالة الملك فيصل نطبع هذا الكتاب .

الشيخ محمود شويل

لما وصلنا الى المدينة كان الشيخ محمود شويل خرافيا ومتعصبا للمذهب المالكي أشد التعصب ، كنا نفطر صباحا فى بيتى فأخذ يذكر فضائل الامام مالك رحمه الله ويدعى أنه لا نظير له فى الائمة ولا أحد يكاد يبلغ منزلته فى العلم والفضل فقلت له انا البخارى أعلم منه لان كل حديث صحيح رواه مالك يعرفه البخارى ويزيد على ذلك بالآلاف الاحاديث فغضب غضبا شديدا وترك الأكل وقال فى البخارى كلاما قبيحا لا يحسن ذكره واستمر على مجالستنا الى أن تخلص من عقيدته وخرافاتة وتعصبه للمذهب وأخبرته بوجود شيخ سلفى من كبار العلماء له تاليف وهو الشيخ حسن عبد الرحمن من أغنياء مصر له مزارع كثيرة بين دمنهور والاسكندرية لا أذكر اسم بلدته الآن فكتب اليه الشيخ محمود شويل يلتمس منه شيئا من كتبه التى ألفها فى الدعوة الى

السلفية وقال له فى كتابه اليه الشيخ محمد بن عبد الرزاق والشيخ محمد تقى الدين الهلالى و ثالثم كلبهم محمود شويل فبعث اليه الشيخ حسن عبد الرحمن رحمة الله عليه ما طلب من الكتب وقال له فى جواب كتابه ما نصه يظهر أنك داخل فى المقدر من جديد لان المومن لا ينزل بنفسه الى أن يصير كلبا وبالغ الشيخ محمود شويل فى التمسك بالتوحيد والسنة وكانت فيه حدة شديدة فأخذ فى كل يوم يتخاصم مع الناس اذا سمعهم يشركون بالله أو يبتدعون فى الدين فكثرت به الشكايات الى الامير فاتخذة مستشارا علميا ليشغله عن الخصومات ولكن ذلك لم يمنعه مما كان عليه من الشدة حتى نفى الى نجد أكثر من مرة .

الخروج الى البادية

كنت قد طلبت من الشيخ عبد الله بن حسن رئيس القضاة تغمده الله برحمته أن أخرج الى القرى والبادى للدعوة الى الله تعالى فى بعض الاحيان فاستحسن ذلك كل الاستحسان وأمر الامير عبد العزيز بن ابراهيم أن يهيب لى راحلتين ورجلا يرافقتى فأجاب الى ذلك ووعد به فلما طالبتة بالوفاء اقترح على أن أذهب الى الجرف والعوالى ولم يكن غرضى ذلك لان أهل هذه القرى شيعة لا يكادون يقبلون شيئا من واعظ سنى وانما كان مرادى التوجه الى البوادى السنية فى ناحية الحناكية وغيرها من قبائل حرب وكان بعضهم متدينا وبعضهم لا يزال عنى الجاهلية الاخرى فأخبرت بذلك الامير فقال أبدأ بالاقربين وبعد ذلك أهيب لك السفر الى غيرهم واخترت الشيخ الحميدى بن رديعان أحد الائمة فى المسجد النبوى وكان شيخا صالحا من أهل حائل لمرافقتى فذهبنا الى القرى المحيطة بالمدينة فلم نجد أحدا منهم تأثر بدعوتنا الا رجلا فى الجرف وأظنه كان سنيا أما البرقون فانهم كانوا يضيفوننا ولا يظهر عليهم أثر لقبول وعظنا وكررت الطلب على الامير أن يهيب لى أسباب السفر الى الحناكية ونواحيها فكان يماطل فانفقت مع الامير ماجد بن موقد أمير عوف القاطن فى قرية النخيل وسافرت معه الى النخيل بدون استئذان الامير وبقيت هناك زهاء شهر وأشهد بالله أننى ما مرت على فى حياتى كلها أيام صفا فيها قلبى وازداد ايمانى واقبالى على ذكر الله تعالى مثل تلك الايام . وكانت معيشتهم فى غالب الاوقات بل فى كلها اللبن المخيض فقط الا اذا جاءهم ضيف فانهم يذبجون له ذبيحة ويبحثون عن شىء من الرز

من أراد أصنافه فيطبخونه نصف طبخ فلا أستسغيه وكذلك اللحم يطبخونه نصف طبخ ولكنى كنت آكل من الآلية لأنها تنضج بأدنى طبخ ومع ذلك كانت عندى تلك المعيشة أحسن من موائد الامراء والمترفين وسأشير الى ذلك فى انقصيدة الآتية ان شاء الله ولما سمع الامير بسفرى غضب غضبا شديدا ولعننى ولعن قبيلة بن هلال كلها توهما منه أنتى أنتسب اليها وأنا انما أنتسب الى هلال وهو الجد الحادى عشر من ذرية الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وقال للشيخ محمود شويل يا محمود قل له اذا رجع لا يمك ورقة ولا يجلس فى المسجد وقل لمحمد بن عبد الرزاق لا يجعله نائبا عنه فى الصلاة أبدا فلما رجعت زرتة ومعى الامير ماجد بن موقد وأخبرته أن رحلتى الى النخيل كانت باذن وحث وترغيب من رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن وهو يعلم ذلك فلم يقل شيئا واستمر الامر على تلك الحال مدة سنتين فضاق الامير بنا ذرعا ونفد صبره فدعانا ذات يوم الى قصره بعد صلاة الظهر وكانت العادة أن تكون الضيافة فى الطبقة الاولى ولكنه صعد بنا الى الطبقة الرابعة التى يسكن فيها عياله ووضع لنا تمرا وججا وهو الحبيب بلغة أهل الحجاز ولبنا وقال لنا هذا طعامنا معشر أهل نجد فى النهار ثم قال أنا ما دعوتكما للطعام ولكن دعوتكما لاخبركما بأنى لا أشك فى صحة عقيدتكما وأنكما تريدان الخير ولكنكما تجاوزتما الحد فى الشدة وأنتما تسمعان كلام الملك فى مجالسه العامة وتفهمان منه شيئا ونحن نسمع كلامه فى المجالس الخاصة وفى الرسائل الخاصة ونفهم منه شيئا آخر فعلى أى شىء نعمل على فهمنا أم على فهمكما فقلنا له ان كان الامر كذلك ينبغى أن تعملوا على فهمكم فقال اذا فتلفظا واتركا الشدة وكلاما طويلا من هذا القبيل ثم انصرفنا من عنده وكان يعنى بالكلام الذى يقوله الملك فى المجالس العامة ما كان يلهج به رحمة الله عليه اذا اجتمع عنده مشايخ العلم وهو قوله أيها العلماء مروا بالمعروف وانها عن المنكر فقد اخذت هذه الامانة من عنقى ووضعتها فى أعناقكم وأول من تبدؤون به فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أنا ثم أهل بيتى ثم عامة الناس فلم نصدقه فى قوله واعتقدنا أنه أراد أن يخدر أعصابنا بذلك الكلام الباطل واستمررتنا على خطتنا فتهايا هو للانتقام وعرف ذلك أخوه العالم الصالح الشيخ محمد بن ابراهيم رحمة الله عليه فدعانا وقال لنا أشهد الله على محبتكما وكأنه ينتصل

بذلك ويتبرأ مما يبينه أخوه وكذلك العالم الورع الشيخ عمر بن سليم رحمة الله عليه حذرنا من مكاييد الامير فأما الشيخ محمد بن عبد الرزاق فكاد له كيدا عظيما وكان والحق يقال أشد وأعنف عليه منى وذلك أنه كتب الى الملك عبد العزيز رحمه الله يقول ان محمد بن عبد الرزاق لا يطاق بقاؤه فقد كرهه سكان المدينة لغلظته وشدته وبلغ به التهور الى أن وقف على المنبر وقال لعنة الله عليكم يا أهل المدينة كلكم كفار ، وهذا بهتان عظيم فاني كنت جالسا عند المنبر أستمع الخطبة التي زعم أنه قال ذلك فيها وكانت من خطب شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب بدون زيادة الا ما جرت به العادة من الدعاء في آخر الخطبة الثانية فجاءت برقية من الملك تأمر الشيخ عبد الرزاق بالتوجه الى مكة ليكون واعظا في المسجد الحرام كما كان من قبل ، أما أنا فكتب في شأنى الى الملك عبد العزيز وأخبره أنى مشوش منفر قال ولم يكفه اطلاع الاخوان الذين يزورنه في المدينة، على ما يزعم أنه من تقصير الحكومة حتى سافر اليهم في النخيل وجراهم على انتقاد ولاية الامر وكان سبب غضبه على أنه لم يكن يريد أن أتصل بقبائل حرب لانهم كانوا يشتكون غلظته وشدته وظلمه فسي أخذ الزكاة وغيرها من الاحكام فظن أننى ذهبت لاعرف ما ينتقد عليه وأكشفه ويعلم الله أنى كنت في واد وهو في واد وأن الوقت الذى قضيته عندهم كان كله فى ذكر الله ومجالس العلم والوعظ والارشاد ولم أر مدة اقامتى عندهم منكرات حتى تمنيت أننى أبقى عندهم فى ذلك الجو الربانى الصافى من كل الاكدار ولم أفكر قط فى التدخل فى شؤون الامير ولما كتب بذلك الى الملك عبد العزيز رحمه الله أنتظر أن تأتيني برقية تدعونى الى مكة كما وقع لرفيقي فلم يأتنى شئ فأمر وكيل المالية الشيخ عبد العزيز الخريجي أن لا يدفع لى راتبا وحن وقت الحج فمر بنا الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمة الله عليه فسافرت معه الى مكة وطلبت النقل الى التدريس فى المسجد الحرام فأجابنى الى ذلك الشيخ عبد الله بن حسن وطيب خاطرى بكلام حسن أسأل الله أن يجزيه عنى خيرا فى دار القرار وكان ذلك آخر العهد بالمدينة الى أن ردنى الله اليها بدعوة من صاحب السماحة العالم الصالح الورع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز قبل ثلاث سنين زاده الله من فضله وأعلى درجته وجعله من الصديقين الاخيار .

« ذكر ما قلته من الشعر أيام اقامتى الاولى فى المدينة »

اللامية

أصبح قول الحق فى طيبة
انصاره مستضعفون على
من يأمرن بالعرف أو ينه عن
يكيده زعيمهم مثل ما
وذنبه عندهم جل أن
اذ كل ذنب عندهم دون ذنب
ويرمقونه بأبصارهم
وان رأى شركا وأنكره
قد عكسوا حكم اله الورى
الله يغفر الذنوب معا
الا الذى قد جاء بالشرك فهـ
لأنه أكبر ذنب وأد
انكاره التوحيد حتما فمن
وينصر الشرك على علمه
ان جاء مستنصرا صالح
قد غره بزعمه أنه
يكن كمن قد استجار بعمـ
يأمر بالرفق وباللين فى
ومن يرم من حقه ذرة
لاسامع عدلا ولا راحم
يسلب من يأمر بالعرف حقا
ويستبد بالامور معا
ان وافق الحكم هواه مضى

مثل يتيم ماله كافن
قتلهم وضدهم صائل
نكر يغله منهم غائل
يكيده السوقة والسافل
يشمله من عفوهم شامل
سب من يغار ان بدأ باطن
شزرا وفيها حقدهم جائل
بالقول فهو الظالم العائل
فى الشرك بسس الفعل والفاعل
وهو لكل تائب قابل
و آيس من عفوه عاطل
هى منكر يعمله العامل
أقره فدينه باطل
بسوء عقبي من له مائل
شاك له لنصره آمل
محقق دين الهدى كامل
رو فأتاه حقه العاجل
حق الاله صفحه شامل
فهو عليه ضيغم صائل
ضعفا ولا شكاته قابل
قد حباه المالك العادل
حتى القضا فهو به داخل
أولا يحل من دونه حائل

« قصة ابن منصور »

ويح ابن منصور غداة أتا
الرافضى خصمه طالب
وهو لانتصاره آمل
تعزيره بكيده عامل

انك انت الحاكم الفاضل
 وشرب تنن شغلي الشاغل
 ل ألق هذا التنن يا جاهل
 مثلك ما أنابه حافل
 يدى فبى من فعله خابل
 فاحكم فان حكمك الفاضل
 وقع ما قد قال ذا القائل
 ذكره فكله حاصل
 تسعى الى حتفك يا سافل
 ححق وأن ينخفض الباطل
 ركوب عار ماله غاسل
 الجاه سد دونها حائل
 ضرب فتى عن الاذنى غافل
 لعلم ححق وبه عامل

الرافضى قال يا سيدى
 كنت أسير فى طريق قبا
 فجاءنى هذا بظلم فقا
 قلت له دع الفضول ورح
 تناول التنن وألقاه ممن
 وهذه يا سيدى قصتى
 قال الامير لابن منصور هل
 قال نعم سلمك الله ما
 وقادنى لك فقلت له
 واليوم ظنى فيك أن تعلى الـ
 ما كان من أمر الامير سونى
 الا بتوبة نصوح وحب
 تناول العصى وأمعن فى
 وهو امام مسجد طالب

ضيم الححق

هار حتى دمه سائل
 ض بلاء غمه طائل
 يومئذ شقيقه الفاضل
 أمر عظيم شره هائل
 طيبة لا يرضى به عاقل

خدش وجه الححق فى ذلك النـ
 ضرب الموحد لارضاء ذى الرفـ
 نهاه عن ذلك نصحا له
 قال له خف الاله فذا
 ضربك من يأمر بعرف فى

فرح الفساق وحزن أهل الححق

طرا بما ارتكبه العامل
 من ذا المصاب كلهم ذاهل
 وجلها عن الهدى مائل
 وفعله لاحبذا الفاعل
 للمجرمين وحدهم شامل
 ينالهم من رفقته نائل
 وذو الرشاد ليس يستاهل

يا فرحة الفساق يومئذ
 وحزن أهل الححق أنهم
 وذا نموذج لافعاله
 تلون الحرباء فى قوله
 فأين رفقته بلى أنه
 لكن أهل الامر بالعرف لا
 رفق بنى شرك وذى بدعة

وحسبه من رفقته أنه كان ذا المغرور يحسب أن
 باع الهدى بعرض عاجل
 من باع بالعاجل آجله
 لم يعتبر ما قال خير الورى
 من يحدث الحدث في طيبة
 ولعنة الاملاك والناس أجمع
 مهما أتى بمنكر موبق
 وان أتاه الامر منه باص
 معتذر بأنه قديرى الـ

بسوطه لرأسه صامل
 الله عن أعماله غافل
 وعن قريب كله زائل
 يفوته العاجل والآجل
 يا حبذا المقول والقائل
 عليه لعن ربه نازل
 بين قد صححه الناقل
 يقل كذا أمرنى العاهل
 صلاح فما هو به عامل
 شاهد ما يجهله الراحل

تبرئة الامام

حاشا امام المسلمين فلا
 قوام ليل خائف ربه
 ذو ذلة على الاالى آمنوا
 نور الهدى بوجه لائج
 من يره بديهه حبه
 سبحان من ألبسه حلة
 من معجزات المصطفى
 يا أوجد الاملاك يا أول الـ
 عبد العزيز العلم الفرد من
 ابن سعود سعد الناس منذ
 تشكو اليك طيبة أمرها
 أزكى سلام طيب كامل
 يروى عن الرياض عن زهرها

يرضى بما يفعل ذا الخاتل
 فوق الذى يأمله الآمل
 وعزة اذا اعتدى الجاهل
 ما هو مخسوف ولا أقل
 بدر علاه مشرق كامل
 من فضله فهو بها رافل
 أمره لانه بهديه عامل
 سبعة يا من بره هاطل
 عز به دين الهدى الكامل
 بدا لهم فغمهم زائل
 فالدين فيها ما له كافل
 اليكم من ربنا واصل
 الى الرياض طيبه حامل

تمت

التائية

يحركنى للشعر من بعد تركه
 أرى كل يوم منكرات كثيرة
 سنين هموم أكثرت زفرائى
 يقطع نفسى رأيتها حسرات

فناديت في كل النوادي مؤذنا
أيا قومنا هبوا من النوم أنكروا
ألا غاضب لله يحمي حدوده
إلا بإذن لله نفسا كريمة
يصيح يا هل الشرك والفسق صائلا
ويدعو الى التوحيد بالصدق دعوة
يسل على أهل العقول لسانه
يشن على أهل البدائع غارة
ويخطب في التوحيد يبدى محاسنا
يجيبه أهل العقل لبيك داعيا
ومن قد أبى الا ضلالا فؤاده
ويزرى على التوحيد اما مصرحا
مكبا على نشر الضلالة موضعا
فذلك حد السيف أشفى لدائه
والا فحبس في السجون مخلدا
والا فرفع للامام بسرعة
والا فقد ختم أمانة ربكم
وختم امام المسلمين بغشكم
وختم عباد الله سرا وجهرة
فلا تحسبن الله يغفل عنكم
ألم تسمعوا ايعاده في كتابه
بلى قد سمعتم وعده ووعيد
أغرکم امهاله فطغيتهم
أفيقوا أفيقوا ويحكم قد هلكنم
ولا ياتكم عما قريب ترونها
أفيقوا أفيقوا ويحكم قد بليتكم
فتوبوا الى الرب الغفور وأصلحوا
لعمرى لقد نبهت من كان نائما
فيا عجبا من ناصر لضلالة

بنصح وكم رهبتهم بعظات
وغاروا على هتك لدى الحرمات
ألا قائم بالحق حلف ثبات
وعرضا مصونا أصدق البدلات
كزارة ضر غام على حمات
معززة محمية بظلمات
كسيف صقيل صادق اللهجات
فيحصد ما أبدوا من الشبهات
تفيض لديها العين بالعبرات
يخفون وحدانا له وثبات
مصرا على الاشرار والبدعات
واما بتعريض بمشبهات
الى الشرك يهوى الخبط في الظلمات
والا فسوط مؤلم الضربات
والا فنفس مؤذن بشتات
يرى فيه رأيا صادق العزمات
وختم لخير الخلق كل وصاة
وقد أوجب الرحمن نصح ولاة
وكنتم لما ترعون شر رعاة
تعالى عن الاهمال والغفلات
من لا يزيل النكر باللعنات
ولكنكم ساهون في الغمرات
وصارت قلوب منكم صخرات
وان الذى قد توعدون لآت
سرابا ولا يبقى سوى الحشرات
ولا يفتننكم زخرف الشهوات
وأوبوا لنهج الرشيد قبل فوات
وأيقظت من يصغى الى كلماتي
وخاذل دين الحق فعل غواية

ومن بائع راشدا بغى سفاهة
مخادع دين الله ساع لهضمه
ألم يدر أن الله يعلم جهره
ألم يدر أن الله ناصر دينه
وبلبس مسك الكبش سيد عملس
فكم خدع الراعى وعات بضائه
ويا ضيعة الدين الذى صار لعبسة
وان هم دعوا للعرف أو نفى منكر
وصدوا عن الداعى وعدوه أحمقا
بخوض بأمر ليس يعنيه ساعيا
وقالوا له ذا ليس شأنك فانتسه
فما أنت والامر الذى لست أهله
فنحن ولاة الامر فوقك حكمنا
وأنت لحمق فيك أبقيت مهملأ
فدم فى خمول واستعد لمحنة
وقالوا تعالوا دبروا فى مكيدة
تعالوا فشوا عند الامام ونمقوا
وقولوا له هذا شديد منفر
فكم فتنة قد شب فى الناس نارها
نخاف اتساع الخرق ان دم أمره
ليزد جر الحمقى من الناس مثله
لقد غفلوا عن قول أصدق قائل
فأخبر أن القوم جاؤوا بهمكرهم
ففى آل عمران والاعراف والنساء
وهل تنفع الآيات الا أولى تقى
وأما القلوب المغفلات عن الهدى
وما يستوى الاعمى وذو البصر الذى
وما يستوى النور المبين والدمجى

ولم يك ذا جهل بما هو آت
بكيد عظيم محكم الشبهات
ويعلم ما يخفيه فى الخلوأت
وقاذف أهل البغى فى الهلكات
لتأمين أغنام وخدع رعساء
فيا ضيعة الخرفان والنعجات
بأيدي طغام فى الشرور سعاة
تولوا وحاصوا حيصة الحميرات
ثقيلا بليد الطبع غير مؤات
الى حتفه جهلا بغير حصاة
والا تلاقى عاجل النكبات
هذا ذيك يا مسكين فز بنجاة
ونحن اصطفينا لاعتلا الرتبات
ولم تك أهلا لارتقا الدرجات
معجلة من أعظم المحنات
لتوقع ذا المجنون فى الهلكات
له فرية من زخرف الكذبات
عديم سياسات عديم أناة
وكم ذا له من طائش الحركات
فأنزل عليه أعظم النقمات
وتنتظم الاحكام منضبطات
لدى النمل تحذيرا لنا وعظات
فقد جاءهم مكر من الله آت
كذلك أى غير مشتبهات
وأفئدة صينت من الكدرات
فليست وان تحرص بمنتفعات
يميز به البيضا من الحفرات
وما يستوى الاحيا وأهل ممات

نرکت وثير الفرش مع لذة الغدا
فو الله لا ما لا أريد به ولا
ولكن مقصودى هداية معشر
تنقلت فى أحيائهم سبع عشرة (1)
وما منهم الا مطيع ومقبل
فلله أوقات مضت فى ديارهم
معمرة بالذكر والفكر فى الهدى
بقول اله الحق طابت وبعده
منزهة عن فحش قول ولغو
ويزعم ذو البهت المبيسن بأننى
ويزعم أنى قد ركنت لمن بقوا
فيا ليتنه يأتى الى مهابلا
فنجعل لعنات الاله جميعها
ولا بد يوماً أن يهشم باطن
على الملك النقاد يطمع ذو الغبا
ويأبى له العقل الرجيح ودينه
وانصافه عم النواحى وحلمه
لعبد العزيز الملك من آل فيصل
ولكنه خف الى المجد والنسبى
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة
فما الباطل المأفوك الا ضابطة
لتبحث امام المسلمين بعزيمة
وعندى من البرهان ما يهدم الذى
أصنخ لى امام الخير واسمع أدلتى
بعادل وانصاف أقامك ربنا
أوائله بالشام تلفى وحده
فلازلت شمسا فى اعتلاء ورفعة
ولازلت ذا شكر على النعم التى
وصل الهى كل حين وساعة

وراحة جسم فى المقام بداريا
لرفعة جاه كنت اذ ذاك ساعيا
غدوا فى قفار ما رأوا قط هاديا
أذكر فى أيامها واللياليا
سوى بعض أعراب فما كان صاغيا
لقد كان فيها الدهر صفوا مؤاتيا
فلم يك فيها القلب كالآن لاهيا
بقول رسول الله يذكر قافيا
لقد كان فيها القلب أبيض صافيا
خرجت لافساد وما زال فاريا
فقبیح ربى أينما كان باغيا
لدى باب بيت الله لله داعيا
على أينما كان فى الشر ساعيا
ويظهر حق كان من قبل خافيا
يروج مكذوبا من القول واهيا
قبولا لبهتان الذى جاء واشيا
وبذل الندى من أم نحوه جأيا
ثبات به فاق الجبال الروسيا
وتلقاه يوم الروع غضبا يمانيا
لمبلغك الواشى أتى المين غاوريا
تنزول ويبندو الحق أبلج صافيا
سعودية تجلى الامور كما هيا
بناه العدا من زخرف القول واهيا
فلازلت للمظلوم ملجأ وصاغيا
مليكا على هذى البلاد وراعيها
يمد الى أرض العراقين ضافيا
نضى على المولى وتغنى الاعاديا
حباك اله الناس للخير هاديا
على المصطفى المبعوث للخير داعيا

—————

(1) اشارة الى الايام التي خرجت فيها الى البوادي ورافقني الامير ماجد بن موقد رحمة الله عليه وكان أولئك البداية على دين الجهل والشرك واتيان الكهان وترك الصلاة فكانت الكاهنة تشد اليها الرجال ولا تتكهن لاحد الا اذا دفع لها جملا أو ناقة حلوانا وكان الامير ماجد رحمه الله شديدا عليهم لا يبدؤهم بالسلام واذا نزلنا في حى يأمرهم أن يأتوا بالشاة التي تعد لضيافتنا فيذبحها أحد رفقائنا لانه كان يعتبرهم مشركين لاتحل ذبائحهم وحدثني ونحن بين ظهرائهم فقال قد علمتنا التجارب التي شاهدناها بأعيننا أن النصر مقرون بالتوحيد والهزيمة مقرونة بالشرك فقد كنا نحن أنفسنا قبل أن يمن الله علينا بالهداية نستعد لقتال أهل التوحيد اخوان من أطاع الله بالآلاف والخيس والسلاح فيأتينا منهم ثلاثمائة أو أربعمائة فاذا رأينا قلتهم طمعنا فسى استئصالهم حتى اذا رفعوا أصواتهم وقالوا لا اله الا الله وهجموا علينا تفرق جمعنا وانهمنا لا نلوى على شيء ، ونسيت أيضا أن أقول فيما مضى أن أمير النخيل في الوقت الحاضر المجمع على صلاحه وتقواه مشعان بن أخت ماجد كان في ذلك الوقت يافعا وكان يقرأ على القرآن في أوقات فراغه فكان الصلاح عليه ظاهرا في تلك السن لانه كان لا يمل من حفظ القرآن كعادة الصبيان وهو الآن حى يشهد بصحة كل ما ذكرت وأن ما ادعاه أمير المدينة فى ذلك الزمان على كان اختلافا .

« بيان قصة ابن منصور الواردة فى القصيدة اللامية »

هو محمد بن منصور امام قرية من القرى التابعة لامارة المدينة نسيت اسمها كان صالحا حريصا على الخير يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى لله وهو شاب من أهل نجد وقعت له مع الامير قضيتان الاولى هى التى ذكرت فى القصيدة كان ماشيا الى قبا فلقى رجلا من شيعة المدينة يشرب الدخان فأمره بالقائه فأبى فأخذه من يده وألقاه على الارض فأمسك به الشيعى وقال أخاصمك الى الامير فتعجب ابن منصور وقال أنت تخاصمنى الى الامير أو أنا أخاصمك اليه فأينا المذنب فقال الشيعى أنت المذنب الظالم فانطلق الى الامير وتبعه محمد بن منصور فلما وصلا الى الامير ذكر الشيعى ما وقع بينه وبين ابن منصور فقال ان ما قاله واقع وأنا اقتصر فى تفسير المنكر على أدنى ما يجب وهو أخذ

لغافة الدخان من يده والقاؤها على الارض وهو يستحق عقابا أكثر من هذا؛ فضرب الامير ابن منصور ووبخه وقال له ما لك وله كان يشرب الدخان في الفضاء خارج البلد ومن جعلك رقيبا عليه هل أنت من جماعة الامر بالمعروف ؟ فقال ابن منصور ان الامر بالمعروف واجب على كل مسلم عموما وخصوصا على الامراء فغضب عليه وضربه .

« القصة الثانية وهى أفضح »

كان ابن منصور يصدق الابواب على أهل القرية قبل الفجر يوقضهم للصلاة فنهاه أهل القرية عن ذلك فلم ينته فضربوه وعلم أنه اذا اشتكى الى الامير لا يأخذ له حقا ولا يدفع عنه ضيما فانتظر حتى جاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن رحمه الله من الرياض مارا بالمدينة الى مكة فكتب شكوى وسلمها الى راجيا أن أبلغها الى الملك فأخذتها حتى وضعتها فى يد الملك فقرأها وسلمها الى الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله ليحكم فيها فدعا الشيخ الامير وسلمها له وقال له كيف يقع هذا فى امارتك فقال ما جاءنى ولا أخبرنى وأظهر تحمسا لنصره وقال للشيخ كن مطمئنا فانى سأعاقب أولئك الاندال عقابا يردعهم فلما توجه الملك عبد العزيز ومعه الشيخ عبد الله بن حسن الى مكة دعا الامير الذين ضربوه وأحضر ابن منصور وأوصى حاشيته أن يطلبوا منه العفو عنهم ويلجوا عليه فى ذلك فوبخهم الامير وسبهم وهم بضربهم فقام أصحابه وقالوا أيها الامير أصلحك الله مهلا لعله يصفح عنهم فطلبوا منه الصفح وألحو عليه وأظهر أهل القرية التوبة فعرف أنه مخذول وأن الامر بيت بليل فصفح عنهم ولم يحصل على طائل ، ولم أدرج هذه القصة فى القصيدة لانها وقعت بعد نظمها وفيما ذكرته فى القصائد الثلاث كفاية .

« التدريس فى المسجد الحرام »

تقدم انى نقلت أنا ورفيقى السى التدريس فى المسجد الحرام والتدريس فى المسجد الحرام امتحان عظيم للمدرس فبينما ترى مدرسا مشهورا بالعلم والفضل قد جلس للتدريس فى المسجد الحرام فلم يحضر درسه الا قليل من الناس لا يكادون يتجاوزون عشرة ترى مدرسا آخر ربما يكون دونه فى الشهرة

أو في العلم قد حضر درسه مئات من المستمعين وهذه الامور تسير طبقا لقسمته
الله تعالى كما ترى أصحاب الدكاكين هذا يزدحم المشترون عليه ويتدافعون والى
جانبه دكان يحتوى على مثل ما فى ذلك من البضائع أو أحسن وصاحبه عاطل
لا يأتية أحد وكنت ولله الحمد من القسم المحظوظ فكان يحضر درسى أمام
باب ابراهيم مئات من الناس ولم أعرف لذلك سببا الا أنى كنت أتكلم بلغة
يفهمها أهل الاقطار المختلفة من البلاد العربية وأولئك المدرسون الذين كانوا
فى أزمة من قلة المستمعين كانوا يتكلمون بعاميتهم الخاصة .

« التدريس فى المعهد السعودى »

كانت مدارس الفلاح التى أسسها الشيخ عبد الله حمدوه منتشرة فى
أنحاء مكة والتلاميذ يقبلون عليها كل الاقبال لان الشيخ عبد الله حمدوه
كان مربيًا عظيمًا ناجحًا فى عمله وكان يدعونى كل سنة للاشتراك فى الامتحان
مع أساتذة المدرسة العليا له وكان المعهد السعودى قد أسس قبل ذلك بمدة
ولم يحصل عليه اقبال للدعاية السيئة الراسخة فى أذهان العامة أنه معهد
وهاي يعلم تلامذته المذهب الوهابى حسبما يزعمه أعداء التوحيد ولم يكن
ذلك هو السبب وحده بل كان هنالك سبب آخر وهو عدم كفاية المدرسين
فاجتمع رجال الشورى للنظر فى رفع مستوى المعهد السعودى واتفق رأيهم
برئاسة سمو الامير فيصل نائب الملك على أن يختاروا للمعهد معلمين أكفاء
فوقع اختيارهم على مؤلف هذا الكتاب ورفيقه الشيخ محمد بن عبد الرزاق
وأخيهم العالم السلفى الشيخ بهجت البيطار فانتعش بذلك المعهد وكثر طلابه
وصارت له مكانة عند الناس وكان مدير المعهد أخانا ورفيقنا الشيخ ابراهيم
الشورى وكان يبذل جهده فى رفع مستوى المعهد .

« السفر الى الهند »

أقمت فى الحجاز أكثر من ثلاث سنين وأنا لا أزال فى عنفوان الشباب
ورأيت حتى فى ذلك الزمان أن العالم بلا شهادة كالمسافر بدون جواز سفر
ليس له مكان فى المدارس العليا واذا ألف كتابا أو أنشأ مقالا فأول سؤال
يسأله الناس هل عنده شهادة عالمية فيجىء الجواب لا هل يعرف لغة أجنبية

فيكون الجواب لا هل درس في أوروبا فيكون الجواب لا فيقال حينئذ (سيبك منه) يعني دعه ولا تلتفت اليه وتاقت نفسى الى الحصول على شهادة عالية وكنت متصلا بالمكاتبة مع عالمين جليلين أحدهما تقدم ذكره وهو السيد سليمان الندوى ، والآخر لم يتقدم ذكره وهو الشيخ أحمد السركتى فى أندونيسيا فلما علما بغرضى دعانى كل واحد منهما أن أكون مدرسا فى مدرسته وأملت أنى أستطيع أن أدرس دراسة عالية فى الهند أو فى أندونيسيا واحصل على شهادة أستطيع بها أن أروج علمى وأخذ حقى وأغزو المدارس العليا بدعوتى فرجحت بقضاء وقدر من الله تعالى التوجه الى الهند كان ذلك فى أول سنة 1349 فعينت رئيسا لاساتذة الادب العربى فى كلية ندوة العلماء وبقيت فيها ثلاث سنين ونيفا أبذل كل جهد فى تعليم أدب اللغة العربية بأسلوب جديد لاعهد لعلماء الهند به وهو تعليم الادب العربى باللغة العربية من أول درس الى آخر درس بدون استعمال لغة أخرى وقد كتب المربى الجرمانى برلتس فى مقدمة كتبه فى تعليم اللغات الحية كلاما موزونا مفيدا جدا أقتبس منه قليلا قال يجب على كل معلم للغة أن يعلم تلك اللغة بنفسها من أول درس الى آخر درس ويمتنع من الترجمة امتناعا كليا فان تعلم لغة بلغة أخرى عقيم وفيه مفساد أولها أن أكثر الوقت يمضى فى استعمال لغة غير مقصودة بالذات فيشتغل اللسان والفكر بشئ غير مقصود لذاته وذلك تضييع للوقت ، وثانيها أن المتعلم بتوسط لغة أخرى يضطر اذا أراد أن يكتب أو يتكلم الى التفكير باللغة المتوسطة ثم ينتقل منها الى اللغة المقصودة ولنضرب لذلك مثلا ، طالب عربى يريد أن يتعلم اللغة الانكليزية اذا علمناه اللغة الانكليزية بواسطة اللغة العربية وأراد أن يتكلم بالانكليزية أو يكتب مقالا لابد أن يفكر أولا بالعربية ثم ينتقل منها الى اللغة الانكليزية فيجىء كلامه وانشاؤه ركيكين خاليين من الفصاحة وحسن البيان ثالثها أن مدة تعليمه تطول لان اللغة المقصودة بالذات لاتنال من وقته الا القليل كما تقدم وضرب لذلك مثلا الاطفال الصغار كل طفل يتعلم لغة أمه بدون ترجمة مع ضعف ادراكه فى مدة قصيرة فينطق بها بغاية الفصاحة ولا يشعر بأذى تكلف وهذا هو الاسلوب الصحيح لتعلم اللغات وهو تكرار السماع على أذنى المتعلم يعقبه النطق الصحيح والكبير أحوج الى هذا الاسلوب وأكثر انتفاعا به لكمال ادراكه وكم رأينا من رجل غريب حل بأرض قوم وهو لايعرف من لغتهم

شيئا وفي بضع سنين صار فصيحاً في لغتهم دون استعمال ترجمة، ومن نصائح العالم الجرمانى برلتس لمن يريد أن يعلم الناس لغة أن يبدأ بالمرئيات فيأخذ الكتاب مثلاً ويشير اليه وينطق بلفظ كتاب فيسمعه المتعلم فينطق مثله ويكرر ذلك حتى يرسخ اسم الكتاب في ذهنه ثم ينتقل الى القلم والقرطاس والمسطرة وهكذا دواليك أما في الأفعال فيقوم المعلم وينطق بلفظ أقوم ويجلس وينطق بلفظ اجلس ويمشى وينطق بلفظ أمشى وهكذا الى أن يتعلم الطالب ما يكفى للسؤال والجواب فينتقل معه الى طريقة السؤال والجواب ، وهي أحسن الطرق في تعليم اللغات وقد شاع هذا الأسلوب في هذا الزمان. استعملت هذا الأسلوب ولقيت صعوبة في أول الأمر لاني كنت أدرس كتب النهايات وبعد شهرين زالت الصعوبة وصار الطلبة يفهمون وكنت أعلم الانشاء والخطابة مرتين في الاسبوع في مقصورة واسعة معدة لالقاء الخطب ففي ثلاث سنين وبضعة أشهر تخرج في الادب العربي جماعة من الشباب أذكر منهم مسعود عالم الندوى وأبا الحسن علي الندوى وقد ذكرته من قبل ومحمد ناظم الندوى وأبا الليث شير محمد الندوى وهو رئيس الجماعة الاسلامية في الهند في الوقت الحاضر وصار هؤلاء وغيرهم كتاباً ومؤلفين وخطباء ولم يعهد مثل ذلك في الهند ، وقد بين ذلك تلميذي الاستاذ أبو الحسن علي الندوى في مقالات نشرها ولم يكن راتبى يزيد على مائة روبية ولكنى كنت أحتسب عند الله من الاجر والثواب فى العاجل والآجل ما يفوق القناطير المقنطرة من الذهب والفضة واعتبط بذلك رئيس الندوة السيد سليمان الندوى ونائبه وساعده الايمن الطبيب الماهر الدكتور عبد العلى واقترح على السيد سليمان أن أنشى مجلة باللغة العربية ليتدرّب فيها المتقدمون فى العلم من الطلبة بكتابة المقالات فأنشأت مجلة «النضياء» وكان لها شأن عظيم لمدة من الزمن والآن تصدر فى الندوة حفيدتها مجلة «البعث الاسلامى» وهى أشهر عند قراء اللغة العربية من نار على علم .

(مَحْنَة)

كل قاصد لامر عظيم لابد له من امتحان فاذا صبر ظفر وانتصر واذا جزع ومل خاب وانكسر ، كان للندوة رجال من مشاهير العلماء والاعنياء يدبرون شؤونها تحت رئاسة السيد سليمان الندوى واتفق أن أحد كبارهم ويسمى

الشيخ الشرواني لقيني وكان يريد أن أخضع له كما يفعل معه غيرى من الشباب فلم أخضع له بل سلمت عليه سالما عاديا فاغتاز وقال لى لماذا تقص لحيتك مع انى كنت أترك منها قبضة اليد كما جاء عن عبد الله بن عمر فقلت له أقصها لانها لحيتى وليست لحيتك فقال لاتأخذ منها شيئا لان الطلبة يقتدون بك ، فقلت له أنا أستاذ الادب العربى وهناك أستاذ الفقه وأستاذ الحديث ولهما لحيتان طويلتان فكيف يتركون الاقتداء بهما ويقتدون بى فغضب وانصرف وكان ذلك من نزوات الشباب فعمل على اخراجى من الندوة فانتظر الى أن انعقد مجلس رجال الندوة (ولا أقول أعضاؤها لانه محدث) (محدث مقتبس من اللغات الاجنبية) فخطب فيهم الشيخ الشروانى وقال لهم هذا الاستاذ العربى لايعرف لغة أردو ولا يمكن أن يتمكن من تفهيم الطلبة مسائل العلم دون أن يشرحها لهم بلغتهم التى يفهمونها فرد عليه السيد سليمان الندوى والدكتور عبد العلى وبيننا له شدة حاجة الطلبة الى سماع علوم الادب العربى باللغة العربية فوق خلاف بين شيوخ الندوة وأخذت الآراء فانتصر الشروانى فجاءنى السيد سليمان الندوى والدكتور عبد العلى متأسفين ومعتذرين وقالوا لى لاشك عندنا أنك تريد بعملك فى هذه المدرسة وجه الله تعالى بتعليم لغة القرآن وقد قدر الشيخ الشروانى أن يقنع أكثر الشيوخ برأيه الباطل اجهلهم بشؤون التعليم فيرجو من فضلك ان تمهلنا أربعة أشهر نجعل لك فيها سبعين روبية بنقص ثلاثين من الراتب وبعد أربعة أشهر نرجو أن نفهم شيوخ الندوة مقدار الفائدة التى يجنيها الطلبة من علمك فقبلت اقتراحهما ، وأسست مدرسة صغيرة فى بيتى لتعليم التلاميذ الصغار اللغة العربية لابين خطأ رأى الشروانى الذى يزعم أن تعليم اللغة العربية بدون ترجمة لايمكن فاتفقت مع الدكتور عبد العلى ورجل من أشرف البلد كذا ندعوه منشى صاحب نسييت اسمه فاخترنا عشرة من التلاميذ من صبيان المحلة لايزيد عمر أحد منهم على أربع عشرة سنة وأخذت أعلمهم اللغة العربية بدون ترجمة طبعا وبعد أربعة أشهر دعونا الاساتذة ليمتحنوهم فامتحنوهم فى الانشاء والاملاء والتحدث بالعربية والقراءة فوجدوهم قد تعلموا فى أربعة أشهر ما لم يتعلمه غيرهم من الطلبة الكبار فى خمس عشرة سنة بالترجمة فتعجب الحاضرون وازدادوا يقينا بصحة ما قلته لهم ثم انعقد مجلس الندوة وكان الرئيسان المذكوران قد عملا فى تلك المدة على تفهيم شيوخ الندوة

واقناعهم بأن اللغة العربية لا يمكن تعلمها تعلمنا ناجحا الا باستعمالها نفسها
فأخذت الآراء فانهزم الشرواني ورجعت الى الندوة .

« مكرمة عربية »

لما علم السرى النبيل الشيخ مصطفى آل ابراهيم بهذه الحادثة بعث الى
ألفا ومائتى روبية وقال لى انى سمعت أن أهل الندوة عزلوك فبعثت اليك هذه
الدرهم وأنا مستعد لتليبتك فى كل طلب ، وهذا المقدار الذى أهدها الى هذا
الرجل الكريم يساوى راتبى فى الندوة لمدة سنة وكم له من مكارم ، وهذه
مكرمة أخرى نسيت أن أذكرها فى موضعها ، لما أمضيت سنة فى الدورة اجتمع
عندى من المال ما يكفى للتزوج والمعيشة استشرت العالم السلفى المحقق المتفنن
فى علوم كثيرة الشيخ محد بن أمين الشنقيطى نزيل الزبير بلدة قرب البصرة
استشرته وطلبتة أن يساعدنى على اختيار زوجة ولم أكن أعلم أن عنده بنتا بلغت
سن الزواج فلما أخبرت بذلك خطبت اليه ابنته فقال لى رحمه الله أنا لا أجد لها
أحد أفضل منك ولكن أمرها بيدأما فأنا أكون واسطة بينكما فقلت انى مستعد
لارضائها فلتطلب من المهر ما شاءت فطلبت مهرا عاليا فأجبتها الى طلبها وكان
الشيخ مصطفى آل ابراهيم اذ ذاك فى الهند فلما سمع بعزمى على الزواج بعث
كتابا الى وكيله الشيخ أحمد المشارى آل ابراهيم بارك الله فى حياته يقول لى
اجعل نفقات زواج الهلالى من السر كار فقال لى الشيخ أحمد ان مصطفى كتب
الى بكذا وكذا فكم تحتاج اليه من النفقة فقلت لا أحتاج الى شىء فقال لى لى
تنفيذ ما طلب منى فأصررت على أنى لا أريد شيئا فكتب لى كتابا الى الحاج
أحمد الذكير بالبصرة يقول فيه أى مقدار طلبه منك حامل الكتاب فلان فأعطه
اياه ورافقنى أحد عبدهم وهو أبو مقبل فقال لى ان الشيخ أحمد كتب الى الذكير
بكذا وكذا فكيف تمتنع من قبول هديتهم وأنت أسناذهم ونحن عبدهم وخدامهم
يزوجوننا من السر كار وأخذ يخاصمنى طول الطريق من الندوة الى البصرة
ويقترح على أن أطلب من الحاج حمد على الاقل ألفى روبية وكان سعر الروبية
فى ذلك الزمان ثلاث عشرة روبية بجنيه انكليزى فلما وصلنا الى الحاج حمد
الذكير قال لى كم تريد فقلت ألفا وخمسمائة فلما علم ذلك الشيخ مصطفى بعث
الى من الهند حوالة قدرها سبعمائة روبية فصار المجموع ألفين ومائتين

روبية فأَسأل الله سبحانه أن يكرمه في الدنيا والآخرة والسبب في ذلك كله حركة اعراب وهى فتحة قوله تعالى : «حمالة الحطب» لأنها كانت سبب التعارف ثم صارت بيننا رابطة توحيد الله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم .

« رحلة الى افغانستان »

وقعت في أفغانستان في ذلك الزمان حركة أمان الله خان وأشيع أنه أراد تغيير أحكام الاسلام من جنس ما فعله مصطفى كمال فى البلاد التركية فتار عليه الملك نادر شاه وقضى على حركته واستولى على الملك فتاقت نفسى الى معرفة أحوال المسلمين في تلك البلاد فتوجهت الى سمله وهى عاصمة بلاد الهند الصيفية وحصلت على سمة دخول الى أفغانستان من السفارة الافغانية ومدينة سمله مبان متفرقة فى سفح أحد جبال هماليا والتجول فيها لايمكن الا بركوب الركشة وهى عربة فيها مقعد واحد يجرها رجلان من أمام ويدفعها رجلان من خلف لان الطرق جبلية ضيقة ولا يوجد فى ذلك الجبل عدا ذلك الا سكة الحديد وطريق واحد يمتد فى وسط المدينة يمكن أن تسير فيه السيارة وكان الشيخ اسماعيل الغزنوى رحمه الله كتب لى توصية الى امام المسجد وبعد مشقة وصلت الى المسجد فلم أجد الامام فأعطانى قيم المسجد غرفة مفروشة حين أخبرته أننى جئت الى الامام بوصية وكان الوقت بعد صلاة الظهر وكنت جائعا فخرجت من المسجد فرأيت بيتا كالدكان فيه رجل يطالع كتابا له لحية طويلة سوداء فتوسمت أن يكون مسلما فسلمت عليه فرد على أحسن رد وقلت له انى جائع أريد طعاما فدلتنى على مطعم قريب فطوى كتابه وقام وسد الدكان وقال اتبعنى فصعد فى الجبل فى طريق للمشاة ملتو يسمى فى جبال نمسا بالطريق الجنشى لانه يشبه الجنش حتى وصلنا الى بيت فدخل وأذن لى فى الدخول ثم فتح مقصورة وأمرنى بالجلوس فجلست وغاب عنى قليلا وأنا أتعجب لان هذا المكان ليس بمطعم قطعا فجاءنى بطعام كثير فأكلت ثم جاء بالحلوى ثم قال لى هذا بيتى أرجو أن يكون هذا الطعام قد وافقك وكان كلامه كله بالعربية ثم سألتنى من أنت فقلت له أنا محمد تقى الدين الهلالى أستاذ اللغة العربية بندوة العلماء فعانقنى وقبل رأسى وقال لى هذا يوم مبارك سعيد فنادى ابنه وهو شاب فى سن العشرين وقال له ان الله أكرمنا فى هذا اليوم بكرامة عظيمة

هذا الاستاذ محمد تقي الدين الهلالي مؤسس مجلة الضياء الذي نقرأ مقالاته ونحن في شوق الى لقائه قد جاءنا وشرف بيننا فعانقني ابنه وبالغا كلاهما في الترحيب من سوء الحظ نسيت اسم هذا الرجل وكنيت اذكره الى وقت قريب ثم ذهبنا الى المسجد والتقينا بالامام السندي جئت بتوصية اليه فقرأها وتنافس الرجلان في ضيافتي واكرامى فبقيت في ضيافتهما ثلاثة ايام قضيت في اثنائها الوطر الذي سافرت الى سملة من أجله وهو طلب سمة الدخول الى أفغانستان من السفارة الافغانية الا أن رجال السفارة مع اكرامهم لي اعتذروا لي بأن النظام المتبع يقتضى أن تبعث رسالة برقية الى وزارة الخارجية في كابل فاذا جاء الاذن منها يمكن اعطاء سمة الدخول قال لي أحد رجال السفارة أيمكنك أن تدفع ثمن البرقية فقلت نعم فقال لي سأحاول أن أجعلها رخيصة الثمن لان العادة تقضى بأن نكتبها باللغة الفارسية لكن بحروف انكليزية والقانون يقضى عنى مكتب البريد أن يعد كل خمسة عشر حرفا كلمة واحدة ولذلك سأجمع لهم في كل كلمة عدة كلمات فشكرته على ذلك فلم يبطن الجواب وجاء بالقبول فتوجهت من سملة الى لاهور ومنها الى بشاور وبقي على أمران أحدهما طلب الاذن بالدخول الى أفغانستان من السفارة الفرنسية وأقرب سفارة فرنسية الى بشاور هي بومباي والمسافة بين بشاور وبومباي خمس وثلاثون ساعة في القطار ذهابا ومثلها ايابا وفي ذلك من النفقة والتعب ما لا يخفى وكان عندي جواز مغربي فرنسي آخر بلد مذكور فيه (فارس) وتسمى بالفرنسية (لا برس) وقواعد اللغة الاوروبية كالفرنسية والانكليزية والجرمانية والاسبانية تقضى في المتعاطفات أن لا يذكر حرف العطف الا في آخرها فاذا أرادوا مثلا أن يقولوا جاء زيد وعمرو وبكر وخالد يقولون جاء زيد وعمرو وبكر وخالد ومن تفتن الى لغة القردة من كتاب العرب ومديعيهم يجدهم يستعملون هذه القاعدة في اللغة العربية ففكرت للمرة الاولى والاخيرة في التصرف في جواز السفر بزيادة لفظة أفغانستان فجرت ألوانا من الحبر حتى وجدت حبرا مشابها للحبر الذي كتبت به أسماء البلدان المأذون في دخولها في جواز سفرى وكان جواز سفرى قد بلغ بكثرة الاضافة خمسين صفحة يتحير فيه كل من رآه حتى أرشده أنا الى أريده فلما وجدت الحبر المناسب عمدت الى حرف العطف الذي قبل فارس فكشطته بسكين حادة ثم كتبت مثله وبعده كلمة أفغانستان وهذه

مخاطرة عظيمة ولاسيما في مدينة بشاور لانها آخر مدينة في حدود المستعمرة البريطانية العظمى التي كانت تسمى الهند الانكليزية وفيها من الشرطة السرية والعلنية ومراقبة المسافرين ما يوجد عادة في البلاد التي على الحدود فلا بد ان ادخل امتحانا عظيما حين اقدم جوازي لرجال الامن لانهم يفحصونه فحصا دقيقا واذا اطلعوا على التزوير يبالغون في عقابي وكنت قد نزلت ضيفا مكرما عند الشيخ عبد العزيز النابوي البشاورى وكان من كبار التجار ومن العلماء فبقيت عنده اسبوعا ومن خصائص هذه المدينة ان أهلها لهم صهاريج كبيرة يملأونها ثلجا فى وقت الشتاء وفى وقت الصيف يأخذون منه كل يوم ما يبردون به مشروباتهم وأظن انى رأيت مثل ذلك فى مدينة كركوك وأربل فى شمال العراق وكتب لى توصية لابن عمه فى كابل وهو تاجر كبير اسمه الهى بخش .

ثم دخلت الامتحان وهو تقديم جواز سفرى لرجال الامن ليرخصوا لى فى الخروج من الهند الى أفغانستان وكنت خائفا جدا ان يكتشفوا التزوير فأعماهم الله عنه ورخصوا لى فى الخروج من الهند وقبل ان اخرج من بشاور اخبر القارىء ان سكانها أفغانيون يتكلمون بأربع لغات لغتهم الخاصة ولغة اردو ولغة بشتو وهى الافغانية واللغة الفارسية وهى لغة حكومة أفغانستان الرسمية والعلمية ولغة بشاور قريبة من لغات بنجاب ويختلف الافغانيون عن أهل الهند ببياض ألوانهم وقوة أجسامهم وكثرة أكلهم بالنسبة الى أهل الهند . ركبت سيارة البريد وتوجهت الى كابل ولما وصلتها أخذت عربية الى بيت الهى بخش فوصلت الى بيته وناولته الكتاب فقال لى بلغة اردو بأى لغة تتكلم فقلت له بالعربية فقال لى بالعربية فقط فقلت نعم ثم قلت له ان العربية لغة القرآن ولغة الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب على كل مسلم ان يتعلمها فقال (مشكل) وهذه الكلمة تستعمل فى لغة اردو بمعناها العربى ثم قال لى ادخل فدخلت وصعدت معه السدرج الى الطبقة الاولى بناء على اصطلاح الاوروبيين فانهم لا يعدون الطبقة الارضية فوجدت فيها مكتبة التجارى وغرفا أخرى فجاعنى بالشاى الاخضر لان أهل أفغانستان يشربون الشاى الاخضر كالفاربة وجاء بالخبز فملا كأسى وحلاها بالسكر فشربتها وأكلت معها شيئا من الخبز ثم صب لى الكأس الثانية الى نصفها ولم يملأها ولا وضع فيها سكر فقلت له ضع فيها السكر

فقال لي انها الكأس الثانية فقلت له وهل الكأس الثانية تشرب مرة فقال نعم هذه
عادتنا نحن لا نحلي الا الكأس الاولى وما زاد عليها نجعله الى النصف مرا فقلت
وقل زبي زدني علما ثم صعد بي الى الطبقة الثانية وأدخلني غرفة مفتوحة
للسطح وفيها فراش فقال لي اجلس هنا وأنا أرجع الى أشغالي التجارية وسأعود
اليك بعد صلاة الظهر ، فأخرجت القرطاس والقلم وكتبت الى الشيخ عبد العزيز
الندوي كتابا قلت له فيه ان ابن عمك الهى بخش لم يكرمنى ولم يتلقنى
ببشاشة فبدل أن يرحب بي قال لي (مشكل) وسأنتقل من بيته الى (مسافر خانه)
أى بيت المسافر وهو بمنزلة الفندق فى أقرب فرصة ووضعت الكتاب فى غلاف
وكتبت عليه العنوان باللغة الانكليزية فلما جاء بعد صلاة الظهر رأى ذلك
الكتاب موضوعا الى جانبي فقال لي من كتب هذا فقلت أنا فقال تعرف اللغة
الانكليزية فقلت نعم فتهلل وجهه وظهرت عليه امارات الفرح وأخذ يتكلم معي
بانكليزية فقال لي لما سألتك ماذا تعرف من اللغات قلت لا أعرف الا العربية
فلماذا لم تخبرنى بأنك تعرف اللغة الانكليزية فقلت لم يخبر ببالى أنك تعرفها
لان هيئتك بهذه اللحية الطويلة والثياب الافغانية لا تدل على ذلك فقال لي بل
أنا سافرت الى البلاد البريطانية مرارا لجلب البضائع واستمر على تلك
البشاشة مدة اقامتى فى كابل وهى خمسون يوما وبلغ به الحرص على اكرامى
الى أننا حين زرنا وزير الخارجية فضل محمد لناخذ منه الاقامة ، دعانى الوزير
الى أن أكون ضيفا على الحكومة الافغانية فجزع الاله بخش لذلك وقال له أنا
خادم الحكومة وأنا أنوب عنها فأرجو ان تسهحوا ببقائه عندي فقال لا بأس ثم
زرت العلماء وهم الشيخ سيف الرحمن الافغانى والشيخ منصور الهندى وشيخ
الطريقة الشيخ المجددى والطريقة المجددية فى البلاد الافغانية هى أعظم الطرائق
انتشارا وتليها الطريقة القادرية وأهل أفغانستان كلهم الا المتفرنجين متمسكون
بطرائق المتصوفة وشيوخ الطرائق كثير عددهم كنت جالسا فى مكتب الهى
بخش فجاء رجل يتبعه ستة نفر ويعظونه غاية التعظيم فجلس وشرب الشاي
ثم أعطاه الهى بخش شيئا من الدراهم وانصرف وتبعه عبيده فقال لي الشيخ
الهى بخش أتدرى من هذا قلت لا قال هذا شيخ طريقة ومن هم أولئك النفس
الذين يتبعونه فقال لي هم كل ما عنده من المريدين وقد فرض عليهم أن
يخصصوا يوما فى الاسبوع لخدمته من الصبح الى المساء يطوفون معه على التجار

جمع الصدقات فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب فان هذا شيخ محظوظ لانه حصل على ستة مرابين وهناك شيوخ ليس لهم ولا مرید واحد وهم يبحثون عن كون مرید الهم فلا يجدون فيأتي أحدهم مثلا الى الرجل فيقول له أريد أن تجعل لي بعض أولادك يكون مرید الى فيقول كل أولادى يتبعون شيوخا آخرين فيقول أعطني من سيولد لك فيقول قد وعدت بهم شيخا آخر فاذا ظفر برجل يعده بأنه اذا ولد له ولد يكون مریدا له ينتظره الى أن يولد ويكبر فيتخذه مریدا ، أما الطريقتان المجددية والقاردية فهما غنيتان عن مثل هذا العمل ورأيت الشيخ المجددى وأنا عنده يأتيه الشخص ويذكر له أن عنده مريضا فيأخذ عوذة من وعاء مملوء بالعود ويناولها اياه ويأخذ منه دريهمات وهذا الشيخ المجددى يعظمه جميع الناس ويقبلون يده حتى الملك نادر شاه وقد عرض عليه أن يكون وزيرا للعدل فامتنع من ذلك لانه يحط من قدره ان يحتاج الى أن يقف مع الوزراء فى المحافل الرسمية ، ثم قبله على أن ينسب عنه صهره فى الاشتراك فى المحافل ولا يباشر هو بنفسه عمل الوزارة وقد رحب بى هؤلاء الشيوخ وفرحوا بمقدمى وأجمعوا على أنه لابد أن أنزل فى ضيافة الحكومة فكلموا وزير الخارجية فقال لهم لقد دعوتهم الى ذلك من قبل فلم يقبل أبو مشواه ففتحتموا على أن أنزل فى دار الضيافة فنزلت فيها وهى فى الفندق الفخم المسمى هوتيل دى كابل خارج المدينة ، ونزال هذا الفندق ما بين أوروبى وأمريكى وتركى أو متفرنج يتزيا بزيتهم وبين الفندق ووسط المدينة نصف ساعة لراكب العربى فشق على أن أقيم فى ذلك الفندق للأسباب التى ذكرتها أضف الى ذلك أن أجرة اليوم الواحد فى ذلك الفندق ست عشرة روبية أفغانية وأنا أستطيع أن أعيش بروبية واحدة فى كل يوم فان الاطعمة والفواكه كثيرة ورخيصة فلماذا أتحمل تلك المنة فبقيت ثلاثة أيام ثم قلت لأولئك العلماء أنا جئت من الهند لزيارتكم والتحدث معكم وقد أبعدهموني عنكم وصعبتم على لقاءكم بهذه الضيافة التى حتمتم على فقالوا لي نحن أردنا اكرامك فان كان الامر كذلك فاذهب الى وزير الخارجية واعتذر له بمثل ما ذكرت لنا ، وكان الوزير قد عين لى شهرا كاملا فى الضيافة فذهبت اليه فأعفانى من ذلك ورجعت الى بيت الهى بخش .

« الشيخ عمر أوزبك »

من فوائد هذه الرحلة أنى لقيت العالم الامير المجاهد الشيخ عمر أوزبك وهو عالم من خيرة علماء أوزبكستان من الاتراك المسلمين القاطنين بالاتحاد السوفيتى حارب الاستعمار الروسى اثنى عشرة سنة كما أخبرنى هو بنفسه بذلك رحمة الله عليه وقص لى قصته وهى باختصار أنه لما وصل الزحف الشيوعى الى بلاده نادى فى الناس بالجهاد فتبعه تلامذته وكثير من المؤمنين وخرجوا الى الجبال وأخذوا يغيرون على العدو المغير على بلادهم ليسلبهم أثمن شىء عندهم وهو الدين فمزالوا يحاربون مدة اثنى عشرة سنة حتى قتل اكثرهم وضاعت عليهم المعشية ففروا الى الحدود الافغانية فقبض عليهم الافغانيون وكان مع الشيخ أهله وثلاثمائة من خيرة أنصاره ثم عرفت الدولة الافغانية فضل هذا الشيخ وعلمه وصلاحه فأطلقت سراحه وأعطته مبنى كبيرا سكن فيه وجعل بعضه مدرسة ومسجدا ففرحت كثيرا بقاء هذا الشيخ لان نود الايمان كان يشرق على وجهه كما قال تعالى : «سماهم فى وجوههم» .

« الكلام بالعربية »

كنت أزور هذا الشيخ مرة بعد مرة فجاءنى يوما رجل وقال لى ان زوجة الشيخ تسلم عليك وتقول انها علمت أن الشيخ قد فرح بقدمك وأجلك فهى ترجو أن تشفع لها ولأولادها عنده أن يتكلم معهم بلغتهم ولو ساعة فى كل يوم فقلت فى نفسى هذه معضلة ثم ذهبت اليه وشفعت عنده فقال لى ان الروسين أجبرونا على تعلم لغتهم فتعلمناها وأتقناها ولو لا أنهم علموا أن تعلم لغة القوم يقرب المتعلم منهم لما أجبرونا على تعلم لغتهم فانا لا أتكلم مع المسلمين الاقربين والابعدين الا بلغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم فان شاءت هى وأولادها أن أتحدث معهم فليتعلموا لغة القرآن والرسول وأنا مستعدة لتعليمهم اياها وكان هذا الشيخ الجليل يتقن ثلاث لغات التركى وهى لغته والفرسية والروسية ، كتابة وقراءة وتحدثا وتاليفا وكان رحمه لله صادقا فيما ذكر .

« زيارة الملك »

فى تلك الايام جىء بجنازة محمد عزيز خان أخى الملك ناذر شاه قتل فى جرمانية وكان سفيرا لآخيه فى برلين فوجهت أم الملك السابق آمانى الله خان طالبا أفغانيا لقتله انتقاما لابنها فقتله وكان وزير الخارجية فضل محمد قد عرض على مرتين زيارة الملك فدعوت للمك بخير وقلت لا حاجة لى عند الملك وانما جئت للقاء العلماء فان كان واجب الضيافة يقضى على بزيارته فانا مستعد لها فلما جاءت جنازة أخيه رأى العالمان الجليلان الشيخ سيف الرحمن والشيخ منصور أنه لابد من زيارته وتعزيتته فذهبت معها وعزيناها فتلقانا بما ينبغى للعلماء من الاجلال وجلسنا فى مكان غير بعيد من مجلسه وكان المجلس يضم جميع الوزراء والاعيان وسفراء الدول كلهم فكانت الوفود من القبائل والمدن تاتى لتعزيتته فلا يكاد الوفد الواحد يحصل على أكثر من خمس دقائق لكثرة الوفود وضيق الوقت المحدد وكان كل وفد يقدم أمامه قارئ القرآن فيقرأ آية واحدة قصيرة ثم يعزونه بالفارسية وينصرفون ليتقدم وفد آخر ولما تكلم الملك بالفارسية فهتم تقريبا كل ما قال وفي السوق اذا سمعت كلام أصحاب الدكاكين لا أفهم ما يقولون الا قليلا وسبب ذلك أن المتكلمين باللغة الفارسية فى تلك البلاد مختلفون فكلما ازداد أحدهم علوا فى الثقافة والادب الفارسى يكثر من ادراج المفردات والجمل العربية فى كلامه فلا يبقى الا الضمائر وبعض الافعال التى تختم بها الجمل ، وبينما نحن كذلك جاء الشيخ عمر أوزبك ولم يصحبه أحد مع أن تلامذته يعنون بالمئات كما تقدم وأظنه فعل ذلك تواضعا ووقف أمام الملك فتعوذ وبسمل بصوت عال وبدأ سورة طه حتى وصل الى قوله تعالى : (ان فى ذلك لايات لاولى النهى) وذلك ربع هذه السورة وكانت قراءته فى غاية الترتيل ولم يجسر احد أن يقول له قد أطلت وأخذت أكثر من حقت من الوقت فاختم ثم عزاه بالعربية الفصحى وانصرف .

« لماذا لم أحرص على زيارة الملك »

لم أحرص عليها لان القوم اعتادوا أن لايجيئهم أحد من العرب الا طامعا فى ردهم فتوكلت على الله وقلت فى نفسى لاقيمين لهم البرهان على أن العرب ليسوا كلهم مستجدين لاسيما وقد علمت من أستاذ اللغة العربية وهو مصرى

نسيت اسمه لسوء الحظ أنه في تلك السنة زار أفغانستان رجلاً ممن
ينتمون إلى العلم والأدب أحدهما عراقي والآخر شامي ولا أقول سورى لأنه
معرب سرياني كما أن سوريا معناها بلاد السريانين والعرب لا تعرف بين
العراق ومصر إلا الشام كما قال شاعرهما :

أزمان سلمى لا يرى مثلها الراؤون في شام ولا في عراق
وأشعارهم في ذلك كثيرة . أما العراقي فحكى لي عنه أموراً قبيحة منها أنه
عندما أراد التوجه إلى أفغانستان ذهب إلى سفيرها الاستاذ المجددي في جدة
فسأله توصية إلى الحكومة لتضيفه وتكرمه فكتب له ما أراد فلما وصل لم
يستقبله وزير الخارجية ولا رجال الضيافة بما كان يؤمل من الحفاوة وزاد في
الطين بلة وفي الطنبور غنة أنه طلب لقاء الملك فلم يروه أهلاً لذلك إلا أنهم
أنزلوه في دار الضيافة ولما أراد السفر سأله ما هي وجهتك فقال بغداد
فقالوا بأي طريق فقال إيران فقدموا له من المال ما يكفي لنفقات سفره في
الدرجة الأولى وظن أن ذلك المال جائزة فاستصغرها وأطلق لسانه في الفندق
بسبب الحكومة والظعن فيها فبلغ ذلك وزير الخارجية فدعاه وقال له بلغنا أنك
تسبنا على رؤوس الأشهاد فما ذنبنا فقال أنا صحفي كبير مرتبط مع صحيفة
واسعة الانتشار ولم تسهلوا لي لقاء الملك ثم أعطيتهموني جائزة حقيرة ، فقال
له الوزير لولا أن الناس رأوك في ضيافتنا لامرت بسجنك ثم أخرجك من البلاد
على حالة لاسرك ولو علمنا أنك هكذا ما استقبلناك ولا أنزلناك في دار الضيافة
والنقود التي أعطيناك ليست جائزة كما توهمت ولا ثمننا لدعاية تعملها لنا في
الصحيفة التي تذكر أنك مراسلها فلا حاجة لنا بدعائتك ولكن من عادتنا أن كل
ضيف ننزله في دار ضيافتنا إذا أراد الرحيل قدمنا له إذا يوصله في الدرجة
الأولى إلى البلد الذي جاء منه وقد سألتك عن وجهتك وطريق سفرك وإلى أين
تسافر فأخبرتني فقدمنا لك مقدار ما يكفي لسفرك في الدرجة الأولى ، فقال
عدلت عن السفر بطريق إيران وأريد أن أسافر بطريق البحر وهذا لا يكفي
فقال له الوزير : فهلا جئتني وأخبرتني بذلك فأزيدك في مقدار الدراهم دون
أن تطلق لسانك في فندق مشحون بالأجانب من أجناس مختلفة ، وخبرني
الاستاذ المصري بامر هو أخبرني من ذلك فقال : قال لي ذلك العراقي هل تريد أن
تسافر إلى مصر بطريق العراق ؟ قال : فقلت نعم ، قال : فقال لي إذا وصلت

الى بغداد فزرنى فان لى أختا جميلة أقدمها لك لترافقك ، قال مؤلف هذا الكتاب
ووجود هذا الرجل فى العراق لا يضير العراقيين ولا ينقص من قدرهم فهم أهل
الشجاعة والكرم والاباء وشرف النفس ولا يوجد فى الدنيا شعب كلهم خيار ،
فهذا من الشناذ وقد سجنه العراقيون سنين ونبذوه فهام على وجهه ، أما العالم
الشامى فانه لم يفعل شيئاً من مثل ذلك الا أنه جاءهم بقصد الاستجداء وقبل
ما قدموه له من المال ولم يتعفف عنه ولذلك صممت ألا أقبل منهم شيئاً .

« المرض بالحمى النافض »

كانت مدينة كابل فى ذلك الزمان وهو سنة 1352 هـ غير نظيفة ولا مبلطة
الشوارع وكانت المياه القذرة تجرى فى وسط المدينة فى قنوات مكشوفة
وتنبعث منها رائحة كريهة فبعد اقامتى فيها نحو شهر أصابتنى الحمى النافض
التي تسمى فى هذا الزمان ملاريا وكنت فى دار الهى بخش ولا أستطيع أن
أتفاهم مع خدامه وأخذنى الى طبيب متخرج فى لندن فأعطانى دواء فلم ينفعنى
وكان يتردد على لطلب علم الادب العربى الشيخ محمد عمر الافغانى وكان قد
درس فى بلاد الشام وتزوج بامرأة شامية وله منها ولد عمره اثنا عشرة سنة
وكان قد اقترح على أن أنتقل الى منزله ليخدمنى هو وأهله فأبى الهى بخش ،
فلما مرضت وعجزت حتى عن تناول الماء للشرب استأذنت أبا مشواى فى الانتقال
الى بيت محمد عمر فأذن لى فأقمت فى بيته مدة تقارب عشرين يوماً وكان الهى
بخش لا ينقطع عن زيارتى ومما قاله لى ذات يوم نحن ما رأينا من العرب أحدا
عفيف النفس يحافظ على شرفه مثلك فقلت له ان فى العرب من أهل الفضل
والشرف والعفاف الجم الغفير ولو أنك ذهبت الى بلادهم لرأيت اباؤهم وكرمهم
وعلو همتهم ولا يأتىكم هنا منهم الا قليل جدا من ذوى الحاجات ، وكانت الحمى
تأتينى يوماً وتتركنى يوماً وفى اليوم الذى تأتينى فيه تبدأ قبل الزوال بساعة
فلا يأتى وقت العصر الا وقد فقدت ادراكى وصرت أهذى هذيانا ، وكان محمد
عمر وأهل بيته يعنونون بى أشد العناية بحيث لو كنت فى بيتى لما لقيت أكثر
من ذلك فجزاهم الله خيرا وأكرمهم فى الدنيا والآخرة ، وكانت لغتهم هسى
العربية فلا أحتاج الى كلفة فيما أريد ولم تكن تفارقنى الحمى الا بعد منتصف
الليل وكنت فى ذلك الزمان أعتقد أن جمع التقديم للمسافر لا يجوز وانما يجوز

جمع التأخير فكنت أؤخر صلاة الظهر الى أول وقت العصر فلا يكون عندي من الادراك ما أضبط به الصلاة فكنت أشرع في الصلاة مضطجعا بالفكر وحده فتأخذني غمرة من الاعماء ثم أفيق ثم أشرع في الصلاة مرة أخرى ثم يأخذني الاعماء ثم أشرع فيها مرة ثالثة فلا أكاد أتمها الا في الثالثة أو الرابعة ولو كنت في ذلك الوقت آخذا بالرخصة كما أخذ بها الآن لصليت الظهر والعصر جمعاً في أول وقت الظهر قبل أن يختل عقلي وكانت تلك الحمى تبلغ من الشدة الى حد أنني حين أبول أصبح من شدة حر البول فلم يهل محمد عمر ولم يكمل .

« علاج غريب »

كنت في زمان الجهل أكتب للمحموم في قشرة لوز فروعون وفي أخرى قارون وفي أخرى همان كلهم في النار فأمر المحموم أن يتبخر بالقشرات الثلاث في كل يوم حين تغيثه الحمى فقلت في نفسي وقد ضعف عقلي وجسمي دعني أجرب هذا العلاج ثم قلت ليس عندي دليل شرعي على أن هذا يجوز ولكن غلبني الضعف وقلت لمحمد عمر انتنى بشيء من اللوز لاكتب على قشوره فلم يجد شيئاً فقلت له اكتب على قطع من القرطاس بدل قشرة اللوز ما تقدم ذكره فكتب ذلك ولما جاءتنى الحمى وبدأ غليانها يشتد تبخرت بتلك القطع فخفت عنى الحمى الى حد أنني لم أفقد عقلي في ذلك وصليت الظهر والعصر جالساً وقلت لمحمد عمر ينبغي أن أرجع الى الهند فقال لي أنت ضعيف جداً لا تستطيع السفر فقلت له أطلب من مدير المدرسة رخصة ثلاثة أيام لتصحبني الى حدود الهند فان مت في الطريق فغسلني وصل على وادفني وان وصلت الى الحدود فارجع راشدا فطلب الاجازة وحصل عليها وفي ذلك اليوم جاءني الهى بخش فقلت له سلم لي على وزير الخارجية فضل محمد وقل له انى أشكره وأشكر جلاله الملك ورئيس الوزارة على اكرامهم وأستاذن في السفر فرجع الى فى اليوم الثانى الذى لا تغيثنى الحمى ووجد رجلين من المدينة النبوية عند محمد عمر فسألنى عن الحال وبلغنى سلام وزير الخارجية وأنه يدعو لى بالشفاء وناولنى صحيفة مطبوعاً عليها وزارة الخارجية وقال لى أكتب عليها بالانكليزية أنك تسلمت خمسمائة روبية أمر لك بها رئيس الوزراء على ما جرت به العادة من تقديم الزاد لكل ضيف ينزل فى ضيافة الحكومة بقدر ما يوصله الى البلد الذى يقصده

وقد أخبرته أنك تريد الرجوع الى كندا وهذا التقدير هو أجرة السفر الى كندا في الدرجة الاولى ، فكتبت على تلك الصحيفة بالانكليزية انى أشكر جلالة الملك ومعالي رئيس الوزراء ، ومعالي وزير الخارجية ، واعتذر عن قبول هذه الهدية لانى كما اخبرت

معالي الوزير فى البرقية قبل دخول أفغانستان وأخبرته مرارا مشافهة أن غرضى من زيارة أفغانستان زيارة العلماء والاطلاع على أحوال المسلمين ولا حاجة لى بذلك المال فقراه الهى بخش وقال الحمد لله هذا الذى كتبت كنت أتوقعه وأخبرت الوزير به وأنا خائف أن أكون مخطئا فانى قلت له غالب ظنى أن محمدا تقى الدين الهالالى لا يقبل هذه الدراهم وقد صدق ظنى ففهم الرجلان الدينيان أننى رفضت قبول ذلك المال فلما انصرف الهى بخش أظهر غضبهما وقال لى يا شيخ ايش سويت ما تخاف الله نحن جئنا من المدينة الى هنا وقطعنا بحورا وبسرا ونحن محتاجان الى روبية واحدة وهذا مال حكومة فان كنت مستغنيا عنه فهلا قبلته وقدمته لنا ويكون لك عند الله أجر عظيم وأغلظا على فى القول حتى اتهمانى بالذفاق فأنكر ذلك عليهما محمد عمر فقلت ليه دعهما فان الحاجة أنطقتهما بذلك وشرحت لهما قصة العراقى والشامى فأصرا على أن عملى كان خطأ فقلت لهما هذا هو اجتهادى .

« حال المسلمين فى أفغانستان فى ذلك الزمان »

كان أمان الله خان الملك السابق قد أجبر النساء على السفور ولبس الثياب التى لا تستر عورة المرأة وهى كلها عورة الا الوجه والكفين وأجبر الرجال حتى قاضى كابل وعمره ثمانون سنة أن يلبسوا الثياب الاوروبية الضيقة وكان يشجع الفتيات على حضور الحفلات شبه عاريات فلما انتصر عليه الملك نادر شاه رجعت النساء الى حجابهن ومنعن من الخروج الا لحاجة مع التستر التام ولكن كانوا غالين فى التمسك سفرو المذهب الحنفى فكانوا يؤخرون العصر الى قرب الاصفراء ولا يقبلون من مسلم أن يكون له مذهب غير حنفى حتى أننى لما كنت مسافرا من بشاور الى كابل وصل وقت الظهر ووقفت السيارة فنزلت وتوضأت وتوضأ بعض المسافرين وجاءوا ليصلوا معى فلما رأونى رفعت يدي عندى الركوع قطعوا صلاتهم وصل كل واحد وحده ومرة سافرت فى سيارة من لاهور الى بشاور فلما جاء وقت الصلاة توضيت وصليت معهم مأموما فلما رأونى أرفع يدي عند الركوع وعند الرفع منه وعند القيام من

التشهد الاول أخذوا يتكلمون مع الامام غضابا باللغة الافغانية وطال خصامهم معه حتى بعد ما ركبنا فى السيارة فلما انتهت الخصومة التفت الى وقال بالعربية أتعرف لماذا كان هؤلاء يخاصموننى قلت لا قال لانك رفعت يديك فى الصلاة ظنوا أنك من الفرق الضالة فبينت لهم أن الحق ليس منحصرافى المذهب الحنفى وحده وأن أئمة أهل السنة كل واحد منهم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث صحت عنده فعمل بها وعمل بها أتباعه وكان ذلك الامام من جماعة مولاى الياس وهى جماعة مشهورة فى الهند عندها شىء من التصوف يطوف رجال هذه للجماعة فى جميع أرجاء الهند وفى أوروبا وأمريكا وفى افريقية وكانوا يزورون المغرب فى كل سنة يدعون الناس الى قول لا اله الا الله والمحافظة على الصلاة وهم موجودون هنا فى المدينة أيضا ومن عاداتهم أنهم لا يقبلون من أحد من أهل البلدان التى يزورونها شيئا لا مالا ولا طعاما الا اذا تحققوا أن من قدم لهم ذلك الطعام من أهل العلم والصلاح واخلاص النية لله وكان يخرج معهم بعض أصحابنا السلفيين الى القرى والبوادرى للدعوة والذى أخذته عليهم هو الالتزام الشديد لفروع الحنفية فلا يكادون يعملون بالاحاديث الصحيحة اذا خالفت فروع الحنفية وهناك شىء آخر أقبح من ذلك وذلك أنهم يصلون فى المساجد المبنية على القبور التى اتخذت أوثانا تعبد من دون الله ولا ينكرون على عبادها وحضرت مجالسهم فى بشاور يجتمعون كل يوم جمعة بعد العصر فى بيت أجدهم وما عندهم لا رقص ولا غناء ولا ذكر مشتمل على بدعة يقرأ كل واحد منهم ما يتيسر من القرآن فى المصحف ثم يترجمه لغة يفهمها الحاضرون أما لغة اردو أو الفارسية أو الانكليزية وقرأت أنا أيضا نصيبا من القرآن وترجمته بالانكليزية وأنا لا أمنع أصحابنا من مرافقتهم الا أننى أحذرهم من الصلاة فى المساجد المبنية على القبور وأمرهم بانكارالشرك والبدعة كلما رأوا شيئا من ذلك بقدر جهدهم ولم أر فى أفغانستان منكرات ظاهرة كتبرج النساء وشرب الخمر ونسيت أن أقول أننى لما قطع أولئك الافغانيون صلاتهم خلفى لمتهم على ذلك فقال لى رجل من الذين لم يصلوا لا تعبأ هؤلاء فانهم لا صلاة لهم لانهم (سود خور) يعنى أكلة الربا .

« بوزد وزخ »

ذكرت فيما مضى انى لم ار فى أفغانستان منكرات ظاهرة وذلك يدل على أنهم كانوا متمسكين بالدين على قدر مبلغهم من العلم ولكن كان هناك متفرنجون قليل عددهم عظيم كفرهم وكانوا مستأئين من انتصار الملك نادر شاه وقضائه على دعوة أمان الله خان التى تشبه الدعوة الكمالية ومن هؤلاء نائب وزير التعليم وكان الافغانيون يسمونه بوز دوزخ ؛ ومعناه بالفارسية تيس جهنم أخبرنى الشيخ اسماعيل الغزنوى رحمة الله عليه أنه زاره فى مكتبه فرأى صورة لبنين معلقة فوق رأسه فقال له كيف تعلق هذه الصورة وأنت تعلم أن صاحبها عدو للدين فأجابه بقوله انى أعبد هذا الرجل .

« عودة الى السفر »

خرجت مسافرا من كابل يرافقنى الصديق المخلص محمد عمر فى اليوم الذى لا تأتيني فيه الحمى على أنها بعد ذلك العلاج الغريب صارت لا تأتيني الا خفيفة جدا ركبنا فى سيارة البريد وسارت بنا ساعة واحدة ، فأحسست بالجوع ولم أحس به منذ اصابتنى الحمى الا فى تلك الساعة فقلت يا محمد عمر انا جائع فقال هذه علامة خير انا ما جئت بطعام لعلمى أنك لا تأكل وما عندى الا شئ من الخبز والمشمش والمشمش فى كابل مطعم بالخوخ كبير الحجم لذيد الطعم والتنطيم هو أن يؤخذ غصن من شجرة فيحفر له فى ساق شجرة أخرى غار ويدخل بعض الغصن فى ذلك الغار ثم يسد فتتغير ثمرة الشجرة وتصير ممتزجة مع ثمرة الشجرة التى أخذ منها الغصن فيتألف منهما حجم جديد وطعم جديد فأخرج لى ما عنده من الخبز والمشمش فأكلته كله ولم أشبع ومررت على مطعم فيه قدور كبيرة مملوءة باللحم والمرق وخبز أفغانى كبير يكاد الرغيف منه يكون كخمرة المصلى أى الحصير الذى يصلى عليه فقلت لصاحب السيارة قف فانى جائع جدا فقال لى أمامك مطاعم أفضل من هذا ثم تعطلت السيارة فلم نصل الى أول مطعم الا بعد مضى هزيع من الليل وكنت خائفا ان لا أجد طعاما ولكنى وجدته فأكلت شيئا كثيرا من اللحم والمرق والبطيخ ولم أجساد خبزا ولم يضرنى شئ من ذلك ولا أصابتنى الحمى بعد ذلك فتعجبت من تأثير

ذلك العلاج العجيب ولم أستطع تعليله الى الآن وخطر ببالي أنه ربما يكون حر
الجهر والمدخان الذى كنت أتبخر به سببا فى زوال الحمى وقد خبرنى بعض
الاطباء الاوروبيين الذين هم معجبون بطب العرب أن العرب كانوا يدا وون
الشيء بجنسه لا بفضده كما يفعل اليونانيون فيداوون الحرارة بحرارة من نوع
آخر والبرودة ببرودة من نوع آخر وهكذا فان صح ما قاله هذا الطبيب فلعل
حرارة النار اذهبت حرارة الحمى باذن الله والله أعلم . ولما وصلنا الى حاكم بلاد
الحدود بين أفغانستان ومستعمرة الهند الانكليزية ويسمى هذا الحاكم سر حد دار
ومعنى سر حد بالفارسية رأس الحد ودار تختم جزء كلمة تختم بها أسماء المحترفين
فيقال للخازن خزنة دار أكرمنا حاكم الحدود وقدم لنا نوعا من البطيخ ليأكل
يؤكل بالملعقة تقطع البطيخة نصفين وتفرز ملعقة فى وسط كل نصف ويقدم
للضيف فى صحن فيأكل اللباب بالملعقة ويبقى القشر كأنه اناء مستدير وجاءت
امراة أو روبية وقدمت له جوازها فسألها بالفارسية فلم تفهم شيئا وتكلمت باللغة
الفرنسية فلم يفهم أحد من الحاضرين ما قالت ثم تكلمت بالانكليزية فلم يفهم
أحد شيئا فاستأذنت الحاكم فى أن أترجم له كلامها ففرح بذلك ، فقالت
له انها فرنسية وأنها مسافرة الى كابل لزيارة زوجة السفير الفرنسى فى
كابل فقدم لها نصف بطيخة وفيها ملعقة مفروزة وكنا نحن قد فرغنا من أكل
البطيخ فتحيرت وقالت لى كيف يمكن أكل البطيخ بالملعقة فقالت لها هذا النوع لين
جدا يمكن أن تدخل فى الملعقة وتأخذى ملئها ثم تملئها مرة أخرى حتى يبقى
القشر كأنه اناء فارغ .

استدراك :

ذكرت شيئا وقع لى فى كابل نسيت أن أذكره فى محله جاءنى صاحب
صحيفة اصلاح وسألنى أسئلة كثيرة تتعلق بحال المسلمين فى المغرب فأخبرته
بجميع ما يرتكبه المستعبدون الفرنسيون فى المغرب من الفضائع من قتل وسجن
ونفى وتعذيب واغتصاب أملاك وكان جواز سفرى قارب الانتهاء فعزمت على
أن أرجع الى الهند قبل انتهاء مدته لاننى كنت لا أشك بأن السفارة الفرنسية
فى كابل قد اطلعت على ذلك المقال وعلى مقال آخر نشرته فى مجلة أخرى
نسيت اسمها فمنعنى الشيخان سيف الرحمن ومنصور فقلت لهما ان السفير
الفرنسى لا بد أن يكون قد اطلع على المقالين فاذا أقيمت هنا الى أن تنتهى مدة

الجواز وذهبت اليه ينتزع مني الجواز ويظردني فقالا توكل على الله ولا تعجل بالرحيل وربما نأخذ لك جوازا أفغانيا وهذا من المستحيل ولكنها شيخان من شيوخ علم الدين لا علم لهما بقوانين جواز السفر فبقيت الى أن انتهت مدة الجواز وتوجهت الى السفارة الفرنسية وأنا خائف أشد الخوف فلما قدمت جوازي للكاتب أخذ يسألني عن المغرب وعن رحلتي الى هذه البلاد وقبل ذلك قال لي بأي لغة تتكلم فقلت بالعربية والانكليزية فقال لي ولا تعرف الفرنسية فقلت لا فدعا بترجمان يسمع كلامي بالعربية ثم يترجمه بالفارسية ثم يترجم بالفرنسية ثم قال لي تكلم بالعربية فتكلمت فقال لي أنا أفهم كل ما تقول ولا حاجة الى الترجمة وقد أقيمت بالمغرب سنين وبالجزائر سنين فما رأيت أحدا يتكلم بالعربية بفصاحة مثلك وأخذ الجواز وجدده وقال لي ان تمن التجديد خمس عشرة روبية وقد أعفيتك من دفعها اكراما لعلمك باللغة العربية ثم قال لي أين تعلمت الانكليزية فقلت في الهند فقال لي كم سنة قضيت في تعلمها فقلت سنتين فقال سنتين فقط، وتقدر أن تتكلم بها فقلت نعم .

« عودة الى حدود الهند »

لما وصلنا الى حدود الهند ودعنى الشيخ محمد عمر راجعا الى كابل لانه وجد سيارة متوجهة اليها ولما رأى مفتش الاجوزة جوازي قال لي أنت ليست عندك سمة الدخول الى الهند فأريته أن نائب القنصلية الفرنسية في البصرة كتب في جوازي ما نصه (يجوز لحامله أن يدخل الهند كم شاء من المرات ما لم تنقض سنة من تاريخه) فأخرج لي كراسا مكتوبا بالآلة وقال لي اقرأ هنا فقرأت بالانكليزية ما معناه (كل قادم من أفغانستان يجب أن تكون عنده سمة دخول الى الهند اما من كابل واما من جلال آباد) وجمال آباد مدينة صغيرة على نحو الثلث من طريق كابل ثم قلت له راجع رؤساءك في بشاور بالتليفون فقال لي ان القانون صريح فمراجعتي لهم تكون غباوة مني واياك أن تظن أنسى أريد بك شرا هذا سرير للنوم وأنا مستعد لضيافتك الى أن نهر بنا سيارة متوجهة الى أفغانستان ، ففوضت أمرى الى الله وذهبت حقيبتى مع سيارة البريد التى كنت مسافرا فيها الى بشاور وقال لي تريد شايأ أخضر أو أسود فقلت لا أريد شيئا فلم يمض الا وقت قليل حتى جاءت سيارة من الهند متوجهة

الى أفغانستان فأمر سائقها أن يوصلنى الى سرحد فلما رجعت الى حاكم الحدود وأخبرته بما جرى تأسف وقال لى مرحبا بك بت هذه الليلة هنا وفى الصباح تسافر الى جلال آباد فان قضى غرضك فيها فذاك والا تتوجه الى كابل وأخبرنى أن تلك المرأة الفرنسية لما ذهبت أنا الى حدود الهند سألتهم بالاشارة عنى فأخبروها أنى مغربى فطلبت لفتاى فلما بحثوا وجدوا السيارة قد سارت وكان الفرنسيون فى ذلك الوقت يحكمون المغرب الكبير أى معظمه من حدود تونس الى حدود سينيغال ويعطفون على المغاربة اذا رأوهم خارج المغرب كأنهم منهم أما فى داخل المغرب فيذيقونهم العذاب الاليم فبت تلك الليلة عند الحاكم وفى الصباح توجهت الى جلال آباد فلقيت الكاتب المختص فلم يأذن لى بالدخول الا بعد مضى ساعتين ولما أذن لى وأخبرته بهرادى أخذ يقرأ جوازى ويسألنى عن كل شىء خفى عليه منه الى أن أتى عليه ثم قال لى لا بد أن تسافر الى كابل واستغرق بحثه فى الجواز ساعة وكان من أخبت الكتاب وكان هند يائم توجهت الى كابل وأقمت بها أربعة أيام حتى حصلت على سمة الدخول الى الهند من السفارة الانكليزية ورجعت الى بشاور ونزات عند الشيخ عبد العزيز الندوى ثم عدت الى لكانا .

« ركوب الفيل »

ترددت قليلا فى اثبات قصة ركوب الفيل لانها من الاستطراد الذى لا علاقة له بالدعوة ولا بطلب العلم فتخيلت أن بعض القراء الذين يحبون الاطلاع على كل شىء يقول لى أثبتها كما أثبت غيرها مما لا علاقة له بالموضوع ونهمة القراءة كنهمة الطعام فكما أن الطعام لا يصبر على طعام واحد فكذلك القارىء . كان فى الهند رجل من أهل العلم يتردد على حين كنت فى لكانا وقد أخبرنى أن أصله من العرب وأبوه راجا أى من رؤساء الاقطاع ودعانى مرارا لزيارة والده فأجبتة الى ذلك وأخذت معى أخى محمد العربى ومحمد مظهر وكلاهما كان طالبا فى المعهد السعودى بمكة ثم انضم محمد مظهر الى تلامذة ندوة العلماء وهو مولود بمكة وأصله من الهند فبعث لنا ابن الرجا فيلا قد جعل على ظهره متكا من الزرابى والوسائد وركبنا القطار من لكانا حتى وصلنا الى المحطة التى كان الفيل ينتظرنا فيها فأناخ الفيال الفيل ولم أكن أعلم قبل ذلك أن الفيل يناخ كما يناخ البعير وبعد ما أناخه لم ينقص من علوه الا

قليل لقصر قوائمه وضخامة بطنه فأعاننا الفيال حتى ارتقينا الى ظهره وجلسنا
نتحدث ونطالع الكتب فركب الفيال على قفا الفيل وبيده عصي كعصى القدوم
في رأسها حديدية يضرب بها الفيل على رأسه عند الحاجة فسار بنا الفيل سيرا
سريعا وكان الفيال قاسيا على من يصادفه في الطريق من الفلاحين الذين
كانوا يسافرون من مكان الى مكان في عربات تجرها الثيران فاذا أحس الثور
بصوت الفيل ينفذ ويخرج من الطريق وهو مرتفع فيقع في المزرعة ويسقط
الفلاحون من عرباتهم المفتوحة وتسقط أمتعتهم فيضحك الفيال فرحمناهم ونهيناه
عن ذلك ولما حان وقت صلاة الظهر قلنا له نريد أن نصل فأناخ الفيل حتى
نزلنا وصلينا ثم عدنا للركوب وللفيالين لغة تعرفها الافيال ولا يعرفها احد
غيرهم فوصلنا الى الراجا ووجدنا له قصرا تحيط به اراض واسعة يملكها كلها
ويملك من فيها من الفلاحين فأقمنا عنده بضعة أيام وأكرمنا غاية الاكرام
وأخبرنا أن جده جاء من عمان منذ زمان وأن أسلافه تركوا له هذه الثروة وهو
يجن الى وطنه الاصل الى بلاد العرب ، وعلى ذكر الفيلة أقول أن أمثال هذا
الراجا في الهند كثير وكلهم رؤساء اقطاع الواحد منهم يملك بضعة وعشرين
فيلا علف الفيل الواحد منها يكفى للنفقة على اطعام خلق كثير من الناس
وليس لهم غرض بهذه الفيلة الا التفاخر والتكاثر وكنت أشاهد مواكب الفيلة في
مدينة لكناو اذا كان عند أحد الرؤساء الملقبين بهذا اللقب فرح كعرس أو
خطبة يؤلف رعاياه موكبا من الفيلة وعلى ظهرها قباب من الحرير المذهب يجلس
فيها أقارب الراجا من رجال ونساء ويطوف الموكب المدينة كلها وتكون القباب
التي على ظهور الفيلة مساوية في الارتفاع تقريبا لمن يجلس في الطبقة الاولى
من البيوت ، أقمنا عند الراجا العربى بضعة أيام كما تقدم ثم استأذناه في
السفر فهيا لنا الفيل وكان أخى محمد العربى مولعا بركوب الابل فسأله أن
يعطيه ناقة يركبها بدل الفيل فأعطاه اياها ولما أخذ الفيل يسير بنا في الطريق
الى محطة سكة الحديد وبيننا وبينها ثلاث ساعات يسير الفيل أخذ يسير
ببطء شديد فقلنا له أسرع كما كنت تسرع في المجيء حتى لايفوتنا القطار فقال لنا
اننى سأسرع بكما كما أسرع بسيدى الراجا ولكن لا أضمن لكما أن تصلا
الى المحطة قبل وصول القطار اليها واذا وصلنا متأخرين ووجدنا القطار قد فات
يلزمكم أن تبيتوا في القرية المتصلة بالمحطة ولا تجدون فيها طعاما ولا مأوى

وتمضون فيها يوما وليلة الى أن يجيء القطار من الغد ففهمنا مقصوده وهو أنه يريد البخشيش فأخذنى العناد وقلت فى نفسى سيده يدعوننا ليكرمنا وهو عبد يتحكم فى رقابنا ويغرمنا فقلت له اما أن تسرع كما فعلت فى المجيء والا كتبت الى سيدك لينزل بك أشد العقاب يا غدر يالكع فأخذ يتكلم مع الفيصل بلغة الفيالين ويضربه على رأسه بالحديدة ويقول له مجم مجم بفتح الميم والجيم وتشديد الميم أى أبطىء فلا يزيد الفيال الا ابطاء وتثاقلا فتعجبنا من ذلك وكنا قد سبقنا أخى محمد العربى بمسافة طويلة فلما تباطأ الفيال لحقنا فسمع الفيال رغاء الناقة فنفر وهرب بنا فأخذ الفيال يضربه بالحديدة ويقول مجم مجم فلم يطعه فقلنا الحمد لله انحلت المشكلة وأهزت أخى محمد العربى أن يبقى دائما خلفنا بناقته ويضربها لترغى فبطل كيد الفيال وضحكنا عليه كثيرا فوصلنا المحطة قبل مجيء القطار بساعة وكان الفيال وثديا فلما نزلنا وأراد أن يرجع جمع كفيه وألصق يديه بصدره اشارة لتحية الوداع وهى تحية معروفة عند الوثنيين وطلب البخشيش وهو ما يعطى من الاكرام للخدم فقلت له مجم مجم هذا هو البخشيش الذى نعطيك الذى أعطينا وهو مجم مجم فانصرف خائبا وهذه القرية التى فيها محطة سكة الحديد هى أحد أملاك الراجا .

« الحمى النافض »

اشند على مرض الحمى حتى أصابتنى فى تسعة أشهر سبع مرات فى كل مرة أبقي محموما من أسبوع الى أسبوعين ومن أجل من عرفته من الاطباء النطاسيين فى مدينة لكانا الدكتور محمد نعيم الانصارى وقد نزلت عنده ضيفا مكرما مرارا قبل أن أستوطن لكانا فى احداها أقمت عنده خمسة عشر يوما ليس لنا طعام الا العدس لان الحرب شبت نارها بين المسلمين والهنادك فتعطلت الاسواق ، وجعل أغنياء الهنادك لكل من يأتهم من سفلتهم برأس شخص مسلم سواء أكان ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا قويا أو عاجزا مبصرا أو اعمى عشر روبيات وكان كاندى الزعيم الهندى طليقا غير مسجون وكان فى امكانه أن يخمد تلك الحرب بكلمة واحدة فلم يفعل لانه كان من أكبر أعداء الاسلام والجاهلون بحالة من العرب يقدرسونه كما يقدرسه الوثنيون فى الهند

ويسمونه المهاتما جهلا منهم والمهاتما معناه المقدس عند الوثنيين وكان عالى الثقافة شديد التعصب عظيم المكر والدهاء يتظاهر للمسلمين بالمسألة والمحبة كالحية الرقطاء وقد زعم فى صحيفته هريجان أن الله أوحى اليه أن طهر المذبذبين وألحقهم باخوانهم من الطبقات العليا قال فى صحيفته فان سألتهمونى دليلا حسيا على أن الله أوحى الى بذلك أقول لكم ما عندى دليل ولكنى لا أشك فى هذا الوحي وهذا العمل منه يدل على أنه لم يكن مؤمنا بدين أسلافه البراهمة لان محو الطبقات وتوحيدها يهدم الدين البرهمى من أساسه لانه مبنى على عقيدة تناسخ الارواح وذلك أن الارواح تاتى الى الدنيا فى أجسام الاطفال عند ولادتهم فاذا كبر الطفل وعمل أعمالا مطابقة لما تريده الآلهة وكان فى طبقة سافلة كالمذبذبين تنتقل روحه بعد موته وترجع الى الدنيا فى مولود من طبقة أعلا منها فاذا عمل بما تريده الآلهة فى هذه الطبقة الثانية يرجع الى الدنيا بعد موته فى جسم مولود من الطبقة الثالثة ثم اذا عمل بما تريده الآلهة فى الدور يرجع بعد موته الى الدنيا فى جسم مولود من الطبقة العليا وهى طبقة البراهمة. أما اذا عمل بخلاف ذلك وكان فى طبقة عالية غير طبقة البراهمة فانه يعود الى الدنيا فى طبقة أسفل منها وان استمر على فعل السيئات فى نظرهم لا يزال أسفل الى أن ترجع روحه فى أجسام الحيوان ثم لا تزال تسفل حتى ترجع فى أجسام الحشرات طبقا لقانون الجزاء وهو الثواب أو العقاب ، ولذلك قتله المتعصبون من أبناء جنسه غيرة منهم على دينهم وكنت مجاورا لاحد أتباعه من خاصته وكان طلبية العلم يأتون الى بيتى فنجتمع على ذكر الله فاذا نى ذلك الجار حتى اضطررت الى الانتقال من شدة بغضه للمسلمين ، والآن بعد هذه الجولة أرجع الى علاج الحمى كان الدكتور محمد نعيم الانصارى اذا لم يكن مسافرا يفحصنى ويكتب لى العلاج ويحدد لى يوما وليلة لزوال الحمى ، واذا كان مسافرا لا ينفعمنى علاج غيره وهذا سبب عزمى على الرجوع الى العراق وترك السكنى فى الهند وكان ذلك فى شعبان سنة 1352 هـ ولم أبق فى العراق الا مدة يسيرة حتى سافرت الى أوروبا كما تقدم .

الدعوة الى الله فى مكناس

سافر ت من العراق الى البلاد الجرمانية كما تقدم فى سنة 1959 بتاريخ
النصارى ثم توجهت الى المغرب وجلت فيه جولة ثم نزلت عند عميد الدعوة
السلفية فى المغرب أستاذى ومرشدى شيخ الاسلام محمد بن العربى العلوى فى
بيته بمدينة فاس رحمة الله عليه وبقيت عنده الى أن تم نقل عملى من جامعة
بغداد الى جامعة الرباط والفضل فى ذلك لله وحده ثم لنا بفة المغرب العالم
الاديب المنفنى ذى التأليف المفيدة والفضائل العديدة السيد عبد الله كنون
أطال الله بقاءه وأدام فى المعالى ارتقاءه ولما استقررت فى مدينة فاس عزمتم
على استئناف العمل فى الدعوة الى اتباع الوحي عملاً بقوله تعالى فى سورة
الزخرف ، « فاستمسك بالذى أوحى اليك أنك على صراط مستقيم وأنه لذكر
لك ولقومك وسوف تسألون » ما أعظم هذه الآية وما أشد موت قلب من لا
تحركه ولا تؤثر فيه فشاورت شيخنا المذكور فى ذلك فوجدته قد استولى عليه
اليأس فقال لى دع هؤلاء الاموات فقد طبع الله على قلوبهم فقد تعبت فى
دعوتهم وتعبت قبلى رائد الدعوة السلفية العالم الكبير الشيخ شعيب الدكالى
وكان بحراً زاخراً فى علم الكتاب والسنة وعلوم كثيرة فقلت له يا أستاذى انى
دعوت الى الله فى أقطار مختلفة فنجحت دعوتى وبلغت فوق ما أملت وهؤلاء
القوم بشر كأولئك الذين دعوت فدعنى أجرب فقال لى توكل على الله فبدأت
دروس الدعوة فى مسجد المدرسة العنانية فى فاس فما مضى الا أسبوع واحد
حتى غص المسجد بالمستمعين وبعد مدة حضر درسى رجل يرتدى بزة أو روبية
فاخرة فلما فرغنا من الدروس وصلينا العشاء عرفنى بنفسه وأخبرنى أنه وزير
الاقواف وأثنى على درسى وقال لى أين تريد أن تذهب فقلت أنا نازل فى بيت
أستاذى شيخ الاسلام محمد بن العربى العلوى فقال لى أنا آخذك بالسيارة الى
هناك وذهبنا الى هناك فرحب به شيخنا وزاده تعريفاً بى فقال لى اذا أتبت
الرباط فأرجو أن تزورنى فى وزارة الاوقاف فزرتة لما ذهبت الى الرباط لالقى
دروسى فى الجامعة وبين فاس والرباط مائتان من الاميال المعروفة بكيلو متر
وانما سكنت فى فاس مع بعدها من الجامعة خوفاً من مرض الربو الذى يشتمد

على بقرب البحر ويخف أو يزول إذا ابتعدت منه وقد عمتى تجرب من
من أصيب بهذا المرض في بلاد رطبة الهواء كشواطئ البحار فتؤء أن يعر
الى الاراضى الجافة الهواء كالصحارى ، أما من أصيب به فى بلد يابس الهواء
فدواؤه شواطئ البحار فزرت الاستاذ السيد مكى بادو فرحب بى ودعانى
للطعام وأكرمنى غاية الاكرام ولما خرجت من عنده جاءنى أحد الموظفين وقال
لى ان السيد المكى يعلم أنك تلقى دروس الوعظ والارشاد لوجه الله لا تريد
عليها مكافأة ولكنه يجب أن تكون واعظا رسميا معنا من قبل وزارة الاوقاف
وقد جعل لك مائتى درهم فى كل شهر وهذا شئ حقير جدا بالنسبة الى مقامك
ودروسك القيمة ولكن نظام الوزارة لايسمح بأكثر من هذا فان رواتب الوعاظ
لا تزيد على مائة درهم فقبلت ذلك واستمرت فى دروسى ثمانية أشهر ثم انتقلت
الى مكناس باشارة من أستاذى لانها أقرب الى الرباط فبينهما مائة وأربعون
ميلا بنقص ستين ميلا هذا بعد ما جربت هواءها ووجدته مناسبا وشرعت ألقى
دروس الوعظ فى الجامع الكبير فأقبل الناس كذلك على درسى فى مكناس اقبالا
عظيما ولكن الجامدين من الفقهاء وأصحاب الطرائق شرقوا بتلك الدروس
وكذلك المتأكلون بالنسب ورأوا أنها أخذت تهدم ما بنوه من قصور الخرافات
على الرمال وتظهر للعامة جهلهم وانحرافهم عن الجادة فأجمعوا على أن يكيدوا لى
كيدا يقضى على وكان الذى تولى كبر ذلك رجلا له نفوذ ودالة على أمير مكناس
ونواحيها وكان هذا الامير من أبناء عمومة الملك محمد الخامس رحمة الله عليه
وبينهما مصاهرة فكان يفعل فى امارته ما يشاء ولعلو مكانته عند الملك
لايستطيع وزير ولا رئيس أن يعارضه فكتب ذلك الشخص ومعه أولئك الاعضاء
كتابا الى وزارة الاوقاف يطلبون منى من التدريس لامور ، منها : أننى بزعمهم
أنكر كرامات الاولياء وأنقض المذهب المالكى وعدوا أمورا سمعوها فى درسى
من انكار الشرك والبدع ، ووقع على هذا الكتاب خمسمائة شخص وكان وزير
الاوقاف فى ذلك الوقت كها هو الآن معالى الاستاذ الحاج احمد بركاش ومدير
شؤون الوعظ والارشاد هو العالم السلفى صاحب الفضيلة السيد محمد
الطنجى وهما يعلمان أن الساعى فى ذلك له نفوذ عظيم عند الامير لايرد له طلبا
ومع ذلك وفقهما الله سبحانه الى جواب حاسم كان شجا فى حلوق المبتدعين
ومضمنه : أنكم طلبتم عزل محمد تقى الدين الهلالى من دروس الوعظ ونقمتم

عليه مسائل نسبتموها له فنحن نأمركم أن تكتبوا أدلتكم على صحة ما ذهبتم إليه في تلك المسائل ونأمره أن يكتب أدلته على صحة ما ذهب إليه فيها ثم تؤلف لجنة برئاسة الاستاذ عبد الله كنون وتنظر فسي تلك المسائل وتحكم بالحق ، فسقط في أيديهم ولم يكتبوا شيئاً وذهبت الى شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي رحمه الله وأخبرته بذلك ، فقال لي اذهب الى الامير وقل له ان أستاذي محمد بن العربي العلوي حثني على زيارتك وأخبرني أنك من أعز أصدقائه ولا تزده على ذلك شيئاً ، وقبل أن أقوم بزيارة الامير اجتمعت بذلك الشخص الذي أثار تلك الفتنة فقال لي ان المخبرين بلغوني أنك تخوض في مسائل السياسة في دروس وعظك والخوض في السياسة لايجوز لاي واعظ فقلت له أنا لا أذكر في دروسى الا ما دل عليه الكتاب والسنة وقد دأبت على القاء الدروس بهذه الطريقة في أقطار مختلفة منذ أربعين سنة وتصدى لمحاربتى رجال أقوى منك فلم يستطيعوا أن يصدوني عن هذه السبيل وليس بينى وبينك الا هذه الترهيمات وسأذهب الى الرباط وأتكلم مع معالي وزير الاوقاف فان كان ما نسبت اليه صحيحا نبذت لكم الترهيمات واستهررت على الدعوة الى الله الى أن تمنعوني بالعنف والقوة التي تدعون ، فدعا شخصا من الموظفين وقال : يا فلان تعال اسمع ما يقول ، فقلت له أنا لا أنكر كلامى فلا حاجة بك الى الاستشهاد ، وانصرفت من عنده ثم زرت الامير وأخبرته بما أمرنى به أستاذى أن أقوله له فرحب بى وقال لي ان شؤون الاوقاف ليست بيدي هي بيد وزير الشؤون الاسلامية علال الفاسى أما ما سواها من الامور المدنية فكل ما تريده من الحاجات فأنا مستعد لقضائه ، فقلت له أطل الله بقاءك أنا ما جئت لحاجة تتعلق بالاوقاف ولا بغيرها وانما جئت لامثال ما أمرنى به أستاذى من زيارتكم ثم انصرفت من عنده وبقيت فى مكناس تسع سنين فى اثنائها هجم على أولئك المحاربون برئاسة الشخص المشار اليه مرارا وفى كل مرة يجمعون أمرهم ويجهتدون فى كيدهم حتى يظنوا أننى لا أفلت فينجينى الله تعالى ويبطل كيدهم.

« المكيدة الثانية »

بنى فى المدينة الجديدة من مكناس مسجد جديد بأمر من الملك محمد الخامس رحمة الله عليه وهذا المسجد قريب من بيتى وعين فيه انما وخطيبا

أحد اخواننا السلفيين مولاي هاشم العلوي ففرحنا بذلك وجعلنا نصلي فيه الجمعة وكنت أصلي فيه صلاة الصبح اماما ويحضر الصلاة بعض اخواننا ويحضر كذلك المبتدعون وكان المسجد بعيدا من بيت الامام فلم يكن يستطيع أن يحضر لصلاة الصبح وكنت كذلك ألقى فيه درسا أسبوعيا بين العشاءين فكنت أصلي المغرب والعشاء اماما باذن منه ولو كان حاضرا واستمررتنا على ذلك مدة سنة فاتفق ذلك الشخص الذي تسبب في المكيدة الاولى مع فقيه منحرف على الكيد للامام السلفي ولجماعتنا السلفيين ومن عادة سكان المدن المغربية أن يصلوا الصبح على حساب المنجمين ولا يكلف أحد منهم نفسه أن ينظر الى الفجر أطلع ام لم يطلع فكانوا يصلون الصبح قبل طلوع الفجر الذي يرى بالبصر بنحو نصف ساعة فنهيته جماعتنا عن مشاركتهم في هذه الصلاة الباطلة فكنا نؤخر الصلاة الى أن يتحقق طلوع الفجر وكان المبتدعون يهتضمون لذلك ولكنهم لم يتجرؤا على الكلام حتى وقع الاتفاق بين الرئيس والفقهاء فأوعز الفقيه الى اثنين من الجهال المتحمسين للبدعة أن يوقعا فتنة في المسجد فجاء ذات يوم بل ذات ليلة ولما وصل الوقت المعين لصلاة الصبح بحساب المنجمين قالوا لشخص كان ينوب عن الامام في حال غيبته قم صل قد وصل الوقت فلماذا ننتظر الهلال وهو نائم في بيته فامتنع اخواننا من الصلاة لاول وهلة ثم خافوا أن تقع مشاجرة في المسجد فصلوا معهم فلما وصلت أنا وجدتهم قد فرغوا من الصلاة فأمرت اخواننا أن يعيدوا صلاتهم وصليت بهم وبمن حضر من غيرهم وكنت ألقى درسا بعد صلاة الصبح كل يوم فلمتهم على موافقتهم للمبتدعين وبينت بالادلة القاطعة أن من صلى أى صلاة قبل أن يتحقق دخول وقتها بالرؤية لطلوع الفجر وغروب الشمس ان لم يججب طلوعها حاجب فان كان هناك حاجب من سحب وضباب وجب الانتظار الى أن ينتشر الضوء والى أن يأتي ظلام الليل مساء ، اما صلاة الظهر والعصر والعشاء في أوقات الغيم فيقدر لها بالتأخير الى أن يتحقق دخول الوقت وفي الغد حضر ذاك الشخصان الساعيان في الفتنة فأرادا من نائب الامام والحاضرين تعجيل الصلاة فمنعهما أصحابنا فدعا ذلك الرئيس الامام السلفي وقال له لماذا تركت الصلاة في مسجدك الذي أنت معين فيه وأذنت لمحمد تقى الدين الهلالى أن يصل عوضا عنك فقال لان المسجد بعيد من بيتي وليس لي سيارة فاتخذ الرئيس ذلك سببا لعزله وهو المقصود باثارة تلك

الفتنة فعزله وولى ذلك الفقيه المنحرف واتفق أن امام المسجد الكبير توفى في تلك الايام وكان مسالما لنا لا يظهر شيئا من الشرك بل نحن نظن أنه كان موحدا حقا وصدقا قولى شخص مبتدع معلن للشرك ولاء ذلك الرئيس الامام فى المسجد الكبير فلا شرع الامامان امام الجامع الكبير وامام المسجد الجديد يؤمان الناس قام نفر لا يزيدون على خمسة من الشباب السلفيين فى وجه امام الجامع الكبير وقالوا له أنت مشرك لا تصح الصلاة خلفك وصلوا وحدهم جماعة ثانية وهو يوم المصلين فى وقت واحد وفعلوا مثل ذلك فى المسجد الجديد فظن الرئيس أن هذه فرصة عظيمة للقضاء على دعوتنا وحرك رؤوس الفتنة من الفقهاء والطرفيين ومن غريب المصادفات أن عامل الاقليم كان قد ولى العمالة جديدا ولم يكن يعرف أحوال المدينة فذهب اليه خلق كثير بتحريض من ذلك الرئيس يؤمهم الفقهاء المنحرفون الطرفيون وقالوا له ان جماعة الهلالى آثاروا فتنة عظيمة فى المساجد وصار الناس يصلون جماعتين فى وقت واحد ووقع نزاع ومشاجرة فى كل مسجد بسبب هؤلاء مع أنهم وهابيون خارجون عن مذاهب أهل السنة فأخذ العامل التليفون وكلم معالى وزير الاوقاف الاستاذ الحاج أحمد برقاش بارك الله فيه وأدام توفيقه للخيرات فأخبره بشكوى المبتدعين فقال له نحن نعرف محمدا تقى الدين الهلالى فدع عنك هذه المسألة فسأتولى التحقيق فيها أنا بنفسى وكنت مسافرا فى فاس فلما رجعت علمت أن معالى الوزير فتح التليفون ليكلمنى فلم يجدنى فقال لمن كان ممسكا للتليفون قل له يتوجه الى الرباط للاجتماع بى فتوجهت اليه وكان عنده شئ من الشك فى صحة ما نسب أولئك المبتدعون لجماعتنا فأوعز الى نائبه فى الشؤون الدينية الاستاذ الفاضل السيد عبد الرحمن الدكالى أن يتحدث معى فى تلك القضية فقال لى الاستاذ الدكالى فى فاتحة الحديث ، سافرت الى الهند فما زرت جامعة ولا محفلا علميا الا وجدت الناس هناك يلهجون بالثناء عليك وكثير منهم أخبرونى أنهم تلامذتك ففرحت بذلك كثيرا ولما رجعت أخبرت سيدنا المنصور بالله يعنى جلالة الملك الحسن الثانى وأخبرت معالى الوزير ونحن نفتخر بك يضاف الى ذلك أن والدى العلامة الكبير الشيخ شعيبا الدكالى هو أول من دعا الى السلفية فى المغرب فأنا من المؤيدين لدعوتك المعجبين بها ولكن ينبغى الاعتدال وترك التشدد الذى يثير الفتن فقلت له مسانا تعنى بهذا فأخبرنى

بمكالمة العامل مع الوزير واخباره بما زعمه المبتدعون فقلت له ان ما ذكروه غير صحيح ، خمسة من تلامذة المدارس من الشباب عارضوا الامامين مرة واحدة ولما جاء اليوم الذي ألقى فيه الدرس فى الجامع الاعظم تكلمت فى درسى وبينت ان ما فعله أولئك نفر من الشباب خطأ عظيم واستنكرته أشد الاستنكار وصرحت بأن تولية الأئمة هى لصاحب الجلالة لا ينازعه فيها أحد وقد أناب صاحب الجلالة الملك المعظم صاحب المعالى الاستاذ الحاج أحمد برفاش وزير عموم الاوقاف فالواجب على الناس جميعا أن لا يتعرضوا لامام من أئمة المساجد الرسميين ولا ينازعوه لان ذلك عصيان لامر صاحب الجلالة وتدخل فى الشؤون المنوطة بمعالى وزير الاوقاف وليست تولية الأئمة راجعة الى شهوة المصلين ولو كان الامر كذلك ما صحت تولية امام قط لان المصلين لا يكادون يتفوقون على امام واحد وحين كنت أبين هذا كان الامام نفسه يسمع ومئات من الناس كانوا حاضرين وهؤلاء المبتدعون انما ظنوها فرصة موالية فاغتنموها وأخبرنى رفيقى أن سعادة الكولونيل عبد الرحمن الدكالى لما سمع هذا البيان تهلل وجهه فذهب الى معالى الوزير وأنبأه بما قلت له فدعانى الوزير وعانقنى وقال لى معاذ الله أن نظن بك ما نسبوا اليك وتحدثنا مليا فى طبع كتاب التمهيد الذى أمر به صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثانى أجزل الله مثوبته وخلد فى الصالحين ذكره وأطال عمره ليضيف الى هذه الحسنة حسنات أخرى وبعد ما رجعت الى مكناس علمت أن معالى الوزير الاستاذ الحاج أحمد برفاش كلم العامل فى التليفون وأخبره بأنه أجرى تحقيقا دقيقا فى القضية فوجد ما قاله أولئك الوشاة كذبا وبهتاننا وقال له أرجو من فضلك أن لا تتسرع مرة أخرى فى مثل هذه الامور فباء أعداء التوحيد والسنة بخيبة وخسران مبين .

« المكيمة الثالثة »

قبيل توجهى الى المدينة للانخراط فى سلك المدرسين فى الجامعة الاسلامية أراد رؤساء الشرك والبدعة أن يجعلوا خاتمة وعظى فى الجامع الكبير سيئة لينسوا عليها ما تسول لهم أنفسهم من الفرى وكنت أدرس كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه ولم أترك تدريسه قط منذ حللت مكناس الى أن توجهت الى المدينة أختمته

ثم أبدو من جديد وبينما أنا أقرر تفسير قوله تعالى في سورة الشعراء « وأزلقت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكذبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون ، قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين » ، فبينت في معنى قوله تعالى : « وما أضلنا الا المجرمون » أن كل من دعا الى عبادة القبور وتعظيمها ببناء القباب عليها والذبح والنذر لها والطواف بها وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات من المقبورين فيها وأقام لها المواسم والاعياد فهو من هؤلاء المجرمين الذين ذكرهم الله تعالى فقام رجل من دعاة الشرك والبدعة فرفع صوته وقال حتى صاحب الجلالة من المجرمين فبادرت بالجواب وقلت له أنت المجرم وصاحب الجلالة برىء مما تريد أن تلصقه به من عبادة القبور وهو أعلم بالله وأتقى وأجل من أن يعبد القبور فقد كذبت عليه وجاوزت الحد في الوقاحة اذ تنسب هذا الامام العظيم ملك العلماء واعلم الملوك الى عبادة القبور التي لا يرضى بها الاشرار الجهال أمثالك فارتفعت أصوات من الجالسين وكان عددهم نحو سبعمائة أنت المجرم أنت المجرم وأرادوا أن يضربوه فقام العالم المصلح السلفى الحكيم الحاج محمد بن عبود ونصح لهم أن لا يضربوه لانهم اذا ضربوه يمكنونه من مراده فى اثاره الفتنة وادعاء أن درس التوحيد يفضى الى المشاجرة والتقاتل فيجب منعه وأصاب هذا الناعق رعب شديد فأراد أن يخرج من المسجد فخاف أن يضرب خارجه ولم يستطع البقاء بين الجالسين لكثرة انكارهم عليه فما وجد سبيلا الا أن التجأ الى الصعود الى المنارة ومع هذه الهزيمة التي وقعت للمشركين طمعوا أن يتخذوها ذريعة لمنع دروس التوحيد واتفق أن الرؤساء من الحكام كانوا غائبين عن مدينة مكناس لانهم ذهبوا ليستقبلوا جلالة الملك الحسن الثانى عند رجوعه الى عاصمة ملكه من زيارة الجزائر ولم يوجد الا نائب من نواب المتصرف فالتجأوا اليه وطلبوا منه أن يمنع دروس التوحيد فانتظر الى قرب أذان المغرب الذى بعده يكون الدرس فبعث الى شيخين من شيوخ الحارات راكبين على سيارة العمالة فدخلا على وقالوا لى ان سعادة العامل يعنون الامير يقول لك أترك التدريس فى الجامع الكبير الى أن ينظر فى القضية التي

حصلت البارحة وقال لنا قولوا له يجيبكم بنعم أو لا فقلت لهم أنا لا أعارض أمر العامل وامتنعت من التدريس في المساء ففرح المشركون فرحا عظيما وظنوا أنهم أدركوا وطرحهم وقضوا على الموحدين المتبعين للرسول قضاء مبرما ولكن الله العلي العظيم الذي نصرنا في المرة الأولى والثانية نصرنا في هذه أيضا نصرنا مؤزرا من فضله ورحمته لا باستحقاق لاننا مقصرون في طاعته : بعد يوم واحد رجع العامل ورجع النائب الاول للمتصرف ومتصرف مكناس هو الحسيب النسيب صاحب السعادة مولاي سلامة بن زيدان العلوى وما رأينا منه الا البر والاكرام حاشا له أن ينضم الى من يجارب سنة جده المصطفى وعند ذلك ذهبت يصحبني جماعة من اخواننا الى العامل فقلت له بعد التحية ان أحد نواب المتصرف بعث الى شيخين من شيوخ الحارات في سيارة من سيارات العمالة يقول ان العامل يأمرك بالامتناع من القاء دروس التوحيد في الجامع الكبير فقال لي أنا كنت مسافرا ولم يصدر مني أى شىء مما زعم وقد قدر هؤلاء المحاربون للسنة أن يكذبوا على ويوهموني صدق مقترياتهم فيما مضى ولن يستطيعوا أن يروجوا على مكرهم مرة أخرى فأنا لا أتعرض لدروسك أبدا فاستمر فيها على بركة الله ، وقال النائب الاول لسعادة متصرف المدينة مثل ذلك وقد قسام العالم السلفى السيد محمد بن عبد الله العلوى القاضى بجهود مشكورة فى ذلك اليوم أيضا ، فسقط فى أيدي أولئك المفسدين وانهزموا شر هزيمة ، فاستمرت فى الدرس كل مساء الى أن سافرت الى المدينة وقرت بذلك أعين أهل التوحيد والاتباع وخسر هنالك أهل الشرك والابتداع وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

« المدرسة الحسنية »

لم يزل أولئك المفسدون ينقلون الوشائيات الى جلاله الملك المعظم الحسن الثانى أيدى الله وأدام توفيقه وتسديده فلم يستطيعوا أن يؤثروا فيه لحكمته وتثبته وبلغنى والعهد على الراوى أنه حين أكثروا عليه حضر الدرس بنفسه متنكرا فعلم أن دروسى انما هى دعوة لاتباع الكتاب والسنة وتحذير من الشرك والبدعة اللذين هما سبب كل شقاء أصاب المسلمين فلم أر من هذا الملك الرشيد الا الخير وقبل بضع سنين ألهم الله جلاله الحسن الثانى أن يبني

مكرمة طالما غفل عنها الملوك السابقون وهي من المزايا التي خصه الله بها والله يختص بفضله من يشاء ، ألا وهي تأسيس دار الحديث الحسنية ولما نشر خبر هذه الفكرة امتلأت قلوبنا سرورا لان علم الحديث أهمل منذ عصور طويلة الى أن اندرس ولم يبق له وجود لا من الوجة العلمية ولا من الوجة العملية وصار الوعاظ وخطباء الجمعات يملؤون حديثهم بالموضوعات ولا يميزون خبرا صحيحا من خبر ضعيف أو موضوع ومن المعلوم أن علم الحديث هو مفتاح علوم الدين كلها لانه لا تعرف معانى القرآن الذى هو حجة الله على خلقه الا بأقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله كما قال تعالى فى سورة النحل ، (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وخفنا أن لا تخرج هذه الفكرة الى حيز العمل ولكن أبا محمد الحسن الثانى أيدته الله من أهل العزم الذين اذا قالوا فعلوا واذا فعلوا أجادوا فخرجت هذه الفكرة الى حيز العمل وأنشئت دار الحديث الحسنية ولم أذع الى التدريس فيها الا بعد مضى شهرين من انشائها بسبب وشاية أولئك الوشاة ثم دعانى وزير الاوقاف الاستاذ أحمد برقاش الى مكتبه بالوزارة وتلقانى بغاية الحفاوة وقال لى ان سيدنا المنصور بالله أسس هذه المدرسة واننا نرجو أن يكون لها مستقبل عظيم فينبغى أن تشارك فى هذا العمل المبرور فقلت له منذ ظهرت فكرة انشاء هذه الدار وقبل أن تحقق وتخرج الى حيز الوجود كنت أول المرشحين بها المستبشرين بظهورها ونشرت فى ذلك مقالا طويلا فى مجلة «دعوة الحق» التى تصدرها وزارتكهم نظما ونشرا فقال لى لم أطلع عليه فقال له الاستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالى بلى يا صاحب المعالى نشر هذا المقال فى المجلة منذ زمان فأعطانى معالى الوزير أهم الدروس التى تلقى فى دار الحديث وهو تفسير القرآن وكتاب الموطأ فى الحديث للامام مالك رحمه الله فبدأت فى القاء الدروس أحضر دروس القرآن والحديث ثم ألقيتها على الطلبة وكان عددهم فى أول الامر ثلاثين طالبا ففرح الطلبة بتلك الدروس وأقبلوا عليها الا أربعة كانوا طرقيين تجانيين فانهم كرهوا دروسى وأخذوا يشاغبون ويكثرون من الاسئلة التعنتية وأنا أدفعهم بالتى هى أحسن وكان عندى أربعة دروس فى كل أسبوع فكنت أتوجه الى الرباط لالقاء دروسى فى جامعة محمد الخامس رحمه الله وأنتهى منها قبيل الزوال وكان الوقت المحدد للدرسين اللذين كنت ألقيهما فى دار الحديث

الحسنية أحدهما قبل صلاة العصر والثاني بعدها وكنا في رمضان فكنت أراجع الى مكناس بعد الفراغ من الدرس الثاني فيدركنى المغرب فى الطريق فأفطر على التمر والماء وكنت أتلقى تلك المشقة بصدر رحيب بل بفرح وسرور لما كنت أرجو من أجرها وثوابها وانتفاع الطلبة بها ولكن مشاغبة أولئك المفسدين كانت تسوءنى وخصوصا في رمضان الذى يجب فيه على كل مسلم أن لا ينطق الا بالكلم الطيب فقلت فى نفسى لعل شر هذه الدروس أكثر من خيرها وفى ذات يوم كنت أفسر قوله تعالى : « اياك نعبد واياك نستعين » ، فبينت أن كل من دعا غير الله أو استغاث به لجلب نفع أو دفع ضرر فقد وقع فى الشرك الاكبر الذى لا يغفر فضج التجانيون وقالوا كفرت أسلافنا فقلت ان كان أسلافكم يدعون الى الشرك بالله فأبعدهم الله وأخرجت أحدهم من الدروس ولم يكن معالى الوزير موجودا فى الرباط بل كان مسافرا وعميد الكلية كان متصوفا خرافيا يزعم أن الاولياء اذا وصلوا الى درجة الفناء تسقط عنهم التكاليف ويباح لهم ارتكاب الكبائر كلها فصهمت على ترك التدريس وكتبت استقالتي الى معالى الوزير واعترف أن ذلك كان تسرعا منى وكان ينبغى لى أن أنتظر أوبنته ولكن المقدر كائن وعذرى فى ذلك أنى أردت أن أصون صيامى من اللغو عملا بقول من قال :

اذا لم يكن فى السمع منى تصون وفى بصرى غص وفى منطقي صمت
فحظى اذا من صومى الجوع والظما وان قلت انى صمت يوما فما صمت
وقال آخر :

وأعلم بأنك لا تكون تصومه حتى تكون تصومه وتصومه

فلما رجع معالى الوزير تأسف على ذلك وقبل استقالتي وكانت مدة تدريسي فى دار الحديث الحسنية شهرين ونصفا وهذه القصيدة التى قلتها فى الترحيب بفكرة دار الحديث الحسنية :

بدار حديث المصطفى حقت البشرى فأشرقت الآفاق وامتلأت بشرا
هى الفكرة الحسنى بها الحسن ارتقى الى ذروة الاحسان وهو بها أحرى
فلا شك أن الله ألهم عبده لذا العمل المحمود والنعمة الكبرى
وصية خير الخلق طرا وعهده الى أمة القرآن يا سعد من برا
على حين عم الجهل فى الناس كلهم ولا سيما بالذكر والسنة الغراء

فاظلمت الارحاء وامتلأت نكرا
وقد أضمرنا للامة المكر والغدرا
ويستعبدون الناس بالحيل الحقرا
من الجهل ذاق الناس من طعمها المرا
فأصبح ثغر العلم والدين مفترا
يهيىء له الرحمن من أمره يسرا
ويبلغه آمالا ويشرح له الصدرا
يبغى فان الله يمنحه النصرا
وينصره يوم الحشر في النشأة الاخرى
يضل ويلقى في عواقبه خسرا
وذلك فى القرآن متضح يقرا
بأخباره الركبان تنشرها نشرا
فتبنى له بين الورى المجد والفخرا
على دار علم شدتها للهدى فجرا
وكان بودى أن أنظمه درا
على قوافيه وكافانى هجرا
وأسدل عليه من جهيل الرضى سترا

وشاع ابتداع فاتك فى ربوعهم
وساد رؤوس الجهل واشتد كيدهم
مضوا يسلبون المال والعقل والهدى
فأطلعها نورا يضى حنادسا
وأحيا من الآمال ما كان ميتا
ومن يحيى سننات الرسول وهديه
ويعظم له أجرا ويرفع ذكره
ومن رام من أعدائه أن يكيده
ومن ينصر الرحمن ينصره عاجلا
ومن يقرأ القرآن من غير سنة
فتفسير قول الله هدى رسوله
فيا أيها الملك الهام الذى سرت
وما زال بالافعال يشفع قوله
جزاك اله الناس خير جزائه
إليك أسوق اليوم نظما ملفقا
ولكن هجرت الشعر دهرا فأوصدت
فقابله بالصفح الذى أنت أهله

« الرجوع الى المدينة المنورة »

قد عرف القراء سبب خروجي من هذه المدينة المباركة فيما مضى ولما أراد
الله بفضله ورحمته أن يردنى إليها ، ألهم صاحب السماحة العالم السلفى ناصر
السنة وقامع البدعة الورع الزاهد الاواب الاستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد
الله بن باز رئيس الجامعة الاسلامية أن يدعونى الى التدريس فى الجامعة
الاسلامية وعندما لقيته بمنى سنة 1388 هـ قال لى ان الجامعة الاسلامية فى
حاجة اليك فقلت له وأنا فى حاجة اليها ايضا فقال لى بأى طريق ندعوك
الى التدريس فيها فأخبرته فدعاني دعوة رسمية بطريق وزارة الخارجية السعودية
فالسفارة السعودية بالمغرب فوزارة التعليم العالى بالرباط وأتيت الى هذا البلد
المبارك وأنا أسأل الله متوسلا اليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل

اقامتى فيه طبق ما يجب على كل ساكن فيه من مراعاة حرمة والبعد عن ارتكاب
أى حدث يتنافى مع قدسيته .

وهذه القصيدة المكتنسية تعبر عما تقدم بالاسلوب الشعري وقد حذفت
عشرة من أبياتها ابقاء على بعض الناس على اننى لم أصرح فيها باسم أحد الا فى
المحذوف ولا فى المثبت وبالله التوفيق :

وبرج بى شوق السى ربة الخدر
وليل تسهاد الى مطلع الفجر
ومهما أبج فالحب أفقدنى صبرى
تذكرها قلبى يطير من الصدر
ومن فرط آلام الصبابة والهجر
نعاب غراب للفرؤاد غدا يبرى
فكفى عن الاسفاف والمنطق الهجر
وأنفقت فى حبي لها زهرة العمر
عديما من الجدوى فبالحب قد يغرى
على قدمى طورا وطورا على مهر
على جائبات الجو كالنجم اذ يسرى
ثبير يروع الحوت فى لجة البحر
وان كنت فى أهل كثير ذوى وقر
ولكنها) فى الدين والخلق والبر
وطغيان أهل الكفر والفسق والغدر
يعذب فى الدنيا وفى فتنة القبر
وما من جواب عنده غير لا أدرى
يحارب دين الله فى السر والجهر
وموقع أهل البغى فى دارة الخسر
يكيد فرد الله كيده فى النجر
وناصر هذا خاسر أبد الدهر
ومن يلعن المختار فهو الى سر
كذلك أهل الارض فى السهل والوعر

لقد طال ليلى والجوى مالى صدرى
أقضى نهارى دائم الفكر والاسى
وأكنم أسرارى حذارا من العدى
تذكرت أيام الوصال فكاد من
فيا ويح قلبى ما يلاقى من الهوى
وعاذلة جاءت بلوم كأنه
ولست بسال لو أطلت ملامتى
وكيف سلوى بعد ما شاب مفرقى
ألم تعلمى أن الملام وان غدا
وظفت بلاد الله شرقا ومغربا
وأنصيت بعرانا وحلقت فى السما
وطورا على فلك عظيم كأنه
حليف اغتراب فى ثواء ورحلة
(وما غربة الانسان من شقة النوى
الى الله أشكو غربة الدين والهدى
ومن يقل سنات الرسول فانه
ويسأله فيه نكير ومنكر
وفى سنة الجبار فى كل من غدا
ألم تدر أن الله ناصر دينه
وكم قد سعى ساع لاطفاء نوره
وتنصر اشراكا وفسقا وبدعة
دعا المصطفى قد ما عليه بلعنة
وتلعه الاملاك من فوق سبعة

فيا ناطح الطود المتين بهامة
وليس يحيق المكر الا بأهله
وكم حافر لحدا ليدفن غيره
وكم مشرك طاغ تردى بشركه
وكم رائش سهما ليصطاد غيره
وقبرة أضحى لها الجو خاليا
فلا تفرحى يوما سيأتيك صائد
(فان كنت لا تدري فتلك مصيبة
وانك لم يفخر عليك كفاخر
فيا عجا حتى كليب تسبني
أتفتت بالامهال تحسب أنه
وما نحن الا خادمون لسنة
وخادم سنات الرسول حياته
وما غاب الا شخصه عن عيوننا
فيا مبغضى هدى النبي ألا ابشروا
سلكتم سبيلا قد قفاها امامكم
وعاقبة التبوع حتم لتابع
فان أنتم كذبتهم بوعيده
فصب عليهم ربهم سوط نقمة
(فيا رب هل الا بك النصر يرتجى
قلوا سنة المختار يبغون محوها
هم استضعفونا اليوم من أجل أنا
ولا سيما ان كان لله قائما
وادراك احدى الحسنين محقق
ومن ظن أن الله مخلف وعده
فذاك غليظ الطبع أرعن جاهل
تكفل بالنصر العلى لحزبه
ففى غافر قد جاء ذلك واضحا

مدورة جوفاً حذار من الكسر
وحافر بئر الغدر يسقط فى البئر
على نفسه قد جر فى ذلك الحفر
وسادن قبر باء بالخزى والخسر
أصيب بذاك السهم فى ثغرة النحر
من النسر والعقبان والباز والصقر
ويستقيك كأس الحتف كالصاب والصبر
وان كنت تدري (زدت وزرا على وزر
ضعيف ولم يغلبك كالساقط القدر
كأن أباه من لوى ومن فهر
عدمك اهمال وذا دين الغمر
أتت عن نبي الله ذى الفتح والنصر
كخادمها من بعد ما صار فى القبر
وأنواره تبقى الى الحشر والنشر
بخزى على خزى وقهر على قهر
أبو جهل المقصوم فى ملتقى بدر
كما لزم الاحراق للقابض الجمر
فكم كذبت من قبلكم أمم الكفر
فصاروا أحاديث المقيمين والسفر
عليهم) اليك الامر فى العسر واليسر
وكادوا لها فاجعل لهم كيدهم يفرى
قليل وقد يعلو القليل على الكثر
وأعداؤه للبغى من جهلها تجرى
لمن يقندى بالمصطفى من ذوى الحجر
وخاذل أنصار النبي بذات العصر
عريض القفا بين الورى مظلم الفكر
حياتهم هذى وفي موقف الحشر
ولكنه يخفى على القدم والغمر

فهم أولياء الله في كل ما ذكر
 فرؤيتهم تشفى السقيم من الضر
 عن الحق بالبرهان والبيض والسهو
 بفعل وأقوال تلالاً كالدر
 من الشرك والالحاد والزيغ والنكر
 ولم يعبدوا قبرا بذبح ولا نذر
 فذلك فعل المشركين ذوى الكفر
 مساجد خصت بالفضائل والاجر
 بغير اله الناس ذى الخلق والامر
 بنص كتاب الله والسنن الزهر
 كما فعل المختار مع صحبه الغر
 به فهم الفرسان فى النظم والنثر
 اذا ما (اجتمعنا فى المجالس للفخر
 فلم يبق من زيد لزيد ولا عمرو
 واتمام انعام يجلب عن الحصر
 يسدل دين الله بالحدس والحزر
 فأفتى بتقليد فيا له من غر
 أضاف له جرما تجدد بالعدر
 وطالبه خلو من العلم والخبر
 جرى خلف آل لاح فى مهمه قفر
 فياك والتقليد فهو الذى يزدى
 عن الحدس والتخمين والسخف والهتر
 رياض حوت ما تشتهيه من الزهر
 فأنوارها تسمو على الشمس والبدر
 كما حلت الميتات أكلا لمضطر
 اقيم فبادر للرجوع على الفور
 كعشوا غدت فى كافر حالك تسرى
 وفى النحل نص جاء فى غاية الزجر

سلام على أنصار سنة أحمد
 اليهم أجوب البر والبحر قاصدا
 هم حفظوا الدين الحنيف وناضلوا
 هم خلفوا المختار فى نشر سنة
 هم جردوا التوحيد من كل نزعة
 فلا قبة تبنى على قبر ميت
 ولا بطواف أو بتقبيل تربة
 ولا رحلوا يوما لغير ثلاثة
 ولم يستغيثوا فى الشدائد كلها
 ولم يصفوا الرحمن الا بما أتى
 يقرون آيات الصفات جميعها
 فلو كان فى التأويل خير لبادروا
 (أولئك آبائى فجننى بمثلهم
 وقد أكمل الرحمن من قبل دينه
 بمائدة قد جاء بالنص ختمه
 وكم زائد فى الدين أصبح ناقصا
 ومن ظن تقليد الأئمة منجيا
 كمن تجل عذرا ليغفر ذنبه
 الا انما التقليد جهل وظلمة
 كطالب ورد بعد ما شفه الظما
 فان قمت بالافتاء أو كنت قاضيا
 وجرى سيوفا من براهين قد سمت
 وطرفك سرح فى الكتاب فانه
 ومن بعده فاعلق بسنة أحمد
 ولا تحكمن بالرأى الا ضرورة
 ومهما بدا أن القضاء على خطا
 ومن يقض بالتقليد فهو على شفا
 ومن يفت بالتقليد فهو قد افترى

لعمرك ما التقليد للجهل شافيا
وصل وسلم يا اله على النبي
فدونكها بكرا عربا خريدا
يضى ظلام الليل نور جمالها
قصدت بها نصرا لسنة أحمد
وعادتها تسعون من بعد خمسة
وأما نصوص الوحي فهي التي تبسرى
صلاة تدوم الدهر طيبة النشر
مهفهفة غيدا عروسا من الشعر
وليس لها الا القراءة من مهر
وناصرها لأشك يظفر بالضر
وأختها بالحمد لله والشكر

هذا ما حضرني من الحوادث المتعلقة بالدعوة الى الله والاشتغال بالعلم
أمليته مما بقى عالقا بسذاكرتي بعد مضي عشرات السنين وتركت كثيرا من
الحوادث التي لاثمت الى الغرض المقصود بصلة وأسأل الله حسن الخاتمة انه
جواد كريم ، وصل اللهم على محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين
وعلى التابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وعلينا معهم بمنك يا أكرم
الاکرمين . وكان الفراغ من أملائه مساء يوم السبت بمنزلي بالمدينة النبوية
لاثنتي عشرة خلون من ربيع الثاني سنة 1391 من هجرة النبي الاكرم صلى الله
عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

الفهرس

الصفحة

62	غضب رئيس الوزراء احمد الغنمية
62	معركة مع فقيهه مقلد مشرك
67	ترف أهل تطوان
73	الامير الملالى والامتنسقاء
75	صلاة الامتنسقاء
76	الاجتماع بالامير الملالى
78	الاستسقاء بنبح الخيل
80	الاستسقاء بالحصى
81	انتقام المستعمرين منسى
	الاتصال بالوطنيين المقاومين
82	لاستعمار
82	تأليف مختصر هدى الخليل ..
	التعاون مع الامام الشهيد حسن
82	البناء
86	الاجتماع بالحاكم الاسبانى
90	الانتقال الى تطوان
92	لماذا خذلفى خايفة السلطان ..
	طاب أمير شفشاون للصلح مرة
94	اخرى
	عاقبة أمير شفشاون اليزيد بن
95	صالح
96	بين اليزيد والملالى
98	كيف كانت عاقبة وزير العدل ..
101	في السفارة الانجليزية
103	حادثة أصيلا
104	السفر الى مجريط ثم الى القاهرة

الصفحة

7	الدعوة الى الله في الاسكندرية ..
8	امتحان الدعاة الى الله
	سبب منع أبى السمع من الصلاة
	والوعظ في مسجد أبى هاشم برمل
10	الاسكندرية
16	الدعوة الى الله في الصعيد
17	السراخفى
18	عودة الى دروس الوعظ
22	عود الى الريمون
23	المنظرة
25	الدعوة الى الله في تنذا
26	قدم مراد الله يقدم الله مرادك ..
	من مخارق شيوخ المتصوفة
28	المبتدعين
30	الدعوة الى الله في تطوان
	الحوادث التى وقعت آنذا
32	اقامتي في شمال المغرب
	معركة مع شيخ متصوف من أهل
47	الحدث الثانى في تطوان ونواحيها
52	تطوان
	السفر الى مكة في لحظة وعزل
55	الشيخ المتصوف من جميع المناصب
56	فتوى الشيخ المتصوف
58	عقيدة الاشعرية
60	التعيين في خزانة الكتب العامة ..
61	خمسةة بسبطة من وزارة الاوقاف

الصفحة

162	الدعوة الى الله في النخيل
164	الاختلاف مع الشيخ عبد الله بن بلهيد
166	الشيخ الطيب التنبكتي
167	الشيخ محمود شمويل
168	الخروج الى البادية
178	قصة ابن منصور
179	القصة الثانية وهي أفضح
179	التدريس في المسجد الحرام
180	التدريس في المعهد السعودي
180	السفر الى الهند
182	محنة
184	مكرمة عربية
185	رحلة الى افغنستان
190	الشيخ عمر أوزبك
190	الكلام بالعربية
191	زيارة الملك
191	لماذا لم احرص على زيارة الملك ..
193	المرض بالحمى النافض
194	علاج غريب
195	حال المسلمين في افغنستان
197	بوزدوزخ
199	عودة الى حدود الهند
200	ركوب الفيصل
404	الدعوة الى الله في مكناس
206	المكيدة الثانية
209	المكيدة الثالثة
211	المدرسة الحسينية
214	الرجوع الى المدينة المنورة

الصفحة

106	الاقامة بالقاهرة
107	الصدق منجاة والكذب مهلكة ..
108	الدعوة الى الله في العراق
110	جامع الدهان
111	تطهير الجامع من البدع
113	هجوم مدير الاوقاف علينا
113	وقوف الاستاذ منير القاضي الى جانبنا
114	مكيدة أخرى
115	أخذ الاجرة على صلاة الجمعة ملاحقة الاستعمار لمؤلف الكتاب
116	الانقلاب
120	الدعوة الى الله في الدورة
124	مناظرة مع بن ها يابا الشنقيطي
125	مداهنته لمن يسميهم بالوهابية ..
129	ازالة بستان فاطمة
131	العشاء في قصر الملك حسين
131	ملك الحجاز الغير المتوج
132	عبد الرؤف الصبان
133	السفر الى الهند
134	حادثة عجيبة
136	التجول في الهند
140	السيد سليمان الندوي
143	لقاء الشيخ مصطفى آل ابراهيم ..
145	السفر الى العراق في الباخرة ..
147	الوصول الى الدورة
147	مناظرة مع مجتهد الشيعة في المحمرة
150	المحمرة
158	مناظرة مع شيعي آخر ..
160	شيخ متملق

صواب	خطأ	سطر	صفحة
اليها	اليه	1	5
صل	صلى	4	5
نضج	نضج	8	6
الحنيفية	الحنفية	14	7
مضض	مضمض	23	9
انكارا	انكار	2	10
فقلت : لا.	فقلت لا :	5	10
فكتبت	فكتب	23	12
الخرشي	الخراش	14	13
عير	غير	16	13
أجىء	ارجع	14	14
البلد	البلاد	6	15
المسائل	المسألة	18	16
أورد	أودر	20	20
حمار	حمارا	17	21
ويقمعك	ويقنعك	11	22
وفسروا	فسروا	16	27
بتواطؤ	بتواطىء	13	30
يوهم	يواهم	14	38
ثوابا	ثوبيا	3	45
هشام	هاشم	17	46
حواش	حواشى	8	48
يؤتية	يؤنيه	20	57
أعتقانى	اعتقاد	1	59
أبى	ابن	21	59
بالمروءة	بالمروءة	2	61
تقبلها	تقبل	1	62
على	عن	9	64
يفلحو	يفعلو	3	66
نمه	نمة	6	70
يسمى	يسمن	19	73
وحدوه	وجدوده	3	80
فنرجو	فنرجوا	7	82
أسماءهن	اسماءهن	13	82
رشوة	رشورة	10	83

صواب	خطأ	سطر	صفحة
القاضي	القلبي	10	87
منى	من	24	87
ويأمر	والامر	5	88
نسبا	نسبا	6	92
ونجعلهم	(حذف)	21	94
الطبع	الطبخ	16	95
فضحتكم	فضحتكم	5	99
نساعد	تعاهد	2	100
فيكم	فيكم	4	100
سمة	سمة	13	102
وبخت به	(حذف)	26	102
يدحث	يبحث	1	109
والجهاد	واجهاد	18	109
مطايها	مطايها	10	115
بيده	بيده	17	120
المصطفى	الصفى	6	121
والمختار	المختار	28	121
فلتقف	فتقف	14	122
واستبعدوا	واستبعدوا	23	122
باستتباعهم	استتباعهم	23	122
الهدايا	الهديا	11	123
الزمان	الزما	8	124
جاءوا الى	جاءوا الى	9	124
تبعته	تبعته	10	126
وأعرفه	وأعرفه	4	127
أنه	ان	25	128
تزيين	تزيين	5	130
في	عى	23	130
وقعت	وقعب	2	133
تتعلم	نتعلم	17	133
أنا لا	(حذف)	18	135
وعارضت	وعاضت	14	137
التابعيه	التابعية	18	138
الحنفية	الحنيفة	28	142
للوصل	للوصل	5	146

صواب	خطأ	سطر	صفحة
الخريدة	الخريد	7	146
تضمن	تظمن	21	146
فاستأجرت	فاستجرت	18	150
وأخذوا	وأحدوا	20	151
وتعظيما	وسعظيما	11	153
أول	أو	1	154
عند	عندي	2	154
شبيء	سبيئا	24	155
أدى	أدى	27	155
تعالى	تعال	2	156
ووجهه	ووجه	25	159
بلة	بله	22	163
محمد	محد	15	163
أياها	أيها	25	165
السلفية	السلفية	13	167
وثالثهم	وثالثم	2	168
أقترح	أقترح	12	168
الباقون	البوقون	20	168
أردأ	أراد	1	169
ألانى	الاذنى	13	172
أقلا	أقلا	15	173
بوجهه	بوجه	15	173
بهديه	يهديه	18	173
باهل	يأهل	5	174
ولايتيكم	ولاياتكم	25	174
ويحكم	ويحككم	26	174
رشد	راشدا	1	175
دام	دم	20	175
الروآسيا	الروسيا	18	177
أفطح	أفضح	6	179
أنا الى ما أريده	الى أريده	27	186
والقادرية	والقاردية	7	189
رحمه الله	رحمه لله	24	190
فرعون	فروعون	9	194
هامان	همان	10	194
عند	عندي	27	195
ينترد	ينترد	21	200
أنضم	أنظم	24	200
بحاله	بحالة	26	202

دار الطباعة الحديثة

51 - 53 زقة - فردان - الدار البيضاء

الهاتف : 02-691